

Mngool.com
الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٢٦ - شعبان ١٤٢٤هـ / أكتوبر ٢٠٠٣م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 326 - OCT. 2003
الأصل الأندلسي لمصارعة الثيران
الاستشفاء بالمياه المعدنية الساخنة
التعليم وحوانيت بيع الكتب

الأفضل... لأن "العميل أولاً"







ساب... أفضل بنك في المملكة

«العميل أولاً» هو سر نجاحنا... تلك هي الفلسفة التي اعتمدها ساب منذ نشأته، والتي تقوم على تقديم خدمات مصرفية تلبي رغبات وطموحات عملائنا الكرام، وتقدم لهم الحلول المصرفية المتميزة على مدار الساعة.

إن الرعاية والإهتمام التي نوليها لمتطلبات عملائنا الكرام هي ما تجعلنا اليوم البنك الأفضل في المملكة. ففي تقييم مجلة EUROMONEY العالمية والمتخصصة في تقييم أداء البنوك والمؤسسات المالية على مستوى العالم، حصل البنك السعودي البريطاني على جائزة أفضل بنك في المملكة، وجائزة أفضل بنك في خدمة طروحات ووساطة الأسهم في المملكة.

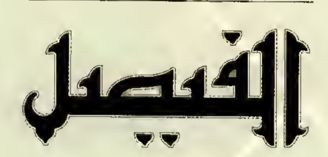


ونحن إذ ننتهز هذه الفرصة، لنقدم هذا النجاح لعملائنا الكرام لثقتهم في البنك السعودي البريطاني، وإلى موظفي البنك لعملهم الدؤوب نحو تطبيق فلسفة «العميل أولاً» على أفضل وجه.

www.sabb.com

The Saudi British Bank البنك السعودي البريطاني





مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٢٦ - شعبان ١٤٢٤ هـ - أكتوبر ٢٠٠٣م

ALFAISAL MAGAZINE - No. 326 - OCT. 2003

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية. إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف
- اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات. الكويت ٦٥٠ فلس. الإمارات ٧ دراهم. قطر ٧ ريالات. البحرين ٧٥٠ فلس. عُمان ٧٥٠ بيسة. الأردن ٥٠٠ فلس. اليمن ٦٠ ريالاً. مصر جنيهان. السودان ٧٠ دينارًا. المغرب ٨ دراهم. تونس دينار واحد. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٤٠٠ فلس. سورية ٣٠ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنك. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢ ..، سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١ـ ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٢٢٢٤٩٩. ٧١ـ ٠٠٢١٦، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٢٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣. الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢. ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢. ٣. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







الأصل الأندلسي لمصارعة الثيران

السجلات الوحيدة لمصارعة الثيران ما قبل الدور المسلم للتاريخ الإسباني سجلات مشكوك فيها جدًا، مما يؤدي إلى الاعتقاد أن مصارعة الثيران إما أنها لم تكن موجودة من قبل وإما أن شعبيتها لم تكن كشعبية الأدوار اللاحقة، ولكن المؤكد أن المسلمين طوروا طقوسها ومارسوها على أنها نوع من التدريب في زمن السلم، فما حقيقة دور المسلمين في تطوير هذه المصارعة التي يقال إنها جوهر إسبانيا وروحها؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١.
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

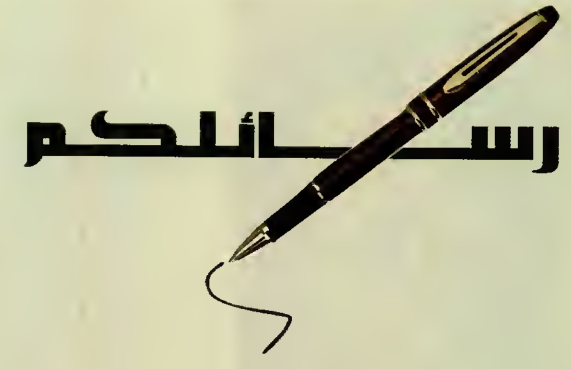
الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨



جهود طيبة

نشكر لكم جهودكم الطيبة والواضحة في الإعداد لمجلتنا الفيصل، ونتمنى لكم استمرار النجاح والفلاح، ونأمل في الأعداد القادمة أن نطالع الموضوعات الخاصة بالبيئة ومكافحة التلوُّث، وعن الحضارة الإسلامية. وكان الموضوع الخاص بأمريكا والإبادة الجماعيَّة مفيدًا..

ونفيدكم أن العدد رقم ٣٢٢ وصل إلى المكتبات بعد مرور ٤٥ يومًا من إصداره، ووصل العدد ٣٢٣ يوم ٢٣/٧/ ٢٠٠٣م الموافق٢٣جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، وكان العدد جيدًا ومفيدًا ولاسيما موضوع التربية والصحافة، والموارد المائية، وأدب ذوي الاحتياجات الخاصة، والدكتور عبداللطيف حمزة...

خليل عبدالكريم

عمَّان ـ الأردن

التحرير:

نعتذر لجميع الإخوة عن تأخير صدور الأعداد الأخيرة بسبب شروع المجلة في عملية التطوير، ولظروف أخرى لا مجال لذكرها، وسوف تعاود الصدور في أول كل شهر من الفترة القادمة إن شاء الله، نشكر لك إطراءك، ونفيدك أن المجلة حريصة على تنويع موضوعاتها، ونأمل أن تحوز الأعداد القادمة إعجابك.

بيت شعر

تحية وإعجاب وتقدير لما تبذلونه في سبيل تطوير المجلة ومسايرتها لأحدث التقنيات والمعلومات الحديثة. وبعد.

الحمدلله أواظب على حل المسابقة بشكل منتظم وإن لم أوفق في إحراز أي جائزة.

ولي سؤال لماذا الإصرار على (بيت الشعر) في كل المسابقات؟ والله لقد أمضيت أربعة أيام متتالية أبحث عن صاحب هذا البيت في كتاب الأغاني للأصفهاني ولم أعثر على أي ديوان لهما في مدينتي كفر الزيات، ولم أجد بدًا من إرسال حلين للمسابقة، علمًا بأن باقي الأسئلة سهلة جدًا وفي متناول أي قارئ عادي، هذا للعلم.

عمر كمال شباره

مصر ـ كفر الزيات

التحرير:

نشكر لك تواصلك مع المجلة، ونؤكد لك أن الغرض من أسئلة المسابقة لم يكن لتعجيز القراء بقدر ما هو دافع وحافز لهم إلى البحث والتنقيب في بطون الكتب، تنشيطاً لذاكرتهم، وتعميمًا للفائدة المرجوة من البحث في كتب التراث،ونتمنى لك الفوز بإحدى جوائز المسابقة في السحوبات القادمة.

تساؤلات

رسالتي هذه تحمل بعض التساؤلات التي أتمنى أن أجد الإجابات الشافية عنها:

ما هو سبب تأخر أو تأخير:

ـ طباعة المجلة عن وقتها المحدد والمتعارف عليه منذ بداية صدورها حتى وقت قريب؟

ـ صدورها في بداية كل شهر «بالفعل والواقع» وليس بالكلام؟

إخواني ... أسرة المجلة ..

أنا أحد متابعي المجلة، ومن المشاركين في مسابقتها منذ نحو ثلاث سنوات، ومن مواطني محافظة الغاط شمال غرب العاصمة الحبيبة الرياض ٢٦٥ كم، أعاني تأخر وصول المجلة، أرجو أن يتم توزيعها في بداية الشهر.

فعلى سبيل المثال عدد ٣٢٣ لشهر جمادى الأولى تم توزيعه في الأسبوع الثاني من شهر جمادى الآخرة، ومن شروط المسابقة وصول الإجابات بعد «صدور العدد بخمسة وأربعين يومًا»، لكن عندما يتأخر توزيع المجلة إلى شهر أو أكثر، فكم يبقى من المدة المحددة لاستقبال الإجابات، خصوصًا أن بعض الأسئلة تحتاج إلى البحث عن إجابات، ومعنى ذلك ضياع المدة المحددة، أو وصول الإجابات بعد

نهاية المدة المحددة.

فهل من حل لهذا الوضع ؟؟؟

علي بن سليمان بن علي الطيّار

مدينة الغاط ـ السعودية

التحرير:

نشكرك على رسالتك، وقد شرحنا في أكثر من مرة سبب تأخر المجلة في الأشهر الماضية، وقد بذلت هيئة التحرير جهدًا مضاعفًا في سبيل أن تصل المجلة إلى قرائها في الوقت المحدد، ونطمئنك والقراء أن المجلة سوف تنتظم في الصدور ابتداءً من هذا العدد.

أما بخصوص المسابقة في الأشهر الماضية فقد تم تمديد مواعيد وصول إجابات القراء، وذلك لإتاحة الفرصة لأكبر عدد منهم في المشاركة، كما أن المسابقة هي آخر ما يصل من الصفحات إلى المطبعة.

استدراك

تشرّبني السرور وأنا أتسلم العدد ٣٢٣ من مجلتي المميزة «الفيصل»، وإذ أشكر لكم نشركم لقصيدتي «الزهر والهدايا». أتمنى منكم أن تستدركوا الخطأ الذي نعتقد أنه سقط منكم سهوًا حيث جاء البيت الثامن من القصيدة:

أَخْشى عَلَى تَفَتُّحِي

كَزَهْرَةِ البَرَارِي

والصحيح:

أَخْشَى عَلَى تَفَتُّحِي كَثِيرًا

تَفَتُّحِي كَزَهرَةِ البَرَارِي

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عميرش لمين

قسنطينة – الجزائر

التحرير:

نعتذر للأخ عميرش عن الخطأ غير المقصود الذي وقع في قصيدته «الزهر والهدايا»، ونحن إذ ننشر التصحيح الذي بعث به، نرحب بمشاركاته، وبمشاركات الإخوة القراء الأفاضل.

ردود سريعة

الأخ عمر محمد عيد الزامل ـ ريف دمشق ـ سورية:

نشكر لك إطراءك للمجلة وما ينشر فيها، ونأمل أن نكون عند حسن ظن جميع قرائنا، ونرحب بك أخًا جديدًا ينضم إلى أسرة الفيصل، ونرجو مساهماتك وآراءك ومقترحاتك بخصوص تطوير المجلة، ونتمنى لك الفوز بإحدى الجوائز في السحوبات القادمة.

الأخ سلامة حسن الكساسبة ـ العقبة ـ الأردن:

رسالتك وصلت وها نحن أولاء نرد عليها، وكذلك مشاركتك في مسابقة العدد (٣٢٣) ونتمنى لك الفوز في سحب الجائزة الذي يخضع لمعايير معينة تتسم بالنزاهة والمساواة بين جميع القراء.

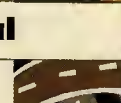
الأخ عبدالعزيز محمد السيد عمر سماحة ـ الدقهلية ـ مصر:

نشكرك على رسالتك، وقد شرحنا المعالجات التي قامت بها أسرة التحرير من أجل توفير فرصة المشاركة لأكبر عدد من القراء في المسابقة، ونعدك أن نخضع اقتراحك بخصوص المسابقة لمزيد من المشاورة، التي هي ديدننا مع كل اقتراح يصل من قراء المجلة، مع أمنياتنا لك بالتوفيق في الفوز في الأيام القادمة.

الأخ الخضر العزاوي ـ المغرب:

نشكرك على رسالتك التي جاءت تحمل في طياتها بعض الأبيات الشعرية التي تمجد (الفيصل) وتثني على ما ينشر فيها، أما بخصوص إنهاء دراستك هنا في الرياض، فهذا خارج عن اختصاصات المجلة، ونتمنى لك التوفيق في دراستك حتى تصبح عالمًا ومعلمًا ومربيًا.





مصياف: تاريخ عريق وم

...ـــوقـع متـجـدد

محمود شاهين
دمشق ـ سورية

ضمن إطار برنامج دعم المدن التاريخية الذي أُسس عام ١٩٩٢م، تقوم مؤسسة الآغا خان للثقافة منذ عام ٢٠٠٠م، بترميم قلعة مدينة مصياف وسوقها القديم، إضافة إلى قلعة حلب، وقلعة صلاح الدين الواقعة إلى القرب من مدينة الحفة في محافظة اللاذقية، وذلك بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية.

يهدف برنامج دعم المدن التاريخية إلى إحياء التجمعات الحضرية التاريخية في العالم الإسلامي، ويركز في أنشطة الترميم ودعم مشاركة المجتمعات المحلية والتدريب، وبناء المؤسسات المحلية، وتوجد المشروعات السابقة واللاحقة للبرنامج في هونزا «شمال باكستان» والقاهرة، وزنجبار، وسمرقند، وغرناطة ... وأخيرًا سورية. تتضمن هذه المشروعات المحافظة على المعالم الأثرية، وتطوير التجمعات السكنية في الأماكن الداخلية العامة الكبرى المفتوحة، في إطار المدن التاريخية أو المجاورة لها.

مشروع سورية

تشكل مؤسسة الآغا خان للثقافة The Aga Khan Trust for Culture جزءًا من شبكة الآغا خان للتنمية The Aga Khan Development Network التي هي مجموعة وكالات ومؤسسات تنموية تعمل على تحسين نوعية الحياة وفرصها في مجالات الصحة والتعليم والاقتصاد والثقافة والتنمية الريفية، وكذلك المساعدة الإنسانية في بعض الدول في إفريقية وآسيا والشرق الأوسط، ومن أهم أنشطة هذه المؤسسة وأبرزها: جائزة الآغا خان للعمارة Akaa وبرنامج الآغا خان للعمارة الإسلامية Akpia وبرنامج دعم المدن التاريخية Hcsp.

تقوم المؤسسة من خلال برنامج دعم المدن التاريخية، بجهود مباشرة تهدف إلى إحياء النسيج العمراني والثقافي والاجتماعي للمواقع التاريخية في العالم الإسلامي من خلال حماية الأبنية التاريخية وترميمها وإعادة استخدامها، وقد قام البرنامج حتى الآن بتنفيذ نحو عشرين مشروعًا في ستة بلدان هي: الباكستان، وزنجبار، وسمرقند، والبوسنة، ومصر، وسورية.

وتعدّ مشروعات مؤسسة الآغا خان للثقافة في سورية من أحدث أنشطة برنامج دعم المدن التاريخية، فقد تم إجراء دراسة تحليلية لتقويم مختلف القلاع والمواقع التاريخية في سورية، وقد تضمن التقويم معايير مختلفة منها: الأبنية المتبقية في الموقع Architectural Remains وأهمية الموقع Sitepotential وإمكانية الوصول إليه Accessibility وضرورة الترميم للحفاظ على البناء Urgency of Interveution. وقد أدت هذه الدراسة إلى اختيار ثلاثة مواقع هي: قلعة مصياف، وقلعة صلاح الدين، وقلعة حلب. وقد تم وضع خطة لإنجاز أعمال الترميم خلال السنوات ٢٠٠٠ـ ٢٠٠٣م، يمكن من خلالها ترميم أجزاء من هذه القلاع، ولا سيما الأجزاء التي تحتاج إلى المداخلة الطارئة، وتقديم المساعدة الفنية في

تقانات الترميم الحديثة، وتدريب العاملين في هذا المجال، بالإضافة إلى تأهيل هذه المواقع التاريخية والاستخدام الملائم لها وتزويدها بمستلزمات الجذب السياحي، والخدمات اللازمة وكذلك حماية بيئة هذه المواقع من خلال وضع ضوابط لاستخدامات الأرض في المناطق المحيطة بهذه المواقع.

مصياف: بلد الآثار الخالدة

تحت هذا العنوان، وضع الأستاذ محمود أمين دراسة مؤلفة من ثماني صفحات، قسم فيها آثار مدينة مصياف قسمين:

- مصياف القلعة.
- مصياف المدينة.

وفي الحالين: إن مصياف القلعة أم المدينة، فالاسم ملتصق بهما معًا، وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين، وخصوصًا مؤرخي العرب في تسميتها، فقد أدى ذلك إلى تعدد أسمائها. من ذلك اسمها الحالي «مصياف» فقد أجمع على هذا الاسم مجموعة من المؤرخين منهم ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان»، والقلقشندي في كتابه «صبح الأعشى»، و أبو الفداء في كتابه «تاريخ أبي الفداء»، ومحمد كرد علي في كتابه «خطط الشام».

ويُعيد المؤرخون هذه التسمية إلى كون مدينة مصياف موقع اصطياف للموسرين من سكان أواسط بلاد الشام، الذين ابتنوا قصورًا ومساكن في سفوحها الخصيبة، ذات الينابيع العذبة، ويأتون إليها أيام الصيف، فتكون منتجعًا لهم.

وهناك من يدعوها «مصيات» وقد أوردها ابن القلانسي في كتابه «ذيل تاريخ الشام»، وابن الأثير في كتابه «الكامل»، كما جاءت بما كتبه ابن مسعود، والمقدسي.

أما اسم «مصياب» فورد بما كتبه عرضًا ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان»، كما ورد أيضًا في



الجهة الشرقية لمدينة مصياف



إطلالة من القلعة على المدينة

الموسوعة الإسلامية باللغة الفرنسية. ويؤكد ياقوت الحموي أن أهل الريف لا يزالون يطلقون عليها اسم «مصياد» وقد أعاد المستشرق «فان برشم» هذه التسمية إلى كونها كثيرة الخضرة والغابات والبساتين، مما جعلها موقعًا للصيد.

وتضم مدينة مصياف إلى جانب قلعتها الشهيرة، مجموعة أخرى من الآثار الخالدة منها: سور المدينة وأبراجه، وأبواب المدينة، وخانات المدينة، إضافة إلى بعض المباني الأخرى المتنوعة والكثيرة.

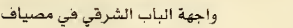
مصياف: الموقع

تحتضن مدينة مصياف سفح جبل القاهر المكسو بغابات كثيفة من شجر السنديان والبلوط والعرعر والغار والنباتات البرية المختلفة. تعلو عن سطح البحر نحو ٦٥٠مترًا، وتبتعد عن مدينة حمص بنحو خمسين كيلو مترًا، وعن مدينة حماة التي تتبع لها إداريًا بخمسة وأربعين كيلو مترًا، وعن بانياس الساحل السوري بخمسين كيلو مترًا، تمتد أمامها سهول الغاب الخصبة، وتشكل منطقة ربط مهمة للمواصلات بين الساحل والداخل وكذلك مركزًا تجاريًا رئيسًا لمنطقتها المترامية الأطراف، والكثيفة السكان. وتحتوي منطقة مصياف على عدد كبير من الينابيع ومراكز الاصطياف المهمة كوادي العيون واللقبة والزاوية، والمدينة نفسها التي لا تزال فقيرة جدًا بمراكز الخدمات السياحية أو مقومات الصناعة السياحية، وهذا ما تسعى إلى تحقيقه مؤسسة الآغا خان من خلال إحياء النسيج العمراني القديم للمدينة والقلعة والسور، وإحياء الصناعات والحرف الشعبية التي كانت سائدة فيها.

قلعة مصياف

تتوضع قلعة مصياف على حافة الجبال الغربية الممتدة من الشمال إلى الجنوب، في موقع ذي أهمية كبرى، هدف بُناتها الأوائل منه إلى تحقيق هدفين كما يرى الأستاذ محمود أمين:





واجهة الباب الشرقي في مصياف



سور المدينة وقلعتها

الأول: الهدف العسكري: إذ يعيد المؤرخون والباحثون الآثاريون بناءها إلى العهد الروماني والبيزنطي، وذلك لتأمين الطرق العابرة لقواتهم بين البحر الأبيض المتوسط والسهول الداخلية عبر هذه الجبال، لوجود قوة عسكرية فيها، تمنع أن تكون هذه الجبال معقلاً للعصابات المضادة، أو ملجأً للقراصنة وقطاع الطرق.

الثاني: الهدف الاقتصادي: تؤمن قلعة مصياف المواصلات باتجاهات أربعة بواسطة الطرق العابرة بها. فهي تؤمن الطرق العابرة للجبال من الداخل إلى الساحل كالطرق الذاهبة إلى بانياس الساحل عبر الجبال مارة بقلعتي القدموس والعليقة ثم بقلعة المرقب للوصول إلى البحر. وأما الطريق الثانية فهي المارة عبر الجبال ووادي العيون فقلعة الخوابي والوصول بعدها إلى مدينة طرطوس. وأما الطريق الثالثة فهي العابرة عبر الجبال إلى وادي النصارى، فبرج سليمان، وقلعة صافيتا، والوصول إلى طرابلس الشام. ومجمل هذه الطرق تعبر الجبال بمسالك مهمة بالنسبة إلى الرومان ثم البيزنطيين.

أما الطرق الأخرى فتقود إلى الغاب وحمص وحماة، مما جعل من مصياف وقلعتها، موقعًا إستراتيجيًا مهمًا من الناحيتين العسكرية والاقتصادية، عبر مراحل التاريخ المختلفة.

تحتوي قلعة مصياف على ثلاثة نماذج من الأبنية وهي:

- القاعدة.
- الأبراج الخارجية.
- الأبراج والمباني الداخلية.

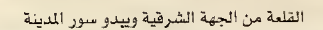
يوضح الأستاذ محمود أمين أن القاعدة بنيت بأكملها فوق كتلة صخرية ذات قاعدة بيضوية منحتها شكلها المؤلف من طابق سفلي يضم مستودعًا للماء وآخر

للتموين، إضافة إلى بعض الأقبية التي اعتمدت كإصطبلات للخيل. أما سطوح القاعدة فتشكل الشرفة الأولى للقلعة من جميع جهاتها، وتستعمل كخط دفاعي أول للقلعة من جميع جهاتها.

وقد بني حول هذه الشرفة من الخارج سور لم يبق منه إلا جزء صغير أمام بوابة القلعة، حيث يظهر فيه وسائل الدفاع من «مزاغل» دفاعية، وخرجات المنجنيقات.

أما الأبراج الخارجية للقلعة، فمؤلفة من طابقين تشكل بمجموعها الطابقين الثاني والثالث.

الطابق الثاني أول ما يظهر من القلعة، وقد تميز باحتوائه على أبراج عالية مزودة بوسائل دفاعية متنوعة منها: مساقط الزيت المحرق، والكلس المطفأ، وعدد من المزاغل الدفاعية البارزة فوق الباب التي تشكل بمجموعها جزءًا من الطابق الثالث الذي يرتكز على سطوح الطابق الثاني، وهو مؤلف من مجموعها أبنية بينها أبراج دفاعية، وممرات وسراديب وشرفات.



القلعة من الجهة الشرقية ويبدو سور المدينة



أما القسم الداخلي من القلعة الذي بناه سنان راشد الدين بعد أن اتخذ من قلعة مصياف مركزًا وعاصمة لقلاع الدعوة الإسماعيلية في الجبال، فيتألف من مساكن وغرف، وهو خال من وسائل الدفاع إلا من بعض أطرافه، ويشكل هذا القسم الطابق الرابع من القلعة.

مدينة مصياف

يقول الأستاذ محمود أمين: إن غالبية الباحثين العرب وفي مقدمتهم القلقشندي، وياقوت الحموي يقولون: إن قلعة مصياف أسبق بناءً من المدينة، وهناك شبه إجماع على أن القلعة بنيت في العهد الروماني، واشتهرت في العهد البيزنطي وما بعد، أما المدينة فقد بنيت في العهد الإسلامي، وبخاصة في العهد الأموي في زمن عبدالملك بن مروان إذ استتب الأمن في ربوع البلاد، مما شجع الكثير من الناس على أن يستوطنوا قرب القلعة، مستفيدين من مرور قوافل التجار، أو العمل في الزراعة، مستفيدين من الربوع الخصيبة، ذات المياه الوافرة الممتدة غرب القلعة في السهول ومداخل الأودية وكانت مصياف في نشوئها الأول قرية صغيرة يتوقف فيها المسافرون مع القوافل المارة باتجاهات السير الكثيرة التي تعدّ مصياف عقدة اتصالات، ومركزًا للراحة بعد طول الترحال.

أما اليوم، فقد توسعت المدينة، وغطت أبنيتها الحديثة الكثير من مظاهرها الحضارية القديمة، بسبب عدم الحاجة إليها، فسورها أصبح ركامًا في عدد من مواقعه، وأصبح داخل المدينة تختلط أبنيته مع الأبنية الحديثة، كما أن البيوت القديمة لم تعد تليق بالتقدم العمراني الذي سارت فيه المدينة.

ويمكن تلخيص المظاهر الحضارية في المدينة بسور المدينة وأبراجه، وأبواب المدينة وخاناتها، وبعض المباني المتنوعة المتناثرة ضمنها.



أعمال الترميم في أبراج القلعة

تاريخ حافل

أكد الباحثون أن الطابقين الأول والثاني من قلعة مصياف تم بناؤهما من قبل الرومان، كما أن الأبراج الدائرية حول النتوء الصخري تعاصر هذا العهد وتستمر في وجودها إلى العهد البيزنطي حتى عام ٥٥٠م، لكن ما بناه الرومان والبيزنطيون تداخل فيه الكثير من الترميمات التي جاءت في العهد الإسلامي، وذلك لتعاقب الزلازل، وتهدم الحواشي السائبة غير المرتكزة على القاعدة الصخرية التي بنيت عليها القلعة أصلاً.

ويؤكد الأستاذ محمود أمين أن هذه الترميمات جاءت مخالفة لفن البناء الروماني، وتعددت في أنواعها وأساليب بنائها حسب العصور المتعاقبة التي كان يقوم بها ساكنو القلعة، للمحافظة عليها قوية، يمكن الالتجاء إليها للاحتماء فيها من الأخطار الوافدة إبان العصور المتلاحقة.

ويرى الأستاذ ميشيل لباد أن قلعة مصياف بعد الفتح الإسلامي، كانت تابعة لمدينة حمص خلال الحكم الأموي، ولكنها تبعت الطولونيين في مصر خلال حكم أحمد بن طولون، ومن ثم ظهرت أهميتها في عهد الإخشيديين والحمدانيين، إذ احتدمت المنافسات من القوى الحاكمة في بلاد الشام ومصر، مما أعاد لقلعة مصياف أهميتها الإستراتيجية.

وعندما قامت إمارة الإسماعيليين في قلاع الجبال الغربية، وملكوا قلاع الكهف والقدموس والخوابي في عهد الداعي الإسماعيلي أبي محمد اتجه لتملك قلعة مصياف عام ٥٣٥ إلى عام ١١٤٠م، مستفيدًا من تجمع الإسماعيليين بعد نكبات متلاحقة في كل من مدينة حلب ودمشق، إبان الحكم السلجوقي في بلاد الشام.

ويؤكد الأستاذ محمود أمين أن اهتمام الداعي أبي



عمليات الترميم داخل القلعة

محمد بتحصين قلعة مصياف كان بدافع صد الهجوم الصليبي المرتقب، وبخاصة بعد تملكهم قلعة بعرين بواسطة قوات الهسبارتية الطامعة في التوسع شرق الجبال الغربية بما فيها من مصادر اقتصادية، وقلاع محصنة من أمثال قلعة مصياف وقلعة الحصن. في عهد الزعيم الإسماعيلي سنان راشد الدين ، طال الاهتمام قلعة مصياف لعدة أسباب منها:

- جعل القلعة عاصمة لقلاع الجبال كلها، ومركز القيادة والإدارة.
- جعل مصياف سوقًا رئيسًا لتموين القلاع والتجارة الداخلية والخارجية ونتيجة لهذه الخطة، قام سنان راشد الدين بإجراء الكثير من الأعمال فيها، منها:
- أعمال عمرانية في القلعة أصابت الأجزاء العلوية منها.
- أعمال عمرانية في المدينة كتوسيع الأحياء، وبناء الخانات، وإعادة توسيع سور المدينة.
- أعمال منشآت خارج مصياف، ومنها بناء برج القاهر الذي يقع على السفوح الجبلية المطلة على مصياف قلعة ومدينة، وكانت منوطة به مهمة الاتصال من مصياف القلعة إلى القلاع الأخرى التابعة لإمارة سنان راشد الدين بواسطة الإشارات الضوئية والحمام الزاجل الذي ينقل رسائل الإعلام، وتتم الاتصالات عبر الجبال بواسطة مجموعة من الأبراج المبنية على قمم المرتفعات باتجاه القلاع الرئيسة مثل: قلعة الكهف والخوابي وأبي قبيس والقدموس. كما قام سنان راشد الدين بشق الطرق بين مصياف والقلاع الأخرى، بحيث تؤمن المواصلات، وعلى الرغم من أنها طرق جبلية فهي ممرات توصل بين القلاع بواسط الدواب.

وهكذا استمرت إمارة القلاع الإسماعيليّة ذات فاعلية، بإدارة الدعاة الحكيمة مدة طويلة، لم يؤثر فيهم الأعداء الكثر، ولا الاجتياح المغولي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

ترميم وتطوير

تجري الآن في مصياف وقلعتها عمليات ترميم واسعة تقوم بها مؤسسة الآغا خان بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية، وتطال هذه العمليات ترميم القلعة للحفاظ عليها، وتدعيم جدرانها المتصدعة، وفق الأصول الفنية والتاريخية، كما تقوم المؤسسة بالحفاظ على النسيج العمراني القديم لمدينة مصياف وإحياء الحرف والمهن القديمة التي اندثرت أو كادت تندثر، من خلال إعادة تأهيل العاملين في حقولها المختلفة، وتأمين فرص التسويق لمنتجاتهم، عبر معرض دائم لها في القلعة.

كما سيتم إنشاء «بيت الزوار» في بهو واسع ضمن القلعة، يحوي منشورات ولقى أثرية ومخطوطات ومجسمات وغيرها، إضافة إلى كافتيريا لتخديم زوار

القلعة، وسيعود مردود هذا البيت على القلعة نفسها، بهدف استمرارية عملية الحفاظ عليها وخدمتها بشكل دائم.

تقوم هذه الأيام عدة ورشات بالعمل داخل القلعة وعلى أسوارها وجدرانها الخارجية بإشراف الخبير الإنجليزي طوني ستيل، وقد تم حتى الآن ترميم معظم الجدران الخارجية والداخلية في القلعة وتدعيمها

أعمال الترميم في سوق مصياف القديم



عمليات الترميم في السوق الصغير

وتعزيلها من الأتربة وتوثيق نسجها العمراني وترميم وتدعيم إنشائي مدروس، بالاعتماد على مخططات مهندس العمارة الألماني ميخائيل براونة التي نفذها في الثمانينيات من القرن الماضي على الطبيعة مباشرة، وقد تمكنت الورشات العاملة في القلعة من اكتشاف فراغات جديدة فيها لم يتمكن براونة من الوصول إليها آنذاك، وقد قامت مؤسسة الآغا خان بدعوته إلى زيارة موقع العمل، وحصلت منه على جميع الوثائق والمخططات المتعلقة بالقلعة.

في زيارة ميدانية لمواقع العمل في قلعة مصياف، أكد العاملون هناك أن المهمة الرئيسة لهم الآن هي المحافظة على القلعة، وتدعيم الجدران المتصدعة فيها، دون إضافات إلا حين الضرورة، وهذه العمليات تتم وفق الأصول الفنية والتاريخية الدقيقة، بمعنى أن مهمتهم الأساسية إنشائية، أي مداخلات للحفاظ على ما هو قائم، ويتم ذلك بواسطة مادة «الستانلستيل» غير القابلة للصدأ وغير الظاهرة للعيان، وبالمواد القديمة المستخدمة في بناء القلعة أي «الملاط الكلسي». كما تتم إعادة النظر بجميع الترميمات القديمة التي أجرتها المؤسسات الرسمية السورية في القلعة، وأدخلت خلالها مواد وخامات حديثة وهجينة كالأسمنت، حيث تتم إزالتها واستبدال الحجر والكلسي بها، وفق ما كانت عليه قديمًا. كما يتم تجديد بعض الزخارف في الأسقف، وإعادة الأقواس كما كانت. وقد تم الكشف عن فرن القلعة وهو بكامل مقوماته، وعدد من السراديب، ومصبغة، وعدد من الآبار وقنوات تجميع المياه، وتجري الآن عمليات الكشف عن المدخل الرئيس للقلعة والدرج الذي يقود إليها من الخارج. وهناك خطة لإضاءة القلعة والحفاظ على علاقتها بمحيطها الطبيعي وسور البلدة، وقد تمت إزالة عدد من المساكن التي بنيت في حرمها وغطت عليها، بهدف



واجهة المدخل الرئيس بعد ترميمه

كشفها وإحاطتها بالحدائق ومواقف الباصات وهناك أيضًا مشروع تحسين المدينة وتطويرها عبر تأهيل المدينة القديمة بالمحافظة على الأبنيةِ القديمة فيها، وتحسين منطقة الأسواق، وخلق تسهيلاتٍ جذب للسياحة، وتقديم تصاميم بناء كي يتم اعتمادها من قبل أصحاب الأراضي والمنازل، ضمن إطار الحفاظ على المدينة القديمة ونسيج البناء فيها.

كذلك يتم تطوير تصور لتخطيط بيئي مدني يشمل استخدام الأرض حول القلعة وأهمية الحفاظ على القلعة ظاهرة للعيان من الجهات كافة، ويتم ذلك عبر دراسة تفصيلية تتضمن:

أولاً: مراجعة المخطط الحالي للمدينة وتأكيد أهمية الحفاظ على السهل الواقع شرق القلعة، وعدّه محميّة طبيعية، وذلك لأهمية العلاقة التاريخية للسهل مع القلعة، وما لذلك من تأثير حسي وبصري.

ثانيًا: المحافظة على جدار سور القلعة.

ثالثًا: عدد من مشروعات التطوير والتحسين في المنطقة المحيطة بالقلعة لضرورة تأمين الخدمات ومستلزمات صناعة السياحة.

وبهدف تحقيق حالة النهوض الشاملة هذه، تقوم مؤسسة الآغا خان للثقافة بوضع الدراسات اللازمة لتطوير أسس عمرانية لإحياء تراث مدينة مصياف، وترميم قلعتها، كما وضعت تصورًا متكاملاً لخطة إنعاش اقتصادي للمنطقة ودراسة للتخطيط البيئي فيها.





أي دور لمتعلمينا في محاربة التـ

ـفكير الخرافي؟

الزبير مهداد

الناظور ـ المغرب

تتبع الكثير من القراء التحقيقات الصحفية التي نشرتها بعض الصحف الوطنية حول ظاهرة الشعوذة والتنجيم "العِرافة" ومدى انتشارها، ونوعية "زبائن" المشتغلين بهذا القطاع، المستهلكين لخدماتهم، وبيّنت التحقيقات أن شريحة كبيرة من المتعلمين والموظفين حاملي الشهادات الجامعية، يترددون على هؤلاء المشعوذين، ويسعون لاستشارتهم لاستكشاف الغيب ومعرفة الطالع، أو رغبة في علاج داء أو جلب حظ أو دفع مكروه.

إذا كان انتشار أشكال الشعوذة والتفكير الخرافي في مجتمع فيه الأغلبية من غير المتعلمين كمجتمعنا مقبولاً إلى حد ما، فإنه ليس مستساغاً ألبتة أن نرى تمسك المتعلمين بالخرافات، واستهلاكهم خدمات المشعوذين، وعزوفهم عن التفكير العلمي الذي يقتضي تحديد المشكلات وعزلها وملاحظتها، واستنباط الأحكام من التجارب والاستقصاء، ووضع الفرضيات وتقليب النظر الذي يتميز بروح النقد وحب الاستطلاع وفهم الواقع وإدراك متغيراته ومواقع مكوناته فيها، وتقدير العلم وجهود العلماء وإسهاماتهم في تحقيق الرفاه البشري، وحل المشكلات الإنسانية.

التخبط الفكري والتخلف الاجتماعي

يذكر مصطفى حجازي أن هناك ملامح ذهنية للتخلف، تبدو بارزة عند موازنتها بما هو سائد في المجتمعات المتقدمة التي تتميز بالسير نحو مزيد من التجرد من الانفعال، وتنحو نحو الموضوعية، بينما تفكير الناس في المجتمعات المتخلفة ما زال أسِير الانفعال والذاتية والغيبية (١).

ومن الخصائص الذهنية السائدة في المجتمع المتخلف، اضطراب منهجية التفكير، وقصور الفكر الجدلي، وما يترتب عليهما من صعوبة السيطرة الذهنية على الواقع، فهناك عجز عند الإنسان المتخلف في مواجهة الظواهر الطبيعية والحياة والعلاقات، يجعله خاضعًا مستسلمًا تجاه ما يبدو عليها من غموض وتداخل، تبدو له ظواهر الحياة والمجتمع أقوى من طاقته على الاستيعاب، وهو لذلك يتوسل بوسائل سحرية أو خرافية لسد هذا النقص (٢).

لا شك أن تفشي الأمية في بلادنا مسؤول عن استمرار الذهنية غير العلمية التي تسيطر عليها الخرافة، إلا أن اللافت للنظر هو استمرار العقلية المتخلفة على الرغم من الانتشار النسبي للتعليم في بلادنا وفي الشرائح التي بلغت درجات متقدمة في الدراسة.

لعل العلة تكمن في نوع التعليم وطرائقه، ومدى تأثيرهما في أنماط السلوك وفي تغيير العقلية، فنظام التعليم ببرامجه وطرائقه لم يستطع أن يؤثر في السلوك، ولا يغير النظرة إلى الواقع والمحيط المادي التي اكتسبها الصبي منذ طفولته في أسرته ومحيطه الاجتماعي.



دور المدرسة العلاجي والوقائي

يربط علماء النفس بين التفكير وطريقة حل المشكلات، ويعرفون التفكير بأنه النشاط العقلي المعرفي الذي يرمي إلى حل مشكلة ما، فإذا كان تفكير الفرد عقلانيًا، كان سلوكه سويًا، وكان حله للمشكلات يتم بطريقة متبصرة واعية، أما إذا كان تفكيره غير عقلاني، فإن سلوكه يكون غير سوي تجاه المشكلة، ومن ثَمَّ فإن مساعدة الأفراد على اكتساب العقلانية في التفكير تعزز استجاباتهم السوية، وهو الدور الذي نعول على تعليمنا أن يؤديه في عقول المتعلمين، حتى يكون سلوكهم سويًا يصدر عن روية ووعي وتبصر، ويدل على تفكير علمي يحدد الظواهر ويلاحظها، ويفرز المشكلات ويرتبها، ويضع الفرضيات ويجربها، ثم يستنبط منها الأحكام ويعممها.

وهنا يبرز الدور الريادي للمدرسة في تصحيح طرائق تفكير المتعلمين، ودحض التفسيرات الخاطئة للأحداث، والحلول غير الواقعية للمشكلات، ودفع المتعلمين بأنفسهم إلى تفسير علمي عقلي للكثير من الظواهر التي يعيشونها؛ وذلك عن طريق تمكينهم من الأسلوب العلمي في التحليل، وتنمية جملة من المهارات والاتجاهات والمواقف لديهم، فالمدرسة لا تعلم العلوم بصفتها سجلاً للمعارف والحقائق والمنجزات والابتكارات المتراكمة فقط، بل بوصفها طريقة للتفكير المنهجي الذي يتميز بالتنظيم المنطقي، فقيمة العلوم لا تكمن في كونها مجموعة من الحقائق الثابتة والمكتشفات التي تم الوصول إليها عن طريق التجربة والبحث والتقصي، بل في كونها طريقة للتفكير المنظم والبحث المنهجي المؤدي إلى تلك المكتشفات والمبتكرات «ليست العلوم سلسلة لإجابات مؤكدة من غير بينة أو دليل، ولكنها أسلوب منطقي لحل المشكلات، والعلوم ليست مطلقة، لكنها بحث دقيق عن الحقيقة» (٣).

لكن السؤال المطروح هو: هل يمكن لأي تعليم أو أي طريقة تعليمية أن تؤدي إلى الحد من انتشار التفكير الخرافي وبث التفكير العلمي في النشء؟ يسرد الدكتور عبدالرحمن عيسوي في معرض الإجابة عن هذا السؤال نتائج عدد من البحوث والدراسات الحقلية العربية والأجنبية، فإذا وجد الدكتور زعرور أثرًا لارتفاع المستوى الدراسي وللتعليم العلمي في الحد من انتشار التفكير الخرافي في المجتمع اللبناني، فإن النتيجة التي توصل إليها الباحث الإنجليزي لورد تَتَوخَّى مزيدًا من الدقة، وتميط اللثام عن غموض هذا التعميم الذي توصل إليه زعرور وعموميته؛ إذ تؤكد نتيجة بحثه أن العلاقة منخفضة بين التحصيل العلمي كما يدرس تقليديًا وانكماش المعتقدات غير العلمية، وتتفق هذه النتائج مع نتائج بحث أنجزه زايف (٤)؛ يقترح لورد أن تأثير التعليم يصبح أعظم عندما يوجه بنوع خاص إلى المعتقدات غير المؤسسة على أسس علمية «التمثلات الخاطئة»، ويؤيد هذا الاقتراح كثير من علماء النفس، إن طريقة التدريس هي المهمة، وليس حشد الحقائق في ذهن التلميذ. إن تكوين الاتجاه العلمي أو تنمية عادة التفكير العلمي الموضوعي هي التي تؤثر في شخصية المتعلم (٥).

فالطريقة التعليمية التقليدية التي يقتصر فيها دور المعلم على تقديم المعرفة الجاهزة دون إشراك الطفل في تعرفها واختبارها لا تؤثر في طريقة تفكير الطفل ولا تساعدها على التطور والنمو، كما أن عدم التصدي

للمفاهيم الجاهزة لدى التلاميذ وتمثلاتهم السابقة الخاطئة ومناقشتها معهم، لا تتيح لهم المجال لتصحيح أفكارهم واستبدال حقائق علمية بخرافاتهم، إن إحدى أهم القواعد العلمية في التعلم تؤكد أن أكثر الحقائق حيوية وأشدها تأثيرًا في سلوك الفرد هي تلك التي يكتشفها ويصل إليها بنفسه، وليست تلك التي نلقنها إياه ليحفظها، ويُخْتَبَر في قدرته على استرجاعها عن ظهر قلب؛ فللعمل العقلي على التجربة أفضلية خاصة بخلاف اللغة (٦).



الأبراج الصينية

أي دور لدرس العلوم؟

لقد اقترح الكثير من المربين استخدام مادة العلوم وسيطًا تعليميًّا يساعد على بناء الاتجاه العلمي عند الأطفال، وفي هذا يوضح كل من شيدت ووركاسل أن التدريس الجيد للعلوم يُكَوِّن لدى التلاميذ الاتجاه العلمي لحل المشكلات، حيث الملاحظة والاختبار والتفكير والبرهان...، وكذلك هو تدريب على الأمانة والدقة والموضوعية واحترام آراء الآخرين، والبعد عن اتخاذ القرارات والأحكام والتعاميم العامة غير الموثوقة (٧).

والعمل التربوي ببلادنا أيضًا يحاول الأخذ بمستجدات علوم التربية، ويحاول تأطيرها وفق التوجهات المجتمعية لبلادنا كمحيط اجتماعي يحتضن هذا العلم وينظمه، وفي هذا الباب أدرجت مادة العلوم ضمن مقرر المدرسة الأساسية، وجاء هذا الإدراج مسايرًا لإصلاح المناهج الذي بدئ به منذ نحو عقدين من الزمن، لتحل هذه المادة الجديدة محل ما كان يعرف بدرس الملاحظة والتفتح العلمي الذي يعدّ امتدادًا لدرس الأشياء.

إن الأنشطة المقترحة لهذه المادة تجمع بين الطابع العملي والطابع الفكري والطابع العلمي في إطار منهاج العلوم التجريبية المقرر، تنمّي تفكير الطفل ومهاراته الحسية الحركية وقدراته العقلية على التصنيف والملاحظة والترتيب والتحليل والبحث، والغاية الكبرى من كل هذا هي بث منهج التفكير العلمي في المعلمين عن طريق تدريبهم على اتباع خطوات المنهج التجريبي حتى يطبقوها ويستوعبوها وتصبح وسيلتهم وطريقتهم في البحث والقيام بمختلف الأنشطة الفكرية والعملية، سواء داخل المدرسة أو في حياتهم اليومية، داخل بيئتهم المادية والثقافية التي تكتنفهم وتحيط بهم، ويكون هذا المنهج أداتهم لحل مشكلاتهم وفهم مختلف الظواهر المحيطة بهم (٨).

فإلى أي مدى تفلح مدرستنا في إكساب الطفل عادة

التفكير العلمي وخطوات المنهج التجريبي؟

بيّن نيومن أن العلوم ليست مجرد مجموعة من المعارف الثابتة يحفظها المتعلم ويقوم بتذكرها وتقديمها في امتحان تحريري، وأنها ليست سلسلة من تجارب يتم أداؤها في المختبر فقط، بل إن العلوم نشاط تعليمي يتناول القيام بمجموعة من الأنشطة العلمية تتضمن الملاحظة والتمعن في الكون، والبحث والاستقصاء بعمليات علمية يمارسها التلاميذ، للوصول إلى تأكيد لحقائق ومفاهيم معروفة، أو إلى حقائق جديدة، وربما حقائق أفضل، وتصحيح تمثلات خاطئة (٩).

هل تعليمنا المدرسي، وبخاصة في السلك الأول من التعليم الأساسي، قادر على تحقيق الغايات المصوغة؟، إن تعليمنا الذي ما زال يعاني هيمنة التلقين يؤدي دورًا سلبيًا في عملية بناء المعرفة عند الأطفال وتكوين المفاهيم العلمية.

لا يكفي لأجل تجديد التعليم إدراج مواد جديدة في المنهاج، بل الأمر يقتضي أن يتأسس هذا الدرس العلمي على تصور دقيق للتفكير العلمي والمنهج التجريبي، وتطوير طرائق التدريس، وخصائص المتعلم وحقائق النمو:

- فالتوجيهات الرسمية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية تسرد ضمن الأهداف التربوية العامة بنودًا هي في حقيقة أمرها صفات وخصائص يتميز بها التفكير العلمي (١٠).

فهذه التوجيهات نفسها تفتقد التنظيم المنطقي، فبدل تحديد الهدف من درس النشاط العلمي وقصره على إكساب التلميذ التفكير العلمي الذي يتميز بحب الاستطلاع، وروح النقد، والميل إلى التعاون، والاتجاه الإيجابي نحو حماية الموارد الطبيعية، وتقدير العلم وجهود العلماء وغير ذلك، وتعويد الطفل خطوات المنهج التجريبي من ملاحظة الظاهرة وتحديد المشكلة ووضع الفرضية وتنظيم التجربة واستنباط القاعدة وتعميمها، تكتفي التوجيهات في باب تحديد الأهداف النوعية بذكر خطوتين اثنتين، هما الملاحظة والتجريب، وتحشر التوثيق ضمن خطوات المنهج التجريبي حشرًا لا مسوّغ له، وكان حريًا بمؤلفي الكتاب أن يضعوا نصب أعينهم أنهم يصنفون وثيقة مرجعية تسهم في تنوير سبيل المعلم وتعميق تكوينه، وهذا ما لا يمكن أن يتحقق بذلك المصنف الذي يفتقد التنظيم المنطقي والدقة العلمية.

- تطوير في الطرائق التعليمية: إن الطرائق التعليمية وسلوك المعلمين وعلاقاتهم بالتلاميذ في المدرسة وداخل الفصول، يتبين عند تحليلها أنها تقليدية لا علاقة لها بأي نظرية علمية، ولا تتأسس على معرفة حقيقية بنفسية الطفل أو بقدراته العقلية والمعرفية. إن ما هو شائع في مدارسنا طرائق تبليغ تقليدية متوارثة، تعتمد أساسًا على «محورية دور المعلم الذي يلقن ويقرر ويحدد وينظم،

وعلى قصور المتعلم وسلبيته في مواقف النشاط والتعلم بكونه عنصرًا منفعلاً فقط، وعلى تجزيئية المواد الدراسية وترتيبها وفق اعتبارات منطقية» (١١).

- معرفة المعلم للمبادئ الأساسية المرتبطة بالمتعلم محدودة وضعيفة، فقليلاً ما نجد معلمًا ملمًّا بقدرات التلميذ ومستواه الإدراكي وأسلوبه المفضل في التعلم، وكذلك بعناصر التقنيات التربوية التي يمكن توافرها في المواقف التعليمية كافة، كالمواد والأجهزة والخبرات التعليمية والتسهيلات المادية، وبظروف وأساليب استخدامها أيضًا، هذه المعرفة لا يوليها المعلم أهمية تذكر على الرغم من أنها أداة ضرورية تساعد المعلم على تحقيق الأهداف التعليمية على أفضل صورة ممكنة. يقول بياجيه: إن الفائدة الرئيسة لنظرية النمو العقلي في مجال التعليم هي إتاحة الفرصة أمام الطفل ليقوم بتعلم ذاتي، فإننا لا نستطيع تنمية ذكاء الطفل بالتكلم معه فقط، لا نستطيع أن نمارس التربية بشكل جيد دون أن نضع الطفل في موقف تعليمي حيث يختار بنفسه ويرى ما يحصل، ويستخدم الرموز، ويضع الأسئلة ويفتش عن إجاباته الخاصة، رابطًا ما يجده هنا بما يجده في مكان آخر، مقارنًا اكتشافاته باكتشافات الأطفال الآخرين.

لا تستطيع المدرسة أن تكون محرك إبداع وعامل تقدم إلا إذا سادت فيها الروح العلمية؛ فالتقدم العلمي الذي يتمتع به كثير من المجتمعات اليوم لم يحدث نتيجة تحسن قدرات الإنسان الحسية، أو نتيجة تطوير طرأ على جهازه العصبي، إنما هو نتيجة لتحسن ظروف التربية والتعليم، ولإتقان أساليب التعلم في الضبط والتجريب والملاحظة والوصف والتحليل، وصياغة النظريات الكلية التي تفسر الظواهر، ووضع القوانين الطبيعية المضبوطة (١٢).

ولعل المدرسة بهذا تستطيع أن تسهم في بث التفكير العلمي ومحاربة التفكير الخرافي.

المراجع والهوامش

١- ٢- التخلف الاجتماعي: سيكولوجية الإنسان المقهور، مصطفى حجازي، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٤م، ص ٥٩.

٣- تدريس العلوم عن طريق طرح القضايا، جوس استجيست، ترجمة زينب محرز، مجلة مستقبل التربية، عدد (١)، ١٩٧٨م، ص ٧٤.

٤- ٥- سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، عبدالرحمن عيسوي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م، ص ٢١.

٦- علم تكوين المعرفة، مريم سليم، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٥م، ص ٢٤١.

٧- التقنيات التربوية اللازمة لمناهج العلوم الموحدة، مصباح الحاج عيسى، (توفيق أحمد العمري: مشارك)، رسالة الخليج العربية، عدد ٢٥، ١٩٨٨م، ص٦٩.

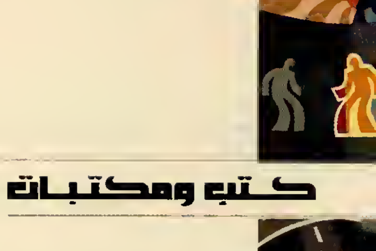
٨- وزارة التربية الوطنية: أهداف وتوجيهات تربوية، الرباط ١٩٩٧م، ص ١٤٤.

٩- مصباح الحاج عيسى،المرجع السابق نفسه.

١٠- انظر للمقارنة كتاب فؤاد زكريا: التفكير العلمي(منشورات المجلس الوطني للثقافة بالكويت، سلسلة عالم المعرفة) وكتاب عبدالرحمن عيسوي. التفكير الخرافي، مرجع سابق.

١١- تصلب الطريقة ومحاولات التجديد، محمد بيدادة، مجلة التربية والتعليم، عدد ٩-١٠، ١٩٨٤م، ص ٤١.

١٢- عبدالرحمن عيسوي: المرجع السابق، ص٣٩.



المكثرون من التصنيف في ال

ــقديم والحــديث

محــمـــد خـيـــر يوسـف

الرياض ــ السعودية

سبق أن نشرت قبل ثلاث سنوات كتابي المعنون "المكثرون من التصنيف في القديم والحديث: من صنف مئة كتاب، فألفًا، فأكثر" الذي أحصيت فيه جهود من ألف مئة كتاب أو أكثر، حتى الألف كتاب بل أكثر. وكذلك من صنّف الكتب الضخمة بما يوازي هذه الأعداد.

وبعد امتثال الكتاب للطبع، كما ذكرت في المقدمة تبين لي أنه فاتني ذكر بعض المؤلفين، ثم تجمعت لديَّ استدراكات جديدة، وتعقيبات مفيدة، وملاحظات على ما كتبت، يفيد بيانها القارئ والباحث، وقد تكتمل بها جوانب البحث عامة. فرتبت مسرد مؤلفيها على حروف المعجم، وأعقبتها بذكر بعض الأجانب، بينهم مستشرقون. مع توثيق كل معلومة من مصدرها. ورأيت نشرها تتمة للفائدة وخشية فقدها مع طول الأمد. والله الموفِّق.

والمؤلفون هم:

- إبراهيم أحمد السامرائي «ت ١٤٢٢هـ»، لغوي علاّمة، من العراق. معروف بأبحاثه اللغوية وتعليقاته وتحقيقاته. عددتُ له (٩٧) كتابًا، وله غيرها بالإضافة إلى ما هو مخطوط.

- إبراهيم بن عمر البقاعي، أبو الحسن (ت ٨٨٥هـ)، عالم شافعي كبير، نبغ في عدة علوم ومعارف، ونُعت بكثرة التأليف وجودته، عدَّد له باحث معاصر (٩٣) كتابًا، مبينًا المطبوع منها وغير المطبوع، وأماكن وجودها (١).

- إحسان عباس (معاصر) ذكر في ص «٦٨» أن له أكثر من «٧٠» كتابًا. وله ما يقرب من المئة، ما بين تأليف وتحقيق وترجمة (٢).

وقد عددتُ له من الكتب ٢٦ تأليفًا، و٥٣ تحقيقًا، و١٢ ترجمة، وتحريرين. والبحوث العلمية والمقالات النقدية ٦٤، ومراجعات الكتب ١٤(٣).

- أحمد جاب الله شلبي (ت١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) المؤرخ الإسلامي الموسوعي المعروف، من مصر. له أكثر من (١٠٠) كتاب، أشهرها: موسوعة التاريخ الإسلامي (١٠مج)، وموسوعة الحضارة الإسلامية (١٠ مج)، والمكتبة الإسلامية لكل الأعمار (١٠٠مج)، ومقارنةالأديان (٤ مج).

- أحمد جمعة الشرباصي (ت ١٤٠٠هـ) عالم وخطيب أزهري جليل. ذكر في المصدر أدناه أن مؤلفاته تربو على ٧٥ كتابًا، وفي موضع آخر منه أنها تربو على الـ ١٠٠ كتاب (٤).

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) يضاف إلى ماذُكر له في ص ٤٥: ذكر الباحث شاكر محمود عبدالمنعم في كتابه «ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته» (٥) أن السخاوي لم يستوعب كل مصنفاته. ثم عدَّد له ٢٨٢ كتابًا بالتوثيق، و٣٨ منسوبة إليه.

- أحمد بن العياشي سكيرج (ت ٣٦٣هـ) من رجال الثقافة البارزين بالمغرب. زادت تآليفه على ١٤٠ كتابًا، غير أن أكثرها في الطريقة التيجانية، ويدافع عنها بقلمه ولسانه ولا يكترث بالمعترضين (٦).

- أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، فقيه باحث من مصر، درس في الأزهر ومات بمكة. له تصانيف كثيرة، منها «تحفة المحتاج لشرح المنهاج»، و«الفتاوى الهيتمية» و« شرح مشكاة المصابيح للتبريزي»، و« الزواجر عن اقتراف الكبائر». عدَّدت له باحثة معاصرة ١١٧ كتابًا (٧).

- أحمد بن محمد بن الخياط الزكاري (لعله معاصر). من صدور علماء المغرب في شتى ميادين العلم بلغت مؤلفاته نحو المئة (٨).



أسيموف

ـ أنستاس الكرملي (ت ١٣٦٦هـ)، يضاف إلى ماذكر في مؤلفاته: عددُ مؤلفاته١٤ كتابًا فقط، عدَّدها له كوركيس عواد. لكن مقالاته كثيرة، ولو أنها جمعت لقام منها عشرة مجلدات ضخام على أقل تقدير (٩).

ـ أنور الجندي (ت ١٤٢٣هـ) الكاتب الإسلامي الموسوعي، يضاف إلى ما ذكر عنه في ص ٦٩: ترك ٢٠٠ كتاب، وأكثر من ٣٠٠ رسالة، بينها موسوعات.

ـ أنيس منصور (معاصر)، ذكر في ص ٦٩، أنه عُدِّد له ١٦٠ كتابًا، وقد عُرِّف به في «الإثنينية» ٢١٥/١٦، وأن مؤلفاته وترجماته تزيد على ١٧٠كتابًا في مختلف الفنون.

ـ أبوبكر جابر الجزائري (معاصر) الواعظ في المسجد النبوي الشريف. أفيد على ظهر رسالة له بعنوان «رسالة أخوية تقدم لإخوة الإسلام الشيعة» أن له أكثر من ١٠٠ مؤلَّف.

ـ تاج الدين بن منهاج الدين الصديقي الجهونسوي الإله آبادي (ت ١٠٣٠هـ) من الهند، أحد المشايخ المشهورين. قرأ الكتب المطولة ودرس الطب، صنف الرسائل في معرفة النباتات والحيوانات، وكتابًا في الطب سماه «تاج المجربات» وهو في ١٠٠ كراسة، وله مصنفات أخرى في الفقه والسلوك والتصوف والنحو (١٠).

ـ جمال البنا (معاصر) من مصر، مهتم بشأن العمل والعمال، وهو أخو الإمام حسن البنا. له نحو ١٠٠ كتاب.

ـ جمال الدين بن ركن الدين العمري الجشتي الكجراتي (ت ١١٢٤هـ)، من مشايخ الهند المشهورين. كان محسنًا كثير التعبد، اشتغل بالدرس والإفادة، وصنف الكتب الكثيرة عددٌ من مصنفاته ١٤٢ كتابًا، وله ديوانان في الشعر الفارسي، ومن عناوين كتبه: «حاشية شرح الكافية للجامي»،« وتفسير مختصر».. (١١).

ـ حامد ربيع (١٤١٠هـ)، حقوقي من القاهرة ترك نحو ١٠٠ مؤلف، منها: الإسلام والقوى الدولية، الدعاية والصهيونية (١٢).

ـ أبو الحسن علي الحسني الندوي (ت ١٤٢٠هـ)، الإمام العالم الكبير الذي طبقت شهرته الآفاق، مدير دار العلوم بلكنو، ذكر السامرائي أن مؤلفاته بلغت ٣٠٤ كتب «حتى حدود ١٤٠٠ هـ»، إضافة إلى المقالات والبحوث القيمة التي نشرت في مجلة «البعث الإسلامي» وغيرها(١٣).

وذكرت مجلة الفيصل (١٤) أن عدد مؤلفاته بلغ أكثر من ٧٠٠ عنوان، منها ١٧٧ عنوانًا بالعربية، وقد ترجمت أغلب هذه المؤلفات إلى الإنجليزية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية، ولعل أشهر كتبه هو «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟»

وقد صدر كتاب يضم قائمة بمؤلفاته باللغة العربية التي بلغت ١٧٦عنوانًا (١٥).

ـ حسين بن أبي القاسم الحسيني السلمي اليزدي الحائري (ت بعد ١٣٥٨هـ). ولادته بالنجف، قيل: إن له ما يقرب من ٢٠٠ مؤلف، منها: أسرار الصلاة، تعيين الفرقة الناجية، الدراية في علم الحديث (١٦).

ـ حسين بن محمد القباني (ت ١٤٠٢هـ). أديب، مترجم، من مصر. له عدة كتب لعلها ١٠ تآليف، وترجم نحو ١٠٠ كتاب (١٧).

ـ خيري حسني حماد (ت ١٣٩٢هـ) كاتب، مترجم، من نابلس، عاش في عمّان وبيروت، وأخيرًا في القاهرة، بلغ ما طبع له ١٢٦ كتابًا، منها ٢٦ تأليفًا، وسائرها مترجم (١٨).

ـ رشدي فكار (ت ١٤٢١هـ) عالم اجتماع ومفكر إسلامي على مستوى العالم، من مصر، ينتسب بالعضوية إلى أكثر من ٤٢ جمعية دولية وأكاديمية ومؤتمر عالمي. تنوقلت أفكاره وتحليلاته في مشكلات العصر، وطرح أفكارًا جديدة مع إبراز الإسلام بديلاً وحلاً لأزمات العالم كله، رشّح لجائزة نوبل منذ سنة ١٣٩٦هـ، تربو مؤلفاته على ١٤٠ بين مؤلف وبحث ودراسة، وهذا منذ سنة ١٤٠٧هـ، ومعظمها بالفرنسية والإنجليزية (١٩).

ـ سعد علي صائب (ت ١٤٢٠هـ) . أديب، كاتب، مترجم، مصنف مكثر. من دير الزور بسورية. بلغت مؤلفاته أكثرمن ١٢٠ كتابًا، ترجم بعضها إلى عدة لغات بينها كتب أطفال مترجمة (٢٠).

ـ عباس بن علي اللكهنوي (ت ١٣٠٦هـ)، عالم، من كبار الأدباء. درس في المدرسة السلطانية، ولقبه ملك أوده بـ «تاج العلماء»، انصرف إلى الدرس والإفادة والتأليف، بلغت مؤلفاته ما بين صغير وكبير ١٥٠ كتابًا، منها: ديوان رطب العرب، معراج المؤلفين (٢١).

ـ عبدالرحمن بدوي (ت ١٤٢٣هـ) الفيلسوف المصري، تصل مؤلفاته إلى نحو ١٥٠ كتابًا(٢٢) وقد عددتُ له ١٢٢ منها، بين تأليف وتحقيق وترجمة.

ـ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) يلاحظ فيما أوردته من إحصاءات مؤلفاته (ص ٤٨ فما بعد)، ما قاله يحيى ساعاتي (يحيى محمود بن جنيد) في بحث بعنوان «مشكلة العنوان في مؤلفات السيوطي وأثرها في اضطراب إحصاء عددها بين الدارسين» حيث ذكر أن مؤلفاته قد تزيد على ٥٠٠ عنوان، وأن القول إن عددها يزيد على ذلك من ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ فيه مبالغة نتجت عن مسببات أوردها، من أهمها احتساب مجموعة صيغ لعنوان واحد وعدِّها عدة عناوين (٢٣).

ـ عبدالله محمد الحبشي (معاصر) كاتب، باحث، محقق، من اليمن. عدَّد لنفسه ١٠٠ كتاب بين تأليف وتحقيق، من بينها ٢٥ تحت الطبع (٢٤).

ـ عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) الأديب العالم المشهور، صاحب «عيون الأخبار» وغيره من الكتب. قال الإمام النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»: ولابن قتيبة مصنفات كثيرة جدًا رأيت فهرسها ونسيت عددها، أظنها تزيد على ستين في أنواع العلوم.

بينما نقل ابن تيمية في كتابه «تفسير سورة الإخلاص» قول صاحب «التحديث بمناقب أهل الحديث»، أن له زهاء ٣٠٠ مصنف (٢٥).

ـ عبدالملك بن محمد الثعالبي، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ) الأديب العلامة، صاحب «يتيمة الدهر»، وغيره من الكتب المشهورة. ذكر له الصفدي في «الوافي بالوفيات» ٧٠ عنوانًا، وفي العصر الحديث عدَّد له باحث ١٠٦ عناوين وذكر له آخر ٩٥ عنوانًا، وثالث ١٠٤ عناوين ، ورابع ١٢٥عنوانا (٢٦).

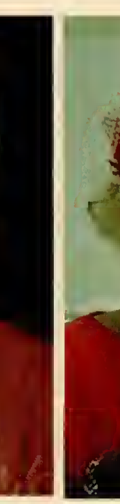
ـ عزيز نسين (ت ١٤١٦هـ) كاتب علماني متشدد من تركيا، يعد أكثر كتّاب تركيا إنتاجًا، حيث قدم نحو (١٠٠) كتاب (٢٧).

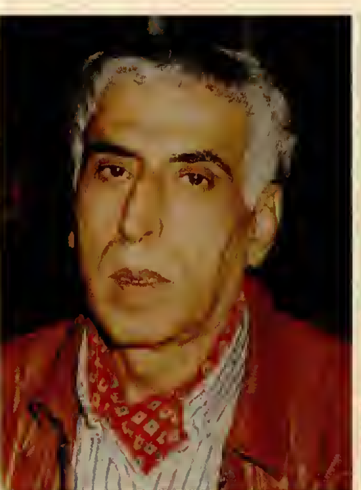
ـ علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ). محدِّث جليل وإمام كبير ولد في برهانبور، ونزل مكة وتوفي بها، أفرد العلامة عبدالقادر بن أحمد الفاكهي تأليفًا في مناقبه سماه «القول النقي في مناقب المتقي» ومؤلفاته كثيرة نحو ١٠٠ مؤلف ما بين صغير وكبير منها «البرهان في علامات المهدي آخر الزمان»، «الوسيلة الفاخرة في سلطة الدنيا والآخرة» (٢٨).

ـ علي الوردي (ت ١٤١٦هـ) من العراق، من أبرز علماء الاجتماع في الوطن العربي، له ما يقرب من ١٠٠ مؤلف (٢٩).

ـ أبو الفضل بن الرضا البرقعي (ت ١٤١٣هـ)، عالم متبحر، من قم. سجن وعذب في عهد الشاه وفي عهد الثورة الإسلامية بسبب عقيدته السنية، وإصراره على الجهر بها ودعوته إليها قلمًا ولسانًا. تعرض لمحاولة اغتيال في بيته وهو يصلي فدخلت رصاصة في فكه الإيمن وخرجت من الأيسر. ذكر مترجم كتابه «كسر الصنم» ـ وهو نقض لأصول الكافي للكليني ـ أن له مئات التصانيف والمؤلفات والبحوث والرسائل، وأورد له في ترجمته بآخر الكتاب أكثر من ٨٥ كتابًا.

ـ محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) صاحب المذهب، الإمام الشهير. له مؤلفات كثيرة، أوصلها بعض العلماء إلى نحو ٢٠٠ جزء «شذرات الذهب ٢/١٠»، وأوصلها بعضهم إلى ١١٣ كتابًا في التفسير والفقه والأدب وغير ذلك «تهذيب الأسماء واللغات١/٥٣»، وأسماؤها مسرودة في



باربرا كارتلاند


سعد يوسف



رشدي فكار


أنيس منصور

مناقب الشافعي للبيهقي ١/٢٤٦ـ ٢٥٩، توالي التأسيس ص ٧٨، الفهرست لابن النديم ص ٢٦٤، معجم الأدباء ١٧/٣٢٤.

ـ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت١١٨٢هـ) يضاف إلى ما قيل في مؤلفاته (ص ٥٤ ـ ٥٥): في مقدمة التحقيق لكتاب الصنعاني «إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة» (٣٠) عدد له محققه محمد صبحي حلاق ١٢٨ كتابًا.

ـ محمد رواس قلعجي (معاصر)، باحث شرعي أكاديمي موسوعي. قدم للمكتبة ٦٩ كتابًا مطبوعًا وأكثر من ١٧٠ بحثًا، أشهر إنتاجه العلمي سلسلة موسوعات فقه السلف (١٦ مج)، وسلسلة التراث الطبي الإسلامي «علم الكحالة» (١٢مج)، بالاشتراك مع آخرين؛ والموسوعة الفقهية الميسرة لغير المختصين في أكثر من ٤٠٠٠ص، ومعجم لغة الفقهاء، وسلسلة القصص الديني للأطفال (٣١).

ـ محمد زكي بن إبراهيم الخليل الشاذلي (ت١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، عالم، فقيه، داعية، رائد العشيرة المحمدية بمصر. له أكثر من ١٠٠ كتاب ورسالة في العلوم الدينية، وترك مئات البحوث والفتاوى والمقالات والخطب والدروس بعضها مكتوب وبعضها مسجل (٣٢).

ـ محمد السعيد بن بسيوني زغلول (معاصر)، باحث جماعة مفهرس محقق، من مصر. له فضل في تحقيق كتب كبيرة، وضع فهرسًا شاملاً لأطراف الحديث النبوي الشريف الذي صدر في ١١مج، وأتبعه بذيل في ٤ مج ، وحقق كتبًا أخرى كثيرة منها العبر وذيوله للذهبي، وشعب الإيمان للبيهقي ... وغيرهما.

ـ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) عددت له سابقًا ١٧٥كتابًا، ورسالة في (ص ٧٢)، وحتى وفاته عددت له ١٦٤ رسالة أو كتابًا زيادة على السابقة.

ـ محمد صالح بن فضل الله الحائري المازندراني السمناني (ت١٣٩١هـ)، ذكروا أن له أكثر من ٣٠٠ كتاب ورسالة في الفقه والأصول والتفسير وغيرها، وهو من علماء الشيعة «آية الله» من إيران (٣٣).

ـ محمد عاشق إلهي البرني (ت ١٤٢٢هـ)، عالم موسوعي، من أعلام ديوبند، استقر في المدينة المنورة وبها توفي، له مؤلفات كثيرة تجاوزت الـ ١٠٠ كتاب، وترجم بعضها إلى (٧) لغات أو أكثر، منها تفسير للقرآن الكريم بالأردية (٣٤).

ـ محمد عبدالحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ)، عالم محدِّث كبير من الهند، عاش ٣٩ سنة ومع ذلك بلغت مؤلفاته ١٢٩ تأليفًا بين رسالة صغيرة وكتاب في مجلدات، في مختلف العلوم والفنون (٣٥).

ـ محمد بن علي بن عربي «محيي الدين» (ت ٦٣٨هـ)، يضاف إلى ماذكر عن مؤلفاته في (ص ٣٥): له فهرس مؤلفات كتبه بقلمه حققه كوركيس عواد، وذكر أنه تضمن أسماء طائفة كبيرة من مؤلفاته لم يرد ذكرها في سواه من المراجع، قال: «وعثرت على أسماء مؤلفات كثيرة لابن عربي

لم يذكرها هو في رسالته هذه»؛ اشتملت الرسالة على ذكر ٢٤٨ كتابًا، واستدرك هو عليها ٧٩من تأليفه، فكان المجموع ٣٢٧ كتابًا ورسالة.

قلت: ويؤخذ في الحسبان أن هناك كتبًا تنسب إليه وليست له، ولا يعرف مؤلفوها.

- محمد المامي الشمشوي (ت١٢٨٢هـ)، عالم كبير من موريتانيا، يذكر ذووه أن آثاره العلمية تقدر بنحو ٤٠٠ كتاب (٣٦).

- محمد بن محمد الحجوجي (ت ١٣٧٠هـ)، من أعلام التصوف بالمغرب، أخبر أحد أفراد الطريقة التيجانية أن له أكثر من ١٠٠ كتاب (٣٧).

- محمد بن محمد الخانجي البوسنوي (ت ١٣٦٤هـ)، عالم من سراييفو، تخرج في الأزهر، درّس اللغة العربية والعقيدة والفقه، وهو صاحب الكتاب المشهور« الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنة». بلغ عدد مؤلفاته أكثر من ٣٠٠ مؤلف منها كتب مستقلة، ومنها رسائل كبيرة وصغيرة (٣٨).

- محمد بن محمد الفارابي (ت ٣٣٩هـ) . يضاف إلى ما ذكر عن مؤلفاته في (ص ٢٥): بلغت مؤلفاته المخطوطة ١١٥ مؤلفًا باستثناء المشكوك فيه الذي بلغ ٦ كتب (٣٩).

- محمد بن محمد بن النعمان العكبري، الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، من أعلام الشيعة، له قريب من ٢٠٠ مصنف أو أكثر، وذكر له ١٥٥ مؤلفًا في كتاب صدر فيه (٤٠)، منها ٣ في الحديث، و٤ في التاريخ، و٥ في أصول الفقه، و١٢ في علوم القرآن، و٤١ في الفقه، و٩٠ في علم الكلام.

- محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، العالم الموسوعي الشهير، صاحب «تاج العروس»، و«إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين»، يضاف إلى ما قيل في مؤلفاته (ص ٩٢): أورد له محقق تاج العروس الأستاذ عبدالستار أحمد فراج ١٠٧ مؤلفات وذكر أنها مستمدة من كلام المؤلف نفسه ومصادر أخرى.

وذكر له جميل أحمد (٤١)، ٦كتب مطبوعة، و٢٩ مخطوطة، و٧٤ مجهولة.

- محمد المصطفى بن محمد فاضل، وهو المشهور بلقب «ماء العينين» (ت ١٣٢٨هـ)، عالم شنقيطي شهير ، له ١٢٥ مؤلفًا (٤٢).

- محمد منظور النعماني (ت ١٤١٧هـ) عالم وداعية سلفي تخرج في جامعة ديوبند، ألف نحو ١٠٠ كتاب مابين صغير وكبير، ترجم عدد منها إلى كثير من اللغات العالمية (٤٣).

- محمد موفق سليمة (معاصر، مواليد ١٣٧٠هـ)، من دمشق، حاصل على إجازة في اللغة العربية من جامعتها. درّس أكثر من ٢٠ عامًا، وأمَّ المصلين في الرياض، له أكثر من ٤٠٠ عمل أدبي ما بين قصة وحكاية وديوان شعر ومسرحية للأطفال، أبرزها: تفسيرالبراعم المؤمنة (٤٤).

- محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ) يضاف إلى ما ذكر في (ص ٧٣) عن مؤلفاته: عدد له الكاتب عبدالله بن محمد الشمراني ٢٣١ كتابًا ورسالة، من مطبوع ومخطوط ومفقود، ماعدا أشرطة وردود ومحاضرات ومناقشات فرَّغ بعضها وأصبحت كتبًا متداولة (٤٥).

- محمد بن ناصر العبودي (الرحالة الإسلامي المعاصر)، يضاف إلى ماقيل في كتبه (ص ٧٣): عدَّد لنفسه ٨١ كتابًا مطبوعًا، بينها ٦٥كتابًا في الرحلات، و٨٢ كتابًا آخر مازالت مخطوطة، كلها في الرحلات (٤٦). وذكر في مقدمة كتاب آخر له أن الرقم ١٢٢من كتب الرحلات التي كتبها لبيان أحوال المسلمين (٤٧).

- محمد نواوي البنتني (ت ١٣١٤هـ)، فاضل من مكة المكرمة، أصله من إندونيسيا كان منكبًا على التأليف بجانب التعليم، حتى بلغت مؤلفاته في شتى العلوم نحو١٠٠ كتاب، منها تفسير القرآن المسمى «التفسير المنير لمعالم التنزيل» طبع عام ١٣٠٥هـ (٤٨).

- محمد يحيى بن سيد بن سليمة الدواودي اليونسي (ت ١٣٥٤هـ)، عالم جليل من بلاد شنقيط. انكب على اختصار المصنفات، وكان يميل إلى الاجتهاد. خلف ما يربو على ١٦٠ تأليفًا (٤٩).

- محمود شيت خطاب (ت ١٤١٩هـ)، الكاتب العسكري الإسلامي البارز، اللواء الركن، من الموصل. أقصي من منصبه وسجن وعذب؛ لأنه وقف في وجه الشيوعية ولم يمكنهم من التصرف في منطقة عمله.

أورد له كوركيس عواد في «مصادر التراث العسكري» ١٧٦ أثرًا وعملاً من مقال وبحث وكتاب مطبوع. وعدَّد له يوسف بن إبراهيم السلوم ١٠٠كتاب وبحث مع تفريعات أخرى وجداول في

كتاب عنه (٥٠)؛ وقال عبدالعزيز العسكر: بلغت كتبه وبحوثه المطبوعة والمخطوطة أكثر من ٤٠٠ كتاب وبحث سخرها جميعًا لخدمة الدين واللغة والتراث، وإبراز سيرة عظماء المسلمين وقادتهم الأولين وفنون العسكرية والإسلامية (٥١).

ـ محمود فوزي (معاصر) صحفي من مصر. كتابه «اغتيال النساء: السياسة تقتل المرأة في مصر» هو الرقم ١٠٠من مؤلفاته (٥٢).

ـ المختار السالم بن علي التندغي (لعله معاصر؟) من موريتانيا، له ١٠٠ مؤلف (٥٣).

ـ ممدوح إسماعيل حقي (ت ١٤٢٣هـ)، كاتب وباحث موسوعي، دبلوماسي، من دمشق. تجول في عدة بلدان، ترك أكثر من ٩٠ مؤلفًا (٥٤).

ـ منير عبدالحفيظ بعلبكي (ت١٤٢٠هـ)، الكاتب والناشر والمترجم المعروف، صاحب «قاموس المورد» الذي يقع في (١١ مج)، تبلغ أعماله نحو ١٠٠ كتاب (٥٥).

ـ أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري (ت ١٣٦٨هـ)، شيخ الإسلام في الهند، بلغ مجموع مؤلفاته ١٢٣ كتابًا، بينها ٣٢ في الرد على الآرية، و٣٦ في الرد على القاديانية (٥٦).

ـ يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ)، عالم زيدي صنعاني مجتهد، كان مرجعًا في زمنه. عدَّد له كاتب زيدي ١٠٩ من الكتب والرسائل (٥٧)، وعدَّد له محقق كتاب «يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر» (بهجة الزمن) (٥٨)، للمترجم له، محققه عبدالله بن محمد الحبشي، عدد له ١٢٢ مؤلفًا لا يزال أكثرها قابعًا في مكتبة جامع صنعاء وبخطه.

ـ يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) الكوفي النحوي، صاحب الكسائي. لما أملى «معاني القرآن» اجتمع له الخلق، فكان من جملتهم ثمانون قاضيًا. ذكر الحافظ الذهبي أن تواليفه ٣٠٠٠ ورقة (٥٩).

ومن المؤلفين الأجانب:

آستريند ليندغرين، كاتبة أطفال سويدية، بلغ ما كتبته مئة قصة وكتاب، ترجمت غالبيتها إلى ٧٦ لغة (٦٠).

ـ أرنست يونجر، أحد أكثر كتّاب ألمانيا غزارة في إنتاجه، قدم ما يقارب مئة كتاب ورواية (٦١).

ـ أسيموف. كاتب أمريكي. ألف ٣٠٠ كتاب.

ـ باربرا كارتلاند (ت ١٤٢١هـ) الروائية البريطانية، ربما تعدّ الأغزر إنتاجًا في العالم بين الروائيين. إذ كانت تكتب روايتين كل شهر، حتى زاد عدد مؤلفاتها على ٧٠٠٠ كتاب، عدا الإسهامات الصحافية والأدبية !! (٦٢).

ـ فرانشيسكو غابرييلي (ت ١٤١٦هـ)، مستشرق إيطالي، ألف ما يزيد على ١٥٠بحثًا، وكتابًا، من أبرزها «ألف ليلة وليلة في الثقافة الأوروبية ـ عالم الإسلام» (٦٣).

خاتمة

الرقم القياسي في هذه القائمة بين المؤلفين الجدد، وهم

المراجع والهوامش

١- مقدمة التحقيق لكتاب «الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة» للبقاعي؛ تحقيق سامي بن علي العمري ـ مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ، (ماجستير).
٢- العلمانية والممانعة الإسلامية/ على العميم، ص ٢٧٥.
٣- ذكره في آخر كتاب «بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ»، إحسان عباس ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢١هـ.
٤- مجلة الأزهر، ذو القعدة ١٤٠٠هـ، ص ١٤٤٩، وذو الحجة ١٤٠٠هـ، ص ١٧٤٠.
٥- بغداد: وزارة الأوقاف، ١/٢٧٤.
٦- التأليف ونهضته بالمغرب، عبدالله الجراري، ص٤٢.
٧- ابن حجر الهيثمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية، لمياء أحمد شافعي ـ مكة المكرمة: جامعة أم القرى ـ دكتوراه.
٨- التأليف ونهضته بالمغرب، ص ٥٥.
٩- مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ع٢٣، ١٩٤٨م، ص ٦٠٨ . ٦١٦.
١٠- علماء العرب في شبه القارة الهندية، يونس إبراهيم السامرائي، ص ٤١٧.
١١- المصدر السابق، ص ٤٧٤.
١٢- ذيل الأعلام، أحمد العلاونة، ص ٦٤.
١٣- علماء العرب في شبه القارة الهندية، ص ٧٠٩.
١٤- في العدد ٢٨١، ص ٣٢.
١٥- وهو من إعداد محمد طارق زبير الندوي ـ لكنو : مطبعة حراء، ١٤١٩هـ، (ذكرته مجلة الأدب الإسلامي في العدد ٣٠، ص ١٠٦).
١٦- المسلسلات في الإجازات للمرعشي، ٢/٣٨٠.
١٧- ذيل الأعلام، ص ٧٤.
١٨- موسوعة أعلام فلسطين ٣/٥٨ (ط٢)
١٩- من مقدمة كتاب: د. رشدي فكار المفكر الإسلامي العالمي في حوار متواصل حول مشاكل العصر، خميس البكري ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ.
٢٠- لأسبوع الأدبي، سورية، ع ٧١٤، ٢١/٣/١٤٢١هـ.

الذين لم يذكروا في الكتاب السابق، يأتي أولهم العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي، الذي بلغت مؤلفاته أكثر من ٧٠٠ عنوان، منها ١٧٧ عنوانًا لمؤلفاته بالعربية، التي ليست لغته الأصلية.

يتلوه عالم كبير من موريتانيا اسمه محمد المامي الشمشوي الذي ذكر «ذووه» أن آثاره العلمية تقدر بنحو ٤٠٠ هكذا، وهو ليس توثيقًا علميًا، وكلام «الأذواء» في مثل هذا لا يخلو من تهويل، ثم إن الـ ٤٠٠ هذه قد يكون بينها القصيدة والفتوى وما إلى ذلك.

ثم يأتي محمد بن محمد الخانجي البوسنوي، ومحمد صالح بن فضل الله الحائري، الذي ذكر أن لكليها أكثر من ٣٠٠ كتاب.

أما ماأوردته مجلة الفيصل من أن مؤلفات الروائية البريطانية باربرا كارتلاند تزيد على ٧٠٠٠ كتاب ... فإنه لا يصدق، إن لم يكن مستحيلاً.

وقد ذكر أنها كانت تكتب روايتين كل شهر ! ولنفترض أنها عمرت ١٠٠ عام، وأنتجت هذا العدد منذ سن الـ ٢٠؛ فيكون عدد رواياتها ١٩٢٠ رواية. أما على التقدير السابق فيكون ما تكتبه نحو ٧ روايات في الشهر! وهو كلام لا يقره عقل، وقد يكون هناك خطأ مطبعي فيكون ما كتبته ٧٠٠ رواية وما إليها، بينها قصص قصيرة ومقالات ... وهو أمر نادر، لكنه ليس بمستبعد. والله أعلم.

٢١- علماء العرب في شبه الجزيرة العربية، ص ٧٧١.
٢٢- لمجتمع، ع ١٥١٣، ص ٥٣، وفي موسوعة أعلام العرب المبدعين ١/١٣٥: فاقت كتبه المئة، بين موضوعة ومعربة أو محققة.
٢٣- ينظر: الإمام جلال الدين السيوطي: الاحتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاته إعداد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، ١٤١٦هـ، ١/١٣٥.
٢٤- في آخر كتاب: يوميات صنعاء، يحيى بن الحسين بن القاسم، الذي قام بتحقيقه.
٢٥- عيون الأخبار ٤/١٦، ١٨، طبعة دار الكتب المصرية.
٢٦- ينظر مقدمة تحقيق كتاب«آداب الملوك» للثعالبي بتحقيق جليل العطية.
٢٧- الفيصل، ع ٢٢٦، ص ١٢٤.
٢٨- علماء العرب في شبه القارة الهندية، ص ٣٣١.
٢٩- الفيصل، ع ٢٢٦، ص ١٢٣.
٣٠- الصادر عن دار ابن حزم في بيروت سنة ١٤٢٠هـ.
٣١- لعلمانية والممانعة الإسلامية، ص ٥٥.
٣٢- مجلة الأزهر، شعبان ١٤١٩هـ، ص ١٢٦٣.
٣٣- المسلسلات في الإجازات، ٢/٤١٧.
٣٤- لمجتمع، ع ١٤٨١، ٨ شوال ١٤٢٢هـ، ص ٥٧.
٣٥- ذكره صلاح محمد سالم أبو الحاج في مقدمة تحقيقه لكتاب «المنهج الفقهي» للكنوي.
٣٦- بلاد شنقيط: المنارة والرباط، الخليل النحوي، ص ٥٣٦.
٣٧- التأليف ونهضته بالمغرب، ص ٢١١، الهامش.
٣٨- أبرز الاتجاهات العقدية لدى مسلمي البوسنة والهرسك، زهدي عادلوفيتش- الرياض: جامعة الإمام - دكتوراه، ٢/٥٧٤.
٣٩- مؤلفات الفارابي ، حسين علي محفوظ وجعفر آل ياسين - بغداد: وزارة الإعلام، ١٣٩٥هـ.
٤٠- عنوان: حياة الشيخ المفيد، حسن الأمين وغيره - ط٢ بيروت. دار المفيد، ١٤١٤هـ.
٤١- في ص ١٤٢ من كتاب: حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي.
٤٢- بلاد شنقيط ص ٢٤٦، ٥٦٤.
٤٣- مجلة الداعي، الهند، ع٢ (١٤١٨هـ) ص ٢٠.
٤٤- مجلة الأسرة، ع٧٦، (رجب ١٤٢٠هـ) ص ٥٠.
٤٥- عددها في كتابه «ثبت مؤلفات المحدث الكبير محمد ناصر الدين الألباني» الذي صدر عن دار ابن الجوزي في الدمام سنة ١٤٢٢هـ.
٤٦- في كتابه «تائه في تاهيتي»، الذي صدر سنة١٤٢٠هـ.
٤٧- تابه «بلغاريا ومقدونيا»، الذي صدر سنة ١٤٢٢هـ.
٤٨- سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، عمر عبد الجبار، ص ٣٢٥، ط٢.
٤٩- بلاد شنقيط ص ٥٢٨.
٥٠- بعنوان: اللواء الركن محمود شيت خطاب: سيرته ومؤلفاته - الرياض: مكتبة العبيكان (ط ١: ١٤١٢هـ، ط٢: ١٤١٤هـ).
٥١- من أعلامنا، عبدالعزيز العسكر- الرياض: المؤلف، ١٤٢٠هـ، ٢/٢٢١.
٥٢- صدر سنة ١٤٢٠هـ.
٥٣- بلاد شنقيط ص ٢٤٦، ٦٠٩.
٥٤- مجلة الرافد، ع ٥٩، يوليو ٢٠٠٢م، ص ٧٤.
٥٥- موسوعة أعلام العرب المبدعين ١/١٦٨.
٥٦- صوت الأمة، (مجلة الجامعة السلفية)، ع ١١، ١٤٢١هـ، ص٦.
٥٧- في «أعلام المؤلفين الزيدية» ص ١١١١.
٥٨- صدر عن المجمع الثقافي بدبي سنة ١٤١٦هـ.
٥٩- في سير أعلام النبلاء ١٠/١٢٠.
٦٠- الشرق الأوسط، ع٨٢٣، ١٨/٣/١٤٢٢هـ.
٦١- الفيصل، ع٢٥٩، ص١١٨.
٦٢- الفيصل، ع ٢٨٥، ص ١٣٥.
٦٣- الفيصل، ع٣١٤، شعبان ١٤٢٣هـ، ص١١٥.





التـــــعليم وحــــوانيـ

ة بيع الكتب

عبد الله جعفر السيد

الخرطوم بحري- السودان

لم يكن قسطنطين أول أباطرة الرومان العظام الذي استقر رأيه على إيجاد عاصمة بديلة لإمبراطوريته بمواصفات خاصة خلافًا لعاصمته العتيقة روما. فقد سبقه أباطرة القرن الثالث أمثال الإمبراطور دقلديانوس، ولكنه كان أكثرهم جرأة وعملاً. فبعد بحث متأن ودقيق وقع اختياره على مدينة بيزنطة المستعمرة الإغريقية القديمة لتكون عاصمته الأخرى. فهي تحتل مثلثًا من اليابسة عند التقاء قارتي أوروبا وآسيا، وتحيط بها مياه القرن الذهبي والبسفور وبحر مرمرة. وتصلح لتشييد الحصون والقلاع وبناء السفن عليها والأساطيل، وتتحكم بطرق التجارة والمواصلات، ومؤمنة حيث لا يمكن الوصول إليها برًا إلا من جهة واحدة.

وفي عام ٣٣٠م احتفل الإمبراطور بافتتاح عاصمته الجديدة، وتيمنًا بشخصه العظيم فقد أطلق عليها اسم القسطنطينية، وظل الاسمان ساريين عليها في كتب التاريخ حتى اليوم، وفي عام ٣٩٥م توفي الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس، وطبقًا لوصيته فقد تم تقسيم إمبراطوريته قسمين: شرقي وعاصمته القسطنطينية آل إلى ولده الأكبر أركاديوس، وغربي وعاصمته روما وآل إلى ابنه الأصغر هونوريوس. ومنذ ذلك الحين كان لكل من الإمبراطوريتين تاريخ منفصل بأحداثه ورجاله، كما مثل عام ٣٩٥م بداية انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب لوضعها في بؤرة القبائل المتبربرة الغازية.

ففي عام ٤١٠م تعرضت روما للنهب على أيدي هؤلاء المتبربرين، وبحلول عام ٤٧٦م تم اجتياحهم لها فسقطت في أيدي قبائل الهون والفندال، وبسقوط روما بدأت العصور الوسطى التي استمرت زهاء عشرة قرون، بينما استمرت الإمبراطورية القسطنطينية في الازدهار حتى عام ١٤٥٣م حينما سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين، وبسقوطها انتهت فترة العصور الوسطى.

اختفاء الحوانيت

تزامن انهيار الدولة الرومانية مع تدهور التعليم في جميع مدنها وقراها، كما اختفت المدارس المنتظمة التي كانت تقومها وتصرف عليها الدولة، وفشت الأمية بين المواطنين لانعدام الأموال اللازمة للصرف على تلك المدارس ورعايتها، وأوجد هؤلاء الغزاة حالة من التوتر والفوضى في جميع مرافق الحياة ومختلف أوجه النشاط قضت على معالم الحضارة والثقافة الراقية التي ورثتها روما عن مدارس أثينا والإسكندرية، وأحلّت محلها حضارة بدائية متخلفة لا تقارن بتلك الحضارة الراقية التي لم يبق من معالمها سوى الكنيسة التي حافظت إلى حد ما على وحدة أوربا الغربية لكونها الوارثة للإمبراطورية الرومانية ولولا نفوذها الديني ومكافحتها في سبيل نشر المسيحية الكاثوليكية وما يرتبط بها من مظاهر الحضارة الرومانية بين هؤلاء المتبربرين لتلاشى التعليم، كما تلاشت المدنية في غمار الاضطرابات والأحداث الجسيمة. ومن نتائج هذه الفوضى إغلاق

أبواب مشاغل النسخ والكتابة، واختفاء العبيد المتمرّسين بأعمال النسخ، كما اختفت لفافة البردي الرخيصة المتوافرة دائمًا، وحلت محلها جلود الرقوق الغالية، واختفت حوانيت بيع الكتب التي كانت معروفة ومنتشرة في داخل المدن اليونانية والرومانية وعلى تخومها والعالم القديم منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وأصبحت الكتب نادرة الوجود بعد أن كانت كثيرة ومنتشرة وتجارتها متطورة بمشاغلها الكبيرة بما فيها من كفاءات وافرة من العبيد الذين كانوا يقومون بتأمين عملية استمرارية النسخ والنشر ويبيعون كتبهم بأسعار زهيدة محددة.

سُميت القرون الخمسة الأولى من العصور الوسطى بالعصور المظلمة إذ عم الجهل بظلامه الكثيف وأصاب العلم واللغة اللاتينية الكثير من التدهور والانحلال بسبب الغزوات الجيرمانية ولغاتهم الغازية ونتيجة للصراع اللغوي فقد ولدت مفردات لغوية جديدة من زخم صراعات اللغات الكثيرة كما أوجدت الديانة المسيحية ألفاظًا وتعابير ومفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل. وجاهدت الديانة المسيحية التي حلت محل الديانات الوثنية الكثيرة في هدم وثنية المجتمع الروماني لكونها تراثًا ضارًا لا يتمشى مع المعارف المستحدثة للفلسفة المسيحية؛ مما يعني وأد الأسلوب البلاغي للغة اللاتينية القديمة، وإحلال لغة خشنة لا يهتم فيها الناس باختيار اللفظ ولا العناية بانسجام العبارات واتساق الجمل حتى إن البابا غريغوري العظيم (٥٩٠ ـ ٦٠٤) الذي اشتهر بكراهيته للأسلوب البلاغي الكلاسيكي وتفضيله اللغة الدارجة الخشنة التي تساعد على فهم العقيدة المسيحية كان يردد دائمًا أن «كلمة الرب لا تحتاج إلى مساعدة النحو أو علم اللغة». وتدهور مستوى الخط والكتابة تدهورًا واضحًا بسبب تفشي الجهل، وكثرت الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية حتى غدا من المتعذر قراءة المخطوطات التي كتبت في ذلك العصر المسيحي والتي وصلت إلينا.

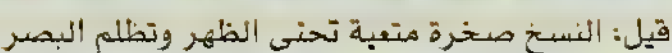
قامت الكنائس بإنشاء المدارس في الأديرة والكاتدرائيات لتعليم النشء تعليمًا دينيًا كي يصبحوا قساوسة ورجال دين لتلبية الحاجات الاجتماعية؛ وبذلك صارت الكنيسة أول مرة في تاريخها الينبوع الذي تدفقت منه الحركات العلمية فصار رجل الدين هو أهم من يعرف القراءة والكتابة والتكلم باللاتينية، وهو الذي يفهم دون سواه في حساب الشهور لتحديد الأعياد والمناسبات الدينية، كما يعرف الكتاب المقدس والموسيقا الدينية وسير القديسين المملوءة بالمعجزات والخرافات، وقد ألحقت بتلك المدارس حجرات للنسخ، وكان الرهبان والقساوسة يستأجرون النساخين المحترفين على قلتهم لنسخ المخطوطات والكتب الدينية وتوشيتها بالرسوم التوضيحة، وكثيرًا ما كان هؤلاء النسّاخ يكتبون وصية للسيد القارئ أو آيات شكر لله تعالى على انتهاء عملية نسخ الكتاب، وقد جاء في إحدى الوصايا «احذر من أصابعك لا تضعها على كتابتي؛ لأنك لا تعرف معنى النسخ... إنه سخرة متعبة تحني الظهر وتظلم البصر... فصل إذًا أيها الأخ من أجل الفقير راؤول عبدالله الذي كتبه كله في دير ٩٨٧ سنت إيبان».

الكنيسة والأديرة

سميت القرون الخمسة التالية للعصور المظلمة

أوجدت الديانة المسيحية ألفاظًا وتعابير ومفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل. وجاهدت في هدم وثنية المجتمع الروماني لكونها تراثًا ضارًا لا يتمشى مع المعارف المستحدثة للفلسفة المسيحية


نساخ محترفون لنسخ الكتب الدينية



قيل: النسخ صخرة متعبة تحني الظهر وتظلم البصر

بالعصر المدرسي أو العصر الوسيط، وفيه أخذت المدارس الديرية في الانتشار في طول البلاد وعرضها، وفي خلال القرن السابع بدأت في الظهور بوادر نهضة علمية عظيمة في إيرلندا كان على رأسها الكنيسة والأديرة الإيرلندية، وذلك أن إيرلندا وإنجلترا بقيتا مدة القرنين السابع والثامن الميلاديين في منأى عن الأحداث الجسيمة التي نزلت بالقارة الأوربية مما ساعد على ظهور إنتاج ضخم ومتنوع من العلوم المختلفة، كاللاهوت، والفلسفة وغيرهما من المعارف، وبذلك حفظت إيرلندا الكثير من مظاهر الأدب الكلاسيكي من العبث والضياع. وقد أدى فقر الإيرلنديين إلى كثرة هجرتهم وترحالهم تجاه إنجلترا وباقي دول الغرب حاملين معهم علومهم وثقافتهم إلى تلك البقاع، وذاعت تلك النهضة وانتشرت على نطاق القارة الأوروبية وبلغت هذه الحركة ذروتها في أخريات القرن الثامن في شخص المؤرخ والعالم والأديب «بيده Bede» ٦٧٥ ـ ٧٣٥م الذي يعدّ نشاطه الأدبي بداية عهد جديد اتخذ فيه الأدب اللاتيني شكله الذي ميزه.

يرجع إلى الإمبراطور شارلمان (٧٦٨ ـ ٨١٤م) فضل إحياء النهضة العلمية التي سميت باسمه ونسبت إليه، فعرفت باسم النهضة الكارولنجية، حتى قيل: إن أولى جامعات العصور الوسطى، وهي جامعة باريس، يرجع أصولها وجذورها إلى تلك النهضة، وكان شارلمان رجلاً أميًا لا يعرف القراءة والكتابة حتى سن متقدمة ومع ذلك كان رجلاً مستنيرًا لا يجد غضاضة في أن يجلس إلى جانب صبيان القصر الإمبراطوري في عاصمته اكس لاشابل ليتلقى العلم في مدرسة القصر على أيدي الأساتذة مع أبنائه وأبناء حاشيته. وكان يأمر بانتقال مدرسته أينما سار حتى في حملاته الحربية. ولتواضعه الجم فقد أمر برفع الكلفة بينه وبين أولئك العلماء والفلاسفة واللاهوتيين الذين كان يجهلهم، وكانوا

يحيطون به من أمثال: «الكوين AL - Cuin» كما أصدر عدة قوانين إمبراطورية وكنسية تقضي بإنشاء المدارس في الأسقفيات والأديرة، وبإلحاق مكتبة ومجمع للناسخين بالبلاط الإمبراطوري، وبتعيين معلم للآجرومية، وآخر في علم اللاهوت في كل كاتدرائية وأسقفية. وكان الإمبراطور يشرف على نسخ الكتب، ويأمر بتصحيحها وجمع المفقود منها بنفسه، ويأمر بإرسال الكثير منها إلى مختلف الأديرة لينسخ منها غيرها، كما كانت له اهتمامات بجمع الكتب القديمة. وقد امتاز عصره بالمزج التدريجي بين التراث الروماني القديم وحضارة الجيرمان المتبربرين لإنتاج مدنية جديدة امتدت لتشمل جميع أجزاء دولته الواسعة، علمًا بأن شارلمان نفسه كان جيرمانيًا بحكم أصله وطبيعته، وكان أمراؤه عظامًا تعج قصورهم بالشعراء والكتّاب والموسيقيين والمصورين، ويعترفون بأهمية العلوم والثقافة، ويناصرون الحركات العلمية والتقدمية.

أما الرجل الذي يعدّ حلقة الاتصال بين النشاط الفكري في بريطانيا وفرنسا الذي بزّ جميع أقرانه من أعلام النهضة الكارولنجية فهو الفيلسوف الكوين، وكان يحتل منذ عام ٧٨٢م مركزًا بارزًا في بلاط شارلمان لكونه مستشارًا له في جميع شؤونه، إضافة إلى إشرافه التام على شؤون الثقافة والعلم. كان الكوين بحكم نشأته الدينية يعدّ من رجال الدين، وظهر طابعه الديني في نشاطه وإنتاجه، فقد بدأ بتعليم رجال الدين من القساوسة والرهبان، ويشهد على جهل رجال الدين في ذلك العصر نسخ الإنجيل المتداولة، وهي ملأى بالأخطاء الإملائية حتى أصبح من المتعذر العثور على نسختين متطابقتين من الإنجيل قبل النهضة الكارولنجية.

إخماد جذوة الصراعات

يعدّ القرن الثاني عشر نقطة بارزة في تاريخ التطور الحضاري، فقد ساد ربوع أوروبا السلام والاستقرار إذ انتهت غارات النورمان التي كانت تشكل خطرًا عظيمًا، إضافة إلى إخماد جذوة الصراعات بين القوى الإقطاعية والكنسية مما أدى إلى وضوح الرؤية الصحيحة لتنشئة القوميات الأوروبية المختلفة. مما ساعد على تكوين المدن وتطوير الاقتصاد وإنعاش التجارة واتساع الأسواق بما في ذلك سوق الكتاب، كما ازدهرت المدارس الكاتدرائية؛ وذلك حينما كثرت واجبات الأسقف وتعددت مهامه حتى اضطر إلى التخلي عن رئاسة المدرسة، وبذلك تم تعيين أستاذ مشرف في وظيفة أمين الكاتدرائية للإشراف على التلاميذ وعلى نواحي الأنشطة المختلفة داخل حدود أسقفيته، وترتب على هذا التطور المهم فتور الرقابة ورقتها على التلاميذ مما أدى إلى التساهل في حرية اختيار المناهج الدراسية، وهو ما ساعد على توسعة الأفق المعرفي، بينما رأت الأديرة ضرورة المحافظة على انتهاج الصرامة في مناهجها ونظامها حتى أودت بها إلى التحجر والجمود، وهذا ما قلّل من رغبة الطلبة في الالتحاق بها وترتب على ذلك أن أخذ نشاطها الثقافي في الاضمحلال والانحسار.

كان فضل العرب على تلك الأمم عظيمًا حينما أخذت العلوم والنتائج العلمية المختلفة التي توصل إليها العرب في العبور إلى غرب أوروبا قبل أن يبدأ نجم الحضارة الإسلامية في الأفول، فقد تسرب سيلٌ من المعارف

سُميت القرون الخمسة الأولى من العصور الوسطى بالعصور المظلمة إذ عم الجهل بظلامه الكثيف وأصاب العلم واللغة اللاتينية الكثير من التدهور والانحلال بسبب الغزوات الجيرمانية



رعى الأمراء حركة النسخ وحوانيت بيع الكتب

الإسلامية عن طريق الشام إبان فترة الحروب الصليبية، وعن طريق بالرمو عاصمة صقلية التي كانت مركزًا للثقافة العربية عدة قرون، وعن طريق إسبانيا التي

تزامن انهيار الدولة الرومانية مع تدهور التعليم في جميع مدنها وقراها وأوجد الغزاة حالة من الفوضى نتائجها إغلاق أبواب مشاغل النسخ والكتابة، واختفاء العبيد المتمرّسين بأعمال النسخ

كشفت أوربا عن ثروتها من الكتب العظيمة في العلوم والمعارف المختلفة، فظهرت مراجع القانون الروماني الذي كان مغيبًا في دياجير النسيان، وأعمال ابن رشد، وأرسطو وإقليدس، وابن سينا، وبطليموس، وغيرهم. وترتب على وجود هذا الكم الغزير من العلم التطور السريع والطفرة الحتمية في التعليم، فهرعت جموع رجالات العلم إلى طليطلة وقرطبة وإشبيلية بعد أن تعلموا اللغة العربية وأجادوها إجادة تامة وعبرت جموع لا حصر لها جبال البرانس مما أحدث انقلابًا عظيمًا في الحياة اليومية خاصة في مجال الطب والتغذية والبستنة وصناعة الطيوب وفي الحياة الذهنية. وبدلاً من الأرقام الرومانية المعقدة عرفت أوروبا الصفر في الحساب في سهولة ويسر، وهو الشيء الذي لم تكن تعرفه من قبل حتى أن جيربرت ألاوفريني الذي أصبح يعرف فيما بعد بالبابا سلفستر الثاني كان أول من تعلم تلك الأرقام العربية وحسب بها. ولم تلبث الحركة العلمية في هذا القرن أن أنجبت شخصيتين كان لهما أكبر الأثر في حقل التعليم الأول هو القديس برنارد الذي دافع عن الجانب الديني والأفكار الكاثوليكية، والآخر هو بطرس إبيلارد العبقري الذي دعا إلى تحرير الفكر وإطلاق قيوده من أسر الكنيسة القديمة، وقد جذبت شهرته كثيرًا من طلاب العلم إلى باريس حتى اكتظت طرقاتها بالطلاب الذين استدعت كثرتهم زيادة الأساتذة، وازدهرت بعض تلك المدارس، وتحولت إلى معاهد علمية كبرى وبعد الانصهار والتبلور ظهرت ملامح الجامعة من رحم مدارس الكاتدرائيات، وبذلك جاءت الجامعة إلى الوجود بعد مخاض عسير جنينًا جميلاً متفردًا وصل إلينا هدية من العصور الوسطى، وتم الاعتراف الرسمي بشخصيتها وكيانها من قبل السلطات الدينية والدنيوية وكان هذا التطور تلقائيًا دون تخطيط مسبق لإنشائها، وبذلك أصبحت للجامعات الحقوق السلطوية في تنظيم أمور

العلم والتعليم، ومنح الدرجات العلمية، وتحديد المناهج والمقررات الدراسية، وقد تخصصت بعض هذه الجامعات بنوع معين من الدراسات، وذلك حسبما توافر لها من كفاءة الأساتذة المتخصصين في فروع المعرفة، فارتبطت جامعة باريس بدراسة الفلسفة واللاهوت، وتخصصت جامعة مونبلية في فرنسا وسالرنو في إيطاليا بدراسة الطب، واشتهرت الدراسات القانونية والبلاغية بجامعات إيطاليا مهد التعليم والحضارة الرومانية القديمة، وتفوقت جامعة كولونيا بدراسة القانون الروماني وهكذا.. إضافة إلى هذه الجامعات المتخصصة فقد كانت بها كليات أخرى تدرس بها المواد العلمية المختلفة، وأصبحت أوروبا تمتلك المراجع العربية التي تحتوي على هندسة السطوح والمجسمات وغيرها من العلوم والمعارف.

كان يحق للمدرس القدير الحصول على ترخيص بالتدريس، كما كان يحق لأساتذة الجامعات رفض ترشيح أي أستاذ لينضم إلى هيئتهم دون الكفاءة والجدارة العلمية المطلوبة؛ وذلك بعد اجتيازه امتحانًا معينًا ولم تكن للطلبة سن محددة، فقد يكون تاجرًا أو راهبًا، وقد يكون متزوجًا أو غلامًا، وتم لهؤلاء الطلبة إنشاء اتحادات Units أو نقابات Guilds كان الغرض منها أن ترعى مصالحهم، وتطورت هذه النقابات لتصبح فيما بعد الأداة المنتجة للجامعات الأوربية، وكانت تقوم بواجب الحماية للطلبة في

خلال القرن السابع بدأت بوادر نهضة علمية عظيمة في إيرلندا كان على رأسها الكنيسة والأديرة الإيرلندية، لأن إيرلندا وإنجلترا بقيتا مدة القرنين السابع والثامن الميلاديين في منأى عن الأحداث التي نزلت باوربا

مواجهة السلطة الأسقفية ورقابة الدولة وتقديم العون لفقراء الطلاب الذين جاؤوا إليها من مختلف الطبقات الاجتماعية أعلاها وأدناها أفقرها وأغناها وخاصة الطلاب الأجانب الذين كانوا يعيشون في داخليات تؤجرها لهم هذه النقابات التي كانت تعين الأساتذة وتدفع رواتبهم، ولم يكن على الطالب أن يؤدي امتحانًا للالتحاق بهذه الجامعات، بل كان مطلوبًا منه أن يكون ملمًا باللغة اللاتينية إضافة إلى أداء الأجر الزهيد المخصص لكل مدرس يدرس منهجه. وكانت الجامعات فقيرة جدًا حتى إنها لم تكن تمتلك مباني خاصة بها، وقد تطلب الأمر في بداية عهدها استعمال بعض الغرف الملحقة بالكاتدرائيات، وليس بها من متاع سوى مكتب للأستاذ بينما يجلس الطلبة على الأرض. لذلك كانت تعتمد على التبرعات الخيرية التي يقدمها الملوك والنبلاء ورجال الدين والكنائس؛ لذلك إذا كان الطالب فقيرًا فإنه قد يستعين بمنحة أو بمعونة تسديها له قريته أو كنيسته أو أصدقاؤه أو اتحاد الطلبة الذي أظهر نوعًا من السيطرة على هيئة التدريس حينما كان يستخدم سلاح التهديد في وجه أي أستاذ لا يمتثل لرغباته عندما كان دخل الأستاذ متوقفًا على ما يحصل عليه من طلبته، وبعدما أسسس الأساتذة نقابات خاصة بهم خطا التعليم الجامعي إلى الأمام، كما نجحت نقابات الأساتذة في تنظيم شؤونهم وجعل كلمتهم مسموعة ومحترمة لدى الأوساط اللصيقة بهم.

بجانب هذه الجامعات أنشئت نقابات للناسخين المحترفين، وقد نصت اللوائح على الشروط التي يجب على الكتاب والنساخ اتباعها لإنتاج النسخ وإعارتها وبيعها، وصدرت في بولونيا عام ١٢٥٩م أول لائحة من هذه اللوائح، وتلاها القانون الذي أعلنه ألفونس العاشر بقشتالة ليطبق هذه اللوائح على سائر الجامعات بما فيها جامعة باريس، وكان الأساتذة في بداية العهد بالجامعة يتبعون طريقة إملاء المحاضرات في التدريس،



كان لجامعة باريس دور بارز في انتشار الكتب

وكان ذلك لقلة الكتب وارتفاع أثمانها وكثرة الأخطاء في المنسوخات الرخيصة مما فتح المجال لبعض النساخ الذين ابتدعوا نظام تأجير الكتب للطلبة، وكانت طريقة إملاء المحاضرات وما يتخللها من مناقشات تنمي في الطلبة الاعتماد على قوة الحفظ والذاكرة وكان ذلك من حسنات التعليم.

صاحب ظهور المدن استيلاد مهن جديدة وكثيرة متنوعة كالطبية والقانونية واللاهوتية وغيرها من المهن اللازمة للحياة اليومية التي شابتها بعض التعقيدات حتى إنها أدت إلى الزيادة في عدد الطلبة زيادة مطردة، فبلغوا الآلاف في كل من جامعة باريس التي أصبحت نواة لجامعات شمال أوروبا وغربها وجامعة بولونيا بإيطاليا التي أصبحت نواة لجامعات حوض البحر المتوسط وكان لوصول هذه المعارف العلمية الجديدة إلى غرب أوربا آثارًا

جانبية أفزعت الكنيسة التي كانت حتى ذلك القرن تسيطر على أوربا، ومنذئذ أصبح التاريخ يشكله العلمانيون، وقد خشيت الكنيسة بسبب الاهتمام بها من إضعاف شأن اللاهوت وإهماله، ولكنها كانت لا تستطيع منع تداول تلك المعلومات أو منع دراستها، ومن ثم لجأت إلى التوفيق بينها وبين اللاهوت حتى لا تتزعزع الثقة بتعاليم الكنيسة.

ظهور الحوانيت

في عام ١٢٧٥م أعدت جامعة باريس مكانًا في أبنيتها للناسخين، فكان بفضل مجهوداتهم نمو مكتبتها، فكان النساخون يحلفون اليمين للقيام بعملهم بالدقة والإخلاص المطلوبين، وكانت جامعة باريس تشرف على بيع الرقوق المعروضة بواسطة نقابة تجار الرق، وعندما عمت الجامعات أنحاء أوروبا في القرنين الثاني والثالث عشر زاد عدد المتعلمين وتوافرالوقت للقراءة، وكان لاختراع النظارات الفضل في إطالة فترة القدرة على القراءة بالنسبة إلى ضعفاء البصر وإلى كبار السن، وعاد الناشرون وعادت حوانيت بيع الكتب في الظهور خصوصًا في تلك المدن التي قامت بها الجامعات، وكان الناشر يستخدم المحترفين في حانوته لإنتاج الطبعة الفاخرة بالطلب، كما كان يقوم بإنتاج نسخ عادية ليبيعها، وإلى جانب الجامعات رعى الأمراء حركة النسخ وحوانيت بيع الكتب وكان أول من استخدم الخطاطين الإمبراطور فردريك الثاني (١١٩٤ ـ ١٢٥٠م) وألفونس العاشر ملك قشتالة، ويجدر بالذكر أن كليهما سبق له أن تثقف بالثقافة العربية وقد زاد خلال القرنين التاليين عدد الأمراء هواة جمع الكتب الذين أصبحوا من أهم العملاء لتجار الكتب وخاصة الكتاب الفاخر والمزخرف زخرفة فنية راقية.

كانت الرقوق تجهز على شكل رزم وتخاط سويًا وتغلف بغلاف متين يحفظها من التفكك. في بداية الأمر كان هذا الغلاف لوحين من الخشب أو لوحين من العاج المزخرف زخرفة فنية راقية، ويجلد الخشب بجلد أو قماش، وكانت الزخرفة في بادئ الأمر بالنقش المحفور، ثم حفرت الزخرفة على قطع حديدية، وكانت تمثل أشكالاً هندسية أو على هيئة نباتات، وتسخن هذه القطع الحديدية عادة، وتطبع على الجلد بالضغط، وتحلى الزوايا بقطع مسمرة من الحديد أو الفضة أو الذهب، وقد توجد أقفال أحيانًا وكانت الكتب الدينية والكتب النفيسة بصفة خاصة ترصع

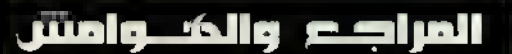
إحدى أقدم المكتبات في باريس



بالمعادن والأحجار الكريمة؛ لذلك صار الكتاب شيئًا نفيسًا، واتخذ تداوله شكل الهدايا، وكان قيمًا يباع بأسعار باهظة، لذلك كان مطمعًا للسلب والنهب والضياع، فقد نهب الهون مكاتب الأديرة في بافاريا، ونهب رجال الشمال مكاتب الأديرة في فرنسا، كما أن الحروب الصليبية أضاعت الكثير من هذه الكنوز مثل مكتبة دير كلوني. وعندما استولى الصليبيون على القسطنطينية استهدفت المدينة للسلب والنهب عام ١٢٠٤م مع ذلك فإن فضلاً عظيمًا يرجع إلى تلك الكتب في حفظ المخطوطات التي وصلت إلينا حفاظًا تامًا وبحالة جيدة مثل كتاب كيلز الذي ليس له مثيل سوى إنجيل لنديسفارن في جودة الخط وجمال الصنعة.

وحق لبعض المتاحف أن تفخر بما تمتلكه من هذه الكتب التحف النفيسة المرصعة بالأحجار الكريمة والمزينة بالذهب وفصوص الميناء والزخارف، وكان مما قاله القديس جيروم على أصحاب تلك الكتب: إن كتبكم مطعمة بالأحجار الثمينة مع أن المسيح مات عاريًا!!! والغريب أن جلود بعض الكتب الدينية كانت تركب فيها بعض العظام، ويزعم أنها عظام قديسين، كما تركب فيها قطع من ملابسهم أو سائر مخلفاتهم، وعلى هذا النحو كان يحتفظ بها في مخابئ خاصة، وتعرض في المناسبات، ولا تزال المكتبة الأهلية بباريس تحتفظ بعدد من هذه الكنوز الروائع. وعليه كانت الكتب في المكتبات العامة تثبت بسلاسل، كما تظهر في بعض المخطوطات التي وصلت إلينا بغرض حمايتها من اللصوص مع تمكين الجمهور من الانتفاع بها.





المراجع والهوامش

١. قصة الحضارة، الجزء الخامس والسادس والسابع عشر، ول ديورانت. ترجمة محمد بدران.
٢. تاريخ التربية في الشرق والغرب، د. محمد منير مرسي.
٣. تاريخ الكتاب سلسلة ١٠٠٠ كتاب، ترجمة د. خليل صابات.
٤. المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، د. إبراهيم أحمد العدوي.
٥. المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة د. قاسم عبده قاسم.
٦. تاريخ العلم جزء (١)، جورج ساتورن.
٧. المدخل إلى جامعات العصور الوسطى، جوزيف نسيم مقار.
٨. الدولة البيزنطية، د. سيد الباز.
٩. الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية، توفيق الطويل.
١٠. أوروبا العصور الوسطى، جزء (٢)، د. سعيد عاشور.
١١. الدولة البيزنطية، د. السيد الباز العريني.
١٢. مجلة المعرفة اللبنانية الأعداد ١٤ و٤٠ و ٥٦.
١٣. مجلة الكتاب عدد مايو ٤٦، الكتاب قبل الطباعة، د. زكي محمد حسن.



فاوستو ميلـوتي داخلا فـي الع

...جائب السبع

حسن السوداني
دمشق - سورية

بمناسبة انقضاء مئة عام على ولادة الفنان الإيطالي (ميلوتي). أقام المركز الثقافي الإيطالي في دمشق بالتعاون مع المكتبة الوطنية (مكتبة الأسد) معرضًا فنيًا شاملاً لهذا الفنان الذي يعدّ أحد كبار فناني القرن العشرين. وهذه قراءة لمحتويات المعرض الذي تضمن أعمال الفنان النحتية والسيراميكية والتشكيلية الأخرى.

حياة ميلوتي

- ولد فاستو ميلوتي في روفيريتو (ترينتو) في ٨ حزيران/يونيو ١٩٠١م. أكمل دراسته الثانوية في فلورنسا عام ١٩١٨م. انتسب إلى كلية الرياضيات والفيزياء في جامعة بيزا، ونال شهادة الهندسة الإلكترونية من جامعة ميلانو عام ١٩٢٤م، ثم في عام ١٩٢٨م حصل على دبلوم في النحت من المدرسة العليا للنحت في مدينة بريرا، وبدأ علاقته الفنية مع لوتشو فونتانا في عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥م. انتمى إلى التيار التجريدي، وعرض أعماله ومؤلفاته في غاليري الفني IImilione. لم يعلق أحد على هذا المعرض سواء من النقاد أو من الفنانين.
- شارك عام ١٩٣٥م مع مجموعة من الفنانين التجريديين في معرض في تورينو حيث صاغوا ووقعوا الإعلان الخاص بالفن التجريدي، ويتحول هذا المجهول في وطنه إلى فنان مشهور في باريس، وبتشجيع من ليونتشي روزنبرغ ينتقل إلى سويسرا حيث يفوز بجائزة La Sassaz.
- في عام ١٩٤١م ينتقل إلى روما حيث بقي سنتين كاملتين يرسم ويؤلف الشعر؛ هذا الانتاج الفني الثنائي قام بنشره جيوفاني شيفلير، وذلك عام ١٩٤٤م بعنوان «المينوتور التعس» وكي يؤمن معيشته عمل في السيراميك، وجاءت أعماله مميزة وبارزة بحيث قامت بلدية ميلانو بمنحهِ «الميدالية الحرفية الذهبية الإيطالية» عام ١٩٥٨م، وحاز في معرض Triennale في البندقية على الجائزة الكبرى والميدالية الذهبية. وفي عام ١٩٥٩م أضاف إلى أمجاده الميدالية الذهبية في مدينة براغ. وفي عام ١٩٦٤م نال ميدالية ميونخ.
- في عام ١٩٧٤م حصل على جائزة رامبرانت التي تماثل جائزة نوبل للفن.
- دار النشر أدلفي نشرت له مختارات نثرية وشعرية تحت عنوان Linee التي حازت عام ١٩٧٥م جائزة ديانو مارينا. وفي عام ١٩٧٨م تعود دار النشر نفسها لتصدر الكتاب الثاني من المجموعة نفسها.
- في عام ١٩٧٧م حصل على جائزة Biancamano.
- في عام ١٩٧٨ قدمت إليه جائزة Pelttinellio من قبل أكاديمية Lincei عن أعماله النحتية.
- في عام ١٩٧٩م أقيمت له عدة معارض من قبل مؤسسات رسمية في القصر الملكي في ميلانو. وفي عام ١٩٨١م في قلعة Belvedere في فلورنسا، وفي عام





أقراط للأذنين من تصميم ميلوتي

١٩٨٣م في المعرض الدولي للفن الحديث في روما.

- في عام ١٩٨٤م أقيم له معرض في البندقية، وفي عام ١٩٨٦م أقيم له معرض في سارثيرانا قبل أيام معدودة من وفاته.

ميلوتي والعجائب السبع

في ١٠ أيار/ مايو عام ١٩٣٥م عرضت كاليري ميلوتي في مدينة ميلانو أول عمل خاص قام به الفنان فاستو ميلوتي البالغ من العمر آنذاك ٣٤ سنة، كانت المنحوتات كلها كما ورد في الصفحة الأولى من الجدول، «تعود إلى عام ١٩٣٤م وما بعدها، وهي مصنوعة من الجبس، والفخار، والمعدن المطلي بالكروم، وقد بلغ عددها ١٨ منحوتة»، وكانت تلك الطبعة تضم أيضًا كلمة للفنان قدم فيها نفسه، وضمنها مجمل أفكاره حول مفهومه للفن.

«إن للفن روحًا ملائكية، هندسية» ويضيف.. «فهو يخاطب العقل لا الحواس. لذا فلا قيمة للمسة الريشة في الرسم، وكذلك صياغة الأشكال في النحت (بصمات أصابع الشخصية ـ اللمسة المعبرة لا تجدي الفن نفعًا، بمعنى الفن. فالآلة الموسيقية الأكثر كفاءة هي الأرغن لأنه لا لمسة فيه). القيمة لا تكمن في صياغة الأشكال بل في تنسيقها. فالصياغة تعني العينة = الطبيعة = الفوضى؛ بينما التنسيق يعني النموذج = القانون = النظام. فالكريستال يفتن الطبيعة».

ويتابع النص شارحًا كيف أن الامتناع عن رسم العالم الطبيعي الفطري وتمثيله، أسهل من الامتناع عن حب المادة التي يعمل بها. ومع ذلك فهذا عمل تسلية لا جدوى منه نسبة إلى الآخر. إن هذه المبادئ التي بقي لها ميلوتي أمينًا، هي أساسية لوضع إطار يحدد إنتاجًا فنيًا عظيم الإبداع، منذ الثلاثينيات، في وقتٍ كان النحت الإيطالي مازال مقيدًا بنماذج قديمة. كان ميلوتي قد وضع جانبًا الأفكار التقليدية التي تدور حول المادة والمذهب الطبيعي، وتجاوز العادات المتبعة، وأخضع العمل التشكيلي لقواعد التناغم والتآلف. إن أعماله لا تحتاج إلى تسويغ، هي تخلق المجال ثم تصوغه. المادة تصير شكلاً، والشكل بدوره يصبح مجالاً.

ما من شك أن نهجًا كهذا كان يتيح له أن يقف موقفًا جدليًا تجاه التجريدية والنص الأكثر تمثيلاً للموضوع على حدٍ سواء. وميلوتي على يقين أن الهندسة تمثل نقطة الانطلاق داخل جدلية ينبع فيها العنصر الوجداني من تطبيق مبدأ عقلاني تحدده العلاقة بين مجموعة قوى متعارضة.. يقول ميلوتي في مقابلة أجرتها معه أنطونيا مولاس عام ١٩٨٤م: «إن الفن التجريدي لا يعرف إلا الفن في ذاته، وعليه فهو لا يبحث عن لغة ترتكز على الأشياء الظاهرية؛ إنه كالهندسة، كالرياضيات. إذا انطلقت من هذه المبادئ يمكنك الوصول إلى إبداع تُحفٍ ترتكز فقط على التآلف والتناغم. هذا الأمر لم يفهمه التجريديون، وأنا أتباهى بأن الأعمال التجريدية الموسيقية قد أوجدتها أنا لناحية التنوع والتآلف. ومن الواضح أنه منذ الثلاثينيات وعلى الرغم من أن ميلوتي شارك في خبرة المذهب التجريدي الإيطالي والأوربي، لكنه حمل مواصفاته الخاصة. وهي البحث عن نظام وعن تآلف أسمى يتميز به بحيث يصبح الرسم الهندسي جزءًا لا يتجزأ من مجموعة المراحل التشكيلية. فميلوتي يعمل على مستوى يختلف عن زملائه حين يعطي أعماله بصمة فيها صفة التناسق: فالطبيعة وجاذبية اليونان، واللامبالاة بالمادة، إضافة إلى إبراز العنصر التصويري، كل هذه تصهر معًا لتضع فنًا يمكن إخضاعه لشرائع خاصة، ويولد من خلاصة دمج الرياضيات بالموسيقا. إنها خلاصة ذات وجوه كيماوية وخيالية حسبما أكده ميلوتي عام ١٩٦٧م معيدًا إلى ذاكرته الثلاثينيات: «ما ننشد في أعمالنا الفنية صدى التأليف الميلودي القديم وتناسق الألحان. إن الأقسام، وليس الأسطح المتقابلة بدقة والظاهرة (أي الصياغة)، بل الأسطح التي تتداعب بعضها مع بعض فتهب حياة لمستويات خيالية، هذه الأقسام في لهوها هي لعبة طالما نجحت فأضحت شعرًا».

زد على ذلك أن ميلوتي هو النحات الوحيد الذي أتقن أصول التأليف والموسيقا، لذا فهو الذي يستطيع فكريًا أن ينقل هذه إلى صلب المجال أفقيًا وعموديًا. ولا

أخضع ميلوتي أعماله لقواعد التناغم والتآلف




استعمل ميلوتي مواد كثيرة في إنجاز أعماله الفنية

يمكن فصل الموسيقى عن حياته وعن فنه، والتأليف الميلودي هو بمنزلة المرجع الأساسي..

«إن نحتي - يقول ميلوتي - هو تأليف ميلودي صرف. لا يولد من شريعة، وليس هو متروك الإلهام يرفرف، أو أن هذه الرفرفة هي منوطة بقوانين هندسية».

إذا أردنا أن نبحث عن استقلالية التعبير عند ميلوتي فما علينا إلا أن ننطلق من رغبته في إبداع لغة فنية هدفها أن تتطور بناءً على مقتضيات جديدة. بهذا الخصوص حري بنا أن نذكر ملاحظات هذا الفنان حول التعليم الفني التي نشرت عام ١٩٣٤م حيث يقول: «إن الفن التجريدي يعطينا الأكاديمية. النتيجة هي قابلة للتحليل تمامًا كما هي حال الفوغا Fuga في الموسيقا (بفضل نظريات التأليف الميلودي والفوغا) وحال القصيدة (بفضل علم العروض). كل هذا يساعدنا جدًا على التعليم، فضلاً عن أن المحتوى الانفعالي هو مرتبط أيضًا، ولو بشكل جزئي بالطريقة التي تطبق فيها القوانين العائدة إلى تأليف الألحان ونظمها. في صلب هذه القوانين تمامًا تكمن خصائص الكلاسيكية، هذه القوانين التي بقيت طي النسيان عبر تاريخ الفن. إن الفنان، وهو ابن مدينة ترينتو، يعمل على ثبات الشكل متممًا عملية تجريد المادة بأسلوب معالِج من النوع الإينتروبيكي عملاً بنصيحة ريناتو باريللي عام ١٩٦٩م.

يستعمل ميلوتي الجبس والحديد والمعدن، كما يستعمل النحاس والفخار والخشب والورق، والصدف أو القماش، إنما هذه المواد تظهر استثنائيًا كآثار العبور في تعبئة المجال تصوُّرها فكريًا قبل أن ينجزها ماديًا. إن فنه هو نحت اللامادي، حيث الحضور التشكيلي البنَّاء الفرضي يناجي الحضور التشكيلي فينفذان معًا إلى المجال.

إن المجال الفارغ هو أكثر بلاغة من المفعم، وهذا بسبب درس أخذه من معلمه «إدولفو ويلدت» في أكاديمية مدينة بريرا، الذي تبدو صلته بوضوح في المعرض الذي أقيم مؤخرًا في بريشا والذي خصص «لويلدت» وطلابه تحت رعاية «إيلينا بونتيغيا».

ويؤكد ميلوتي في جانب آخر أن «حياة الفنون تكمن في اقترانها، فالشعر هو شعر إذا اقترن بالشعور الموسيقي، والموسيقا الوجدانية بالشعر، والموسيقا الميلودية مقترنة بفكرة تشكيلية. إن الفن الخالص هو كالعانس، كذلك مجمل الفن التجريدي غير المقترن بالتأليف الميلودي هو عانس أيضًا».

إن هذا المعرض الذي نظمه المركز الثقافي الإيطالي في دمشق يرمي إلى أن يكون مناسبة للبحث في النموذج الذي يتعارض مع فوضى الطبيعة، ويتناول المراحل الفنية عند النحات بناءً على موجهات مختلفة، ويوضح أيضًا

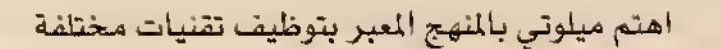
المكان الذي فيه يلامس العمل التشكيلي مباشرة المركّب التخطيطي الخاص بهذا العمل، بل بالأحرى الرسم الذي هو «التحليق المذهل والحائر في الذاكرة» والذي فسره ميلوتي بالعبور الفجائي من اليقظة إلى الحلم.

إن العمل على الورقة يدل على وحدة الغاية التي ترفض نظام الرتب والمناصب ومن خلال الـ Corpus المرسوم يمكن تمامًا دراسة ظاهرة تجريد تلك المادة التي أشرنا إليها، العلامة تنفذ إلى العمل وتظهر كبصمة خيالية في لعبة دقيقة من الخطوط تتوافق مع النماذج عينها التي تميز الفن التشكيلي.

كل ما يهم بالنسبة إلى ميلوتي هو المنهج المعبر الذي يمكنه إيجاد شكليَّتهِ عبر تقنيات مختلفة. ففي المقابلة التي أجرتها معه «انطونيا مولس» يشرح ميلوتي كيفية ولادة الوحي: «يمكنني أن أقول بأنني أدخل صباحًا إلى مكتبي وأبدأ بعمل منحوتة أعرف مسبقًا كيف ستكون، لا ليس بوسعي أن أقول هذا. أنا أجد نفسي دائمًا أمام شيء في غاية الغموض، ومضطرًا إلى إضاعة الوقت أولاً تقليبًا وتدويرًا.. لا أعلم... إذا فكرت بعمل منحوتة أعمل رسمًا.. كما أنه من العلامة تولد علامة أخرى. ويضيف: العلامة تحيا في الرسم، والعلامة هي روح وجوهر الفنان»،

هو ذا إذًا المعرض الذي يولد من ضرورة وصف العلامة في دورانها المطلق كعنصر يظهر ويختفي بطريقة شبه سحرية، ليعود فيجد مكانه على الورقة في طريق حر تمامًا مثلما يحدث في مجال السطح التشكيلي. هو «عبارة عن حذف تجسيمي مستمر ما بين البعد الثنائي والبعد الثلاثي في نوع من التشكيلية الجديدة وفي تحلل ما ورائي». هذا ما كتبه فلامينيو غوالداني. إن الرسم واللوحة المائية والتقنيات المزوجة ورسوم الحفر والنقوش، تشكل كلها في المعرض تأليفًا ميلوديًا للنحت في حوار متبادل، حيث تنصهر الموسيقا والعلامة والشعر بصفتها منابع بحثٍ أولية. هكذا يتطور الشعر بشكل عناصر متضافرة، حيث يحاور ميلوتي الكاتب والشاعر، شعراء آخرين أمثال: إزراباوند، وريمون فينو، واوجينيو مونتالة، ووبليم بطلريتيس مكونًا بذلك ندوة منظورة مفعمة بالانفعالات، حيث يمر التنسيق الميلودي عبر منحوتات شعارية مثل: «الحمائم بوجه صبية» الصادر عام ١٩٧٩م، و«فنتازيا» عام ١٩٧٢م و«حفلة موسيقية في هايد بارك» عام ١٩٧٣م.

يقول ميلوتي: «الشعر يحيا في داخل أي عمل فني إذا كان عملاً فنيًا حقيقيًا، اليوم نجد أعمالاً كثيرة لا شعر فيها، وربما هذه هي الأسباب التي تجعل عالم الفن أكثر كآبة» ويلخص أفكاره في كتابه «خطوط» المؤلف من جزأين، ومن منشورات أديلفي التي منها تبرز دعوته الثنائية: الشعرية والتصويرية. هنا يتطابق توالي المبادئ الوجدانية والشعرية تمامًا مع المنطق الذي هو



اهتم ميلوتي بالمنهج المعبر بتوظيف تقنيات مختلفة



في أساس مؤلفاته في طريق يتيح استعراض الأوزان الإيقاعية والتأليفية، إلى جانب الجوهرية المطلقة التي تميزت بها مسيرته الفنية. إن «خطوط» هو إذاً مؤلف منزّه من ناحية أدبية، وهو يعكس عملية صقل لعالم داخلي يكمن في فنان فريد مميز، فضلاً عن النقوش التي تزيد هذا المؤلف غِنًى فتكمله وتعطيه بسبب قلة نُسَخه المسحوبة، مكانًا عاليًا في التصنيف المرجعي، كل هذا جعل منه تلك السنة، كتابًا نادرًا جدًا. «هذا ما ورد في مقدمة المجلد الثاني من «خطوط» الذي ظهر في منشورات أديلفي عام ١٩٧٨م. إن الاحتكاك بواسطة الكلمة يمكنه أن يكون تهكميًا أو غير واقعي، وجدانيًا أو كئيبًا إنما هو دائمًا نتيجة إنشاء عقلاني لا عقائدي. هذا ما تؤكده البطاقة «في سبيل مسرح الأطرش» التي نشرت عام ١٩٧٦م والتي تحتوي إضافة إلى مطبوعات حجرية خمس، ونموذج فريد، مخطوطًا شعاريًا مؤلفًا من عشر نقاط منها:

- إن الكلمة تصل إلى الأطرش مزورة فتفرز الموقف، وهذا هو مسرح بحد ذاته.
- عندما يضحك الجميع فالأصم متأثر بضحك أيضًا. أما إذا بكى الجميع فهو يحزن.
- كما هي حال التأليف الميلودي والنغم في الرومانسية الصامتة، كذلك في مسرح الأطرش تكون المواقف والحركات معبرة تمامًا.
- إن الصخب الذي دخل الموسيقا عنوة لا يصل إلى خلوة الأصم المتحجر شعوريًا.
- في المشهد الصامت تتحرك الغرفة والجدران والأغراض.

إنها شظايا يسهل أن نرى فيها العلاقة الوطيدة، ليس مع المسارح الصغيرة فحسب، بل مع جهاز فني يسعى إلى تحديد المجال لبناء مستقل، حيث النماذج، العلامات تفرض نفسها من أجل وظيفة خاصة بها، تختلف عن تلك المتفق عليها عادة.

وفي رسالة وجهها ميلوتي إلى «كارلو بللي» يحاول فيها التوصل إلى خلاصة بين الفنون يقول فيها: إن الموسيقا ستفهم كتعاقب صور سريعة (جمل) بحريّة وطلاقة.. ويضيف: في هذه الأيام رحت منكبًا على الرسم بشكل جنوني. ألفتَ بقلم الرصاص مسوداتٍ لثلاث لوحات ستحمل السعادة للأجيال القادمة، وهي تحمل العناوين التالية: «صلاة السيد الكونت»، و«السكان»، و«الدمى في المقصف». كما أني ألّفتت أيضًا مقطوعتين موسيقيتين هما «الأسمر» و«السكران».

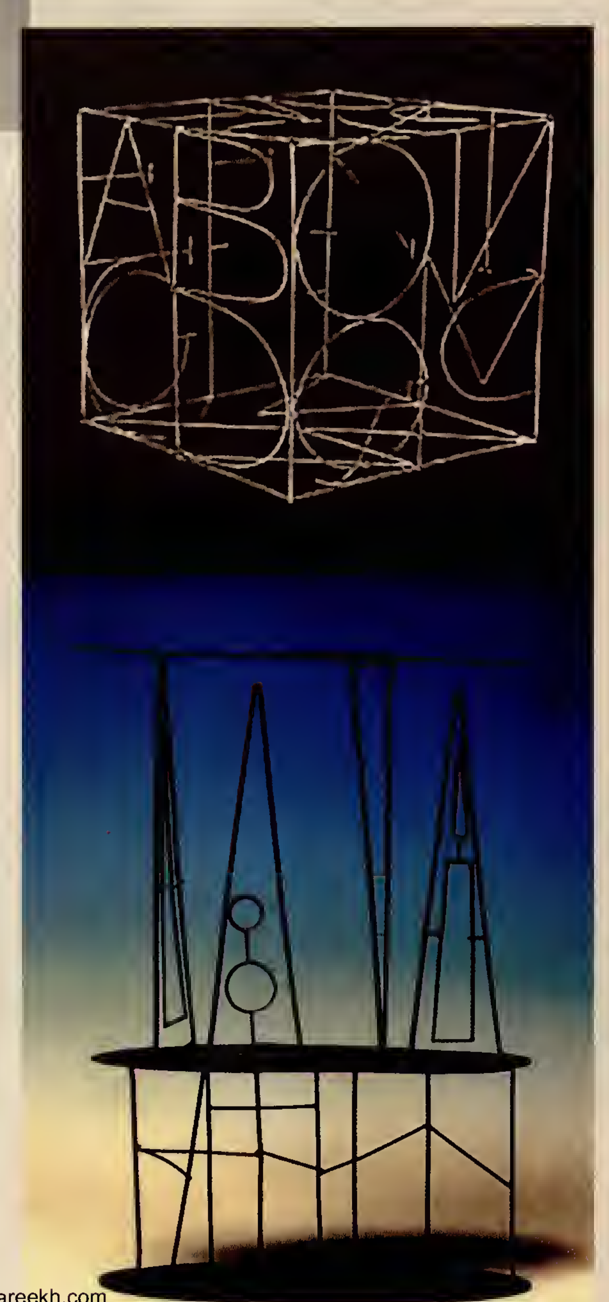
وللتذكير خصص قسم في المعرض ظهرت فيه للمرة الأولى مجموعة الأحرف الهجائية الكاملة. وفي هذه المناسبة تم التعبير عن الانقلاب في المستوى الدلالي (السميولوجي) إلى المستوى الفني في ست نقاط وضعت كمقدمة «لأحرف هجاء كريستينا»:

- إذا رمينا أحرف الهجاء في الهواء تطير الكلمات.
- في كلمة aiuole (حدائق) نجد الأحرف الصوتية كلها وحرفًا ساكنًا واحدًا فضلاً عن الكثير من الأزهار.
- الكلمات الصوتية فضلاً عن أحرفها يتبعها مزامير وطبول.
- أحرف الهجاء معزولة وحدها لا تمثل شيئًا إلا حرف الـ (O) لكنه يعطي أيضًا الصفر.
- إذا كتبنا الفيل بالحرف الصغير لا يصغر حجمه. والقزم بالحرف الكبير لا يكبر. أما الازدراء فيكبر بأحرف التاج.
- أحرف الهجاء تتبعك مثل القطار متأهبة لخدمتك. وأحرف الهجاء هنا لا تمثل وحدها شيئًا، وهي لا تنوي الدخول في علاقة مع الكلمة. كلا، الحرف هو تركيبة شعرية مستقلة، هو الدال الذي يصبح مدلولاً خلال صياغته، متحررًا من قيود الأدب، إن الكتابة في رأي ميلوتي هي امتداد الشكل بنوع من التقمص

الشعري، وهذا ينطبق أيضًا على المنحوتات التي تحتوي على الكلمات.

إن ميلوتي يخضع الكتابة لقواعد الصورة. فيتيح للمشاهد مفهومًا صغيرًا، ليجد نفسه أمام جمل وضعت بعضها فوق بعض، وفقدت محتواها الأدبي لتصبح جزءًا من متاهة دائرة حيث تتشابك الألحان



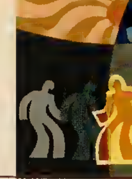


لتصبح جزءًا من العلامات والأنوار والظلال والفراغات والمفعمات، والشظايا والأفكار.. «فضلاً عن ذلك في نهاية الرحلة ليس بالضرورة أن نصل إلى تبصُّر الخلاصات القصوى، والرسم التخطيطي لأحرف هجاء مطلقة، إنما نحصل بالتأكيد على قائمة بالشعارات الثلاثية الأبعاد والديناميكية. كل حرف مرفوع فوق صارية على أهبة الدوران كالمظلات، والامتداد كالمطاط، والرفرفة كأذيال نسور عملاقة». وهذا ما يؤكده إيتالو كلفينو الكاتب الذي تحاور عن كثب مع بحث ميلوتي وخصَّهُ بكتابه «المدينة غير المنظورة».. إلى فاوستو ميلوتي ـ المدن الغامضة ـ وكل ما سواها في هذا الكتاب الذي أهديه إليك أيضًا، هذا ما كتبه كلفينو في الإهداء «للبهلوان غير المنظور».

المراجع والهوامش

ميلوتي ـ مؤسسة سارثيرانا للفن، والمركز الثقافي الإيطالي. مواضيع ومنوعات، مجموعة من الباحثين، ١٩٨٦ ـ ٢٠٠٠م.

مصدر الصور: الإنترنت.







الأصـل الأندلسـي لمصـ

ـــارعة الثيران

أومار فاديو Umar Adillo
ترجمة: صلاح يحياوي
ماديسون ـ أمريكا

كان كثير من الناس يقولون: "إن مصارعة الثيران هي جوهر إسبانيا وروحها". غير أن قلة منهم تعرف أن مصارعة الثيران الحديثة أنشأها مسلمو الأندلس. قد لا يكون هناك شيء أكثر تمثيلاً وترميزًا لذلك التراث المسلم من الهتاف "أوله! OLE" الذي يصدر عن المعجبين والأنصار في أوج إنجاز جيد؛ وما ذلك الهتاف في الأصل إلا "يا الله!". أي الهتاف القديم لمسلمي الأندلس الذين ابتدعوا مصارعة الثيران.

يمكن لأولئك الشديدي التوق إلى إيجاد أصل قديم لمصارعة الثيران أن يبدؤوا برسومات كهف التيميرا Altimira في مدينة سانتاندر Santander في إسبانيا التي تمثل البيسون Bison ثور ما قبل التاريخ الذي يعود إلى ٢٠٠٠٠ عام. كان البيسون ـ الحيوان الأوفر حظًا في هذه الرسوم ـ سلفَ الثور الإسباني. كان القتل الفعلي للثيران يتم في القفار وتقوم به جماعات قَبَلية من الصيادين. قد يقال: إن هذا كان بداية كل شيء، إلا أن شيئًا خاصًا كان قد تطور من صيد الثور الوحشي إلى رياضة مسلية ليغدو فيما بعد مصارعة الثيران.

إن المجتلدات[١] الإقريطيشية (نسبة إلى كريت أو إقريطش) ـ حيث كانت تتم الأحداث المتعلقة بالثيران ـ هي أول تجسيد لما يماثل حلبات مصارعة الثيران الحديثة. وقد سُجِّل أول مرة ظهور الرجل والثور معًا في مشهد غير اعتيادي بمناسبة احتفال ذي سمة دينية. وفي الحقيقة فإن اللوحات الجصية الجدارية الشهيرة التي تُظهر فتيانًا يثبون على ثيران تشهدُ على تطور فن بهلواني يتم بشجاعة وتحدٍ شبيهين إلى حد كبير بما يقوم به مصارعو الثيران في إسبانيا والبرتغال.

كانت روما مَعْلَمًا آخر مُورِسَ فيه شكل ما من مصارعة الثيران على المدرجات الرومانية. ويُعتقد أن يوليوس قيصر كان أول من أدخل مصارعة الثيران إلى الكوليسيوم[٢] في روما. كما يبدو أن فرسان تسالونيكا Thessalonica (سالونيك) كانوا يقاتلون الثيران الوحشية في المدرج الروماني، وأن الثور قد أدّى دورًا في احتفالات الصيد التي كانت تقام على المدرجات[٣].

فإن كان هناك ارتباط، وصَحَّت هكذا نظرية نشوئية، فقد كانت اللحظة الرئيسة في الانتقال من المدرج والصيد في القفار إلى مصارعة الثيران الحديثة. ثم كانت لحظة إدخال المسلمين مصارعة الثيران من على صهوة الجواد. يُنسبُ هذا التجديد أو الولادة الأصلية ـ وذلك حسب النظرة ـ كليًا إلى مسلمي الأندلس. هذا ويجادل غاري مارفين Gary Marvin في كتابه «مصارعة الثيران»[٤] قائلاً: «إن المسلمين هم الذين ساعدوا على هذه النقلة من صيد الثيران في القفار إلى قتلهم كجزء من احتفال مدني».

إن السجلات الوحيدة لمصارعة الثيران ما قبل الدور المسلم للتاريخ الإسباني سجلات مشكوك فيها جدًا. وهذه الحقيقة تقودنا إلى الاعتقاد أن مصارعة الثيران إما أنها لم تكن موجودة من قبل، وإما أن شعبيتها لم تكن كشعبية الأدوار اللاحقة. إن شهادة القديس





غويا: قرية مصارعة الثيران

إيزيدورس الإشبيلي Isidoro De Seville (٥٦٠ - ٦٣٦م) في اشتقاقاته للألفاظ تؤكد أن شكلاً ما من تقليد المدرج الروماني القديم ربما كان قد بقي كشكل من أشكال التسلية في إسبانيا. كانت هناك في هذا المدرج عادةً بعضُ الحيوانات بما في ذلك الثيران. ويُعد عدمُ وجود سجلات إشارةً قوية إلى الانقطاع في تقليد المدرج الروماني، وإلى بداية شكل جديد من مصارعة الثيران في عهد مسلمي الأندلس في إسبانيا.

ليس هناك معلومات عن مصارعة الثيران ما بين القرن العاشر والقرن الثاني عشر. هناك من القرن الثاني عشر إشارات إلى احتفالات شتى للثيران، وأعياد ملكية للاحتفال بالأعراس، والولادات، والزيارات، والانتصارات العسكرية (٥).

وُلدت مصارعة الثيران من ممارسة صيد الثور الوحشي. عاش هذا الثور الاستثنائي في قفار أوربا حتى القرن الثاني عشر. وكان انخفاضه في إسبانيا نتيجة لمصارعة الثيران فقط. كانت المصارعة الأولى للثيران شكلاً من الصيد في حقول مفتوحة لتغدو فيما بعد في حلبات مغلقة، كانت الثيران تقتل من على صهوة الجواد، وما كان الفرسان ليواجهوا الثور راجلين (على الأقدام) إلا إذا كانت هناك ضرورة لذلك. وأخيرًا كان القتل وحده - وهو الجزء الأخير والأكثر جرأة وتحديًا من هذا الصيد - مدعومًا ومصونًا من إجراء الصيد، ولم تعد هناك من حاجة إلى البحث عن الثور ومطاردته. فقد غدا يُربى ويُجلب إلى الحلبة حيث يقوم مصارع الثيران أو Mata Toros (الذي دُعي فيما بعد Matador أو Torero) (٦) بإجراء قتل الثور، أو إنجاز المهمة.

كتب نيكولاس فرناندث دِ موراتين Nicolas Fernandez De Moratin عام ١٧٧٦م رسالة عنوانها: «رسالة تاريخية حول أصل أعياد الثيران في إسبانيا وارتقائها» جاء فيها أن مصارعة الثيران البدائية كانت رياضة وتسلية مقصورة على طبقة النبلاء.

ويؤكد أيضًا أن طبقة النبلاء المسلمة قد طورت العناصر والطقوس الأساسية المتواكبة مع أعياد الثيران (مصارعات الثيران)؛ ومن ثم طورت استخدام الكأپ أو الكاپا Capa (٧)، وأن حلبة الثيران كانت ابتكارًا مسلمًا. إضافة إلى ذلك كتب أحد مصارعي الثيران العظام في زمنه، ويدعى پيّه إيّو Pepe illo عام ١٨٠٤م في كتابه Tauromaquia أي «مصارعة الثيران»:

«أدخل المسلمون أيضًا استخدام الرماح الخفيفة



وُلدت مصارعة الثيران من ممارسة صيد الثور الوحشي

الشائكة النصال أو الحربات Banderillas. وكان هناك مصارعو ثيران مسلمون مشهورون في الماضي».

وقد أشار «موراتين» إلى شخص يدعى «جدار ينغ غزول Gedaring Gazul» الرجل النبيل المسلم الأسطوري ذو المهارة العظيمة بالثيران. كما أشار إلى أن مصارعة الثيران الراجلة (على الأقدام) قد غدت جزءًا من المهارات المطورة في حلبات المسلمين لمصارعة الثيران، وأضاف:

- «إن أولئك الذين قاموا بهذا كانوا عبيدًا مسلمين، وغدوا فيما بعد من السود، والمولدين أو الخلاسيين» (٨).

تعود مصارعات الثيران الفروسية في الأصل من دون ريب إلى استخدامات الفرسان العرب الإسبانيين (الفرسان أو الرجال المدججون بالسلاح على صهوات الجياد) الذين كانوا - بغية تعويد أنفسهم على فعاليات الحرب - يشغلون أنفسهم في زمن السلم بتمارين في استخدام الأسلحة، بما في ذلك مصارعات ثيران وحشية حرونة. صارع الفرسان المسلمون من على صهوة الجواد قاتلين الثيران بالرماح؛ وبذلك جمعوا بين الشجاعة واللياقة الفروسية. وفي العهد الأخير لإعادة الفتح كان التعامل المألوف في أزمنة السلم بين الإسبانيين ومسلمي غرناطة - حيث كانت تقام مصارعة الثيران حتى عهد أبي عبدالله الصغير - قد أدت إلى زيادة في البسالة بين الفرسان المسيحيين، والرغبة في إظهار هذه البسالة في هذه الرياضة الخطيرة (٩).

قدم ابن الخطيب (١٣١٣ - ١٣٧٤م) وصفًا شائقًا لممارسة مصارعة الثيران في بلاط غرناطة (١٠) في عهد أمير غرناطة محمد الخامس (١٣٥٤ - ١٣٥٨م). فقد نظم الأمير مصارعة ثيران بمناسبة ختان ابنه، وذكر ابن الخطيب استخدام الكلاب في التحكم بالثور وتهدئته، وما إن يُنْهَكَ الثور حتى يقوم الفارس بقتله.

والبرهان على أصول مصارعة الثيران هو أن الثيران الوحشية الإسبانية لم تكن مقتصرة على الأندلس فقط بل كانت أيضًا في بعض أجزاء إفريقية الشمالية، ولما لم يكن للثور الوحشي الإسباني أي استخدام آخر سوى في مصارعة الثيران، فهذا دليل على ممارسة مصارعة الثيران هناك. كتب ابن أبي زرِفِسانو Zeafesano في كتابه المترجم إلى اللاتينية بعنوان Annales Regum Mauritaniae أن ثورًا في مراكش قتل يوسف الثاني بن ناصر (١٢١٣ - ١٢٢٣م) الأمير الموحِّد حاكم مراكش والحاكم بالاسم فقط للأندلس، وذلك سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣) (١١). يقول الكاتب: إن الأمير كان معجبًا جدًا بالجياد والثيران الأندلسية، وكان لديه في مراكش حديقة تضم ثيرانًا أندلسية.



جهود كبيرة بذلت من أجل تحريم مصارعة الثيران

المرابطون وحَلَبة الثيران

كان ظهور حلبة الثيران نقطة أساسية في تطور مصارعة الثيران، ولا بد من الحلبات لمصارعة الثيران الحديثة المنظمة، وللانتقال من الصيد في أرض الله الواسعة إلى مصارعة حديثة للثيران في حلبة مطوقة. كما أن الحلبة تمثل بداية الارتجال (المشي على الرِجلين) في مصارعة الثيران، والتي تعد أشهر شكل شعبي لمصارعة الثيران.

إن التحقق من اللحظة الدقيقة التي تم فيها أول مرة ابتكار الحلبة لهذا الغرض أمر صعب، علمًا بأن هناك بعض المفاتيح المؤكدة لذلك. ففي خرائب رباط قرية الموناستير Almonaster في ولْفا Huelvn في إسبانيا لاتزال هناك حلبة قديمة ملحقة بالبناء الرئيس لوقوعها على هضبة داخل مجمع عسكري، وليس هناك أي غرض منطقي لها سوى كونها حلبة ثيران. كان قتل الثور في السابق رياضة، وكانت هذه الرياضة بين طبقة النبلاء المسلمين متواكبة مع بعض المواقف الإيجابية والشجاعة. وكان من الممكن بسهولة تكييفها لتكون جزءًا من التدريب العسكري لأهالي الرباط (للمرابطين) كما هي حال حلبة رباط الموناستير، وآخر اختبار لِجَلَدِ الجندي وهو واقف ثابت أمام الموت، هذه الوقفة التي لا يتاح تعلمها إلا في وضع ساحة المعركة. وما مجابهة الثور الوحشي إلا البديل الكفؤ لساحة المعركة.

لقد كان الوقوف أمام ثور وحشي وقتله بالسيف فقط اختبارًا لشجاعةٍ ومهارةٍ تهيئان الجندي لهذه المهمة. إن رباط الموناستير فريد من الناحية التاريخية؛ لأنه أحد الرُّبُط القليلة التي حُفِظَتْ بكاملها. وقد هُدم معظم الرُّبطِ الأخرى وحُوِّلَتْ إلى أديرة. وإذا عرفنا أن الكنيسة كانت

تعارضُ مصارعة الثيران فهذا يعني حظر بناء الرُّبُط.

إذا كنا بحاجةٍ إلى تحديد تاريخٍ لنقطة الانعطاف في تاريخ مصارعة الثيران فيكون دور المرابطين في الأندلس الدور الأكثر احتمالاً لتعيين التوقيت والثقافة. زد على ذلك أنه لدعم النظرية القائلة بأن المرابطين قد يكونون مبتكري التحول، ومن ثم هم المنشئون مصارعة الثيران الحديثة فإن بإمكاننا النظر إلى اللمحة العامة عن حياة هذه السلالة من البربر (الأمازيغ).

كان المرابطون عشيرًا مسلمًا تربى بين بربر أقصى جنوب المغرب. لقد حكم المرابطون شمال إفريقية من عام ١٠٥٥م إلى عام ١١٤٧م، وشاع لذلك اسم قرن المرابطين.

كانت اللمحة عن حياة المرابطين هي اللمحة عن حياة ثلة من المحاربين، وقد تشدد ذلك ببنائهم للرُّبُطِ كتعبير رئيس عن أسلوب حياتهم. إن مصارعة الثيران كشكل لتدريب النخبة قد تكون ملائمة على نحو كامل

العظمى ممثلة بأسرة ابن رشد: الجد والحفيد (مع أنه مات في دور الموحدين). تتحدد اللمحة عن حياة المحارب بتذوق الجمال والإحسان فتقدم الخلفية الثقافية المثالية والحالات الجيدة لتقرير أصل مصارعة الثيران. وعلى نحو كرونولوجي (١٢) أيضًا يبدو القرن الحادي عشر بكونه التوقيت الصحيح الذي يساعدنا على استيحاء أن مصارعة الثيران كانت حصيلة العبقرية الثقافية لجيل المرابطين في الأندلس.

تحريم مصارعة الثيران وسقوطها المفاجئ

بذلت الكنيسة المسيحية والملوك المسيحيون كل ما لديهم من طاقة لإيقاف، أو على الأقل، للتحكم بعيد الثيران، وقد بدأت القرارات الأولى ضد مصارعة الثيران، إذ مَنَعَ ملك قشتالة الفونسو العاشر (١٢٥٢ - ١٢٨٤م) - في «قوانين التقييد» التي أصدرها - مصارعة الثيران بين جماهير الشعب معلنًا أن مصارعي الثيران






في هذه البيئة. وقد جلب المرابطون في الوقت نفسه الأناقة والتجديد إلى أسلوب المدينة. إنها مدرسة الإمام مالك، أو مدرسة جمال المدينة. وغدا هذا التجديد مرئيًا في المرتفعات الجديدة التي تم بلوغها في الرتبة الثقافية والاجتماعية التي قدمتها إلى الأندلس ثلاثةُ أجيال من المرابطين المسلمين. لقد كانت عبقريتهم

سيئو السمعة، وأن مشاهدة مصارعة الثيران تُلحق الخزي والعار. ومَنَعَ القسسَ من مشاهدة عيد الثيران، أو من أن يكونوا من المصارعين. ومنع مصارعي الثيران من أن يكونوا محامين، وسمح للآباء بحرمان أبنائهم من الميراث إذا ما غدوا مصارعين سيئي السمعة.

بهذه التدابير حَرّم الثقافة التقليدية للبلد، وألحق

ترجمة: صلاح يحياوي



يتطلب تعلم كيفية قتل الثور تقنية استثنائية واضحة المعالم

بها الخزي والعار، ومَنَعَ القسسَ والنبلاء الذين يتوجب عليهم أن يكونوا مثالاً يحتذى من احتمال مشاهدة مصارعي الثيران المأجورين، ومشاركتهم، وحتى من رؤيتهم معهم لأنهم سيئو السمعة.

لم ينجح الملك في ذلك؛ لأن عادات الشعب كانت متأصلة في أعماق النفوس، هذا بالإضافة إلى أن أغلبية الطبقة الأرستقراطية ذات أصل وذوق مُسْلمِيّن.

ولم تُلْغَ قوانين سانشو Sancho العاشر إلا بعد ذلك بخمسمئة عام؛ وهذا يعني أن مصارعة الثيران الراجلة (على القدمين) كانت قد بقيت على نطاق ضيق، أو بقيت سرية. وغدت مصارعة الثيران الرسمية مؤسساتية، أي وكّدَت على التنظيم على حساب العوامل الأخرى، وضُبِطَت من قبل الدولة، وأُرْهِقَتْ بطقوس حكومية ومسيحية وبألفاظ مجازية. وفي القرن الرابع عشر كان ملوك قشتالة كبدرو الأول Pedro I، وإنريكه الثاني Enrique II، وإنريكه الثالث Enrique III، من الأنصار الكبار لمصارعة الثيران، أو من المعجبين بها، وقد كتب فارغاس بونسه Vargas Ponce عن إنريكه الثالث في مقالة حول مصارعات الثيران: «كانوا في بعض الأيام يطلقون الثيران، ولم يكن هناك أيٌّ من أولئك الذين يبدون عنايةً عظمى بالثيران، سواء ارتجالاً، أو من على صهوة الجواد كما فعل هو باقيًا واقفًا بلا حراك أمام هجمة الثور غير المتوقعة، ومصارعًا الثور بالقرب القريب من جسده بمهارة عظيمة متعرضًا لخطر عظيم، وداخلاً بهذا الأسلوب الذي أدهش كل إنسان».



مُراوغات مصارع ثيران معاصر

رأت الكنيسة الكاثوليكية في مصارعة الثيران تهديدًا، وربما رأت فيها كثيرًا من الترميز إلى المسلمين. وكانت الكنيسة المنشغلة جدًا بمحاكم التفتيش وبالوعظ في أمريكا، وكأنها قد وجدت حتمًا شيئًا متجاوز الحد جدًا في مصارعة الثيران، فانصرف همها إلى التركيز فيها تركيزًا شديدًا، وأخذت تشن عليها هجمة عنيدة

كهذه، وأرفقت ذلك بضغط سياسي مستمر لمحاولة تقييدها أو منعها كليًا.

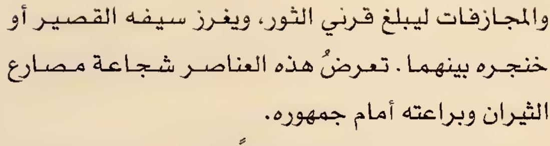
لقد منع أربعة من البابوات المتتالين مصارعة الثيران، كان أولهم البابا القديس بيوس الخامس Saint Pius v البابا الذي جمع الملوك المسيحيين لقتال المسلمين العثمانيين في معركة ليبانتو Lepanto، وأعطى دفعة جديدة لنشاط محاكم التفتيش، ومَنَعَ في الوثيقة De Salutis Gregis Dominci (١٥٦٧م) ممارسة مصارعة الثيران، وعاقب من كان يخالف الوثيقة بالحرمان الكنسي. فإذا كان شغله الشاغل شيّ النساء وهن حيّات! فإن بإمكانه بلا ريب عدم العناية بخير الثيران، لكنهُ اهتم بكل ما أوتي من طاقة في التخلص من أي أثر مسلم في ممالكه. وتردد صدى منعه لدى البابا التالي غريغوري الثالث عشر Gregory xIII عام ١٥٧٥م على الرغم من أن هذا كان قد غير الوثيقة بحيث جعل الحرمان الكنسي لا ينطبق على العلمانيين (وربما كان ذلك بضغط من ملك إسبانيا فيليب الثاني Phillip II الذي كان أبوه الإمبراطور شارل الخامس Charles v من الهواة الكبار لمصارعة الثيران). وأعاد البابا التالي سيكتس الخامس Sixtus v الحرمان الكنسي ليشمل الجميع عام ١٥٨٣م، في حين جاء البابا الذي تلاه فغير ذلك عام ١٥٩٦م مرة أخرى.

وبعد دور متطاول من الشجب والإدانة بدأت الكنيسة على نحو حكيم بتكييف (ما كانت تراه) المبتذل في صراعات الثيران، ولكنه الشعبي، إلى أعياد أيام القديسين كوسيلة للحصول على الدعم الشعبي. ولم يمض وقت طويل حتى أخذ سكان المدن يستأجرون فرق مصارعي الثيران الراجلين لتسليتهم في الأعياد التي ترعاها الكنيسة (١٣).

وبوصول فيليب الخامس وبلاطه، وهو أول ملك بوربوني فرنسي لإسبانيا عام ١٧٠٠م هبطت مراسم الثيران على نحو حقيقي إلى الرعاع. «وُجِدَ أن قتل الثيران خال من الذوق وبغيض إلى النفس، وانسحب من الساحة أعضاء الطبقة الأرستقراطية، أولئك الذين رغبوا في الاستمرار في محاباة البلاط» (١٤). وعندما سحبت طبقة النبلاء دعمها لمصارعة الثيران تناقصت أحداث المصارعة على نحو عظيم من حيث الأبهة والروعة والحنكة إن لم يكن من حيث الحماسة. وفي الواقع غدت حفلات مصارعات الثيران الراجلة بعد حين شائعة جدًا، واسترسلت في مرح صاخب مما جعل الحكومة تبحث عن تشريع لتنظيم الفعاليات، وإعادة توطيد مصارعة الثيران كاحتفال شعبي تقليدي، ومع كل ذلك استمر المنع.

- ففي عام ١٧٥٤م مَنَعَ مرسومٌ ملكي أصدره فرناندو السادس Fernando vI جميع مصارعات الثيران في إسبانيا.
- وفي عام ١٧٥٨م منع مرسوم ملكي قتل العجول.
- وفي عام ١٧٨٥م مَنَعَ مرسوم صادق عليه كارلوس الثالث مصارعات الثيران باستثناء رخص تُعطى إلى المشروعات العمومية والخيرية.
- وفي عام ١٧٨٦م مَنَعَ أمر ملكي أصدره كارلوس الثالث جميع مصارعات الثيران في إسبانيا باستثناء مصارعات الثيران في مدريد.
- وفي عام ١٧٩٠م منع تدبير احتياطي ملكي الركض أمام ثيران مربوطة بحبال.
- وفي عامٍ ١٧٩٧م أُلغيت جميع القوانين التي منعت مصارعة الثيران؛ إذ تبينت الحكومة أن عليها أن ترخص مصارعات الثيران وإلا فإن الشعب سينظمها من دون إذن.
- وفي منتصف القرن التاسع عشر كان قد توطد استخدام الصيغة الغامضة التي كانت لا تزال موجودة، وذلك بالسماح بقيام عيد الثيران بأمر من «السلطة الملائمة».


الثبات أمام الخطر هو ما يميز مصارعة الثيران



الحيوان لا يتبع اللون الأحمر بل يتبع ما يتحرك

لم يؤد مَنْعُ مصارعة الثيران إلا إلى الفوضى والفساد. ولم يقدم استخدام عيد الثيران السياسي والديني لمصلحة الكنيسة ذاتها وترقيتها أي مساعدة. كان الشيء الوحيد الذي بقي هو الـ OLE أولِه!. وربما استمرت روح الشجاعة التي تجلب الناس رلى حلبة المصارعة على الرغم من جميع التنظيمات وضروب الإغفال.

فن مصارعة الثيران

يتطلب تعلم كيفية قتل الثور تقنية استثنائية واضحة المعالم تتلخص في تحكم ذاتي خالٍ من الأخطاء والعيوب، وبشجاعة رائعة. ويتطلب استخدام الجواد مهارات شاملة؛ وإذا ما استعصى قتل الثور من على صهوة الجواد فعلى مصارع الثيران أن يترجل ويقتل الثور المتداعي إلى السقوط. لقد كانت مصارعة الثيران - بين أمور أخرى - اختبارًا للشجاعة: الاختبار الحقيقي للمحارب الذي يقف بثبات أمام خوفٍ من موت.

ويتطلب امتطاء الجواد، وقتل الثور بحرية تدربًا ومهارة. وكانت قد أضيفت عناصر أخرى من الشجاعة كاستخدام سيوف قصيرة، أو خناجر تُجبر الفارس على أن يميل عن جواده على نحو محفوف بالمخاطر والمجازفات ليبلغ قرني الثور، ويغرز سيفه القصير أو خنجره بينهما. تعرضُ هذه العناصر شجاعة مصارع الثيران وبراعته أمام جمهوره.

عندما يكون المصارع راجلاً فليس من السهل عليه خداع الثور بالعصا Muleta والكأب أو الكابا Capote ذلك أن الحيوان لا يتبع اللون الأحمر بل يتبع ما يتحرك. وما على المرء إلا أن يشاهد مصارعي الثيران غير المدربين، وقد ملأ الذعر قلوبهم ليفهم مدى عنف مجابهة هذا الحيوان على القدمين. يتلخص المبدأ الأساسي لخداع الثور بالعصا في الوقوف بسكون تام وترك العصا وحدها تتحرك. فإذا ما تحرك مصارع الثيران فسيكون القتل من نصيبه؛ يجب تحريك الكابا (القماش الأحمر اللون) فقط. وهذا الثبات أمام الخطر هو ما يميز مصارعة الثيران بهذه الخصوصية الشديدة. يَعْرضُ مصارع الثيران شجاعته، ويقيِّم أقرانهُ الأرفعُ

مقامًا من هذه الشجاعة، كما تقيِّمها الجماهير أيضًا وذلك وفق اعتبارات شتى:

- السكون: سكون المصارع خلال الإنجاز وكأن على رأسه الطير.
- السيطرة: الطريقة التي يسيطر فيها المصارع على الثور وليس العكس، أي ليست سيطرة القوة الوحشية للثور وعنفه البالغ.
- السلاسة: (يقابلها بالإسبانية المصطلح Temple): وهي تحريك الكأب أو الكابا، أو العصا Muleta على نحو سلس جدًا.
- التقنية: الكيفية التي يضع فيها المصارع الثور للإجهاز عليه، ومدى البراعة في الدخول لقتل الثور، ومدى جودة وَضْعِ السيفِ بين القرنين.
- مدى الدنو: مصارعة الثور بقرب شديد منه.

وهناك عناصر أخرى تتعلق بمهارة المصارع وشجاعته، كاحترامه للثور وعنايته به، وسير الإجهاز، والتحضير للقتل، هذا إلى جانب الكثير جدًا من عوامل الجمال والمثابرة.



مواجهة الثور راجلاً عملية شديدة الصعوبة

النتيجة

كانت ثقافة مصارعة الثيران ثقافة أندلسية وأصلها أصلاً أندلسيًا، أما مصارعة الثيران الحديثة كما هي اليوم فليست كما كانت من قبل، اليوم يسيطر المشهد على الحدث. وقد أُلغيت بعض العناصر الحاسمة في غير مصلحة الثور ومصارع الثيران، وأضيفت عناصر سياسية واقتصادية جديدة.

الهوامش والمراجع

١- مُجْتَلَد Arena: الجزء المتوسط الخاص بالمتصارعين من مدرج روماني. [المترجم].

٢- كوليسيوم Collisseum مدرج روما القديمة. [المترجم].

٣- فيسِنْتِ مارُّرو Vicente Marrero «بيكاسو والثور» Picasso And The Bull»، شيكاغو ١٩٥٦م، ص٢٦.

٤- غاري مارفين Garry Marvin «مصارعة الثيران Bull Fight»، أكسفورد ١٩٨٨م، ص٥٣.

٥- خوسيه ماريا دِ كوسيّو Jose Maria De Cossio «الثيران Los Toros». مدريد، ١٩٤٢ ـ ١٩٦١م، الجزءان الأول والرابع.

٦- Matatoros كلمة مركبة من Mata و Toros. إن Mata فعل مشتق من اللغة العربية «مات» أو «أمات»، ويعني في الإسبانية «ذبح» أو «قتل»، و Toros جمع Toro أي «ثور» أو «تور» كما تلفظ في العامية. [المترجم].

٧- Capa رداء خارجي بلا أكمام يطرِح على الكتفين (الكأب أو الكابا) وهو أحمر اللون يستخدم لمصارعة الثيران. [المترجم].

٨- غويا Goya يوضح بالرسم رسالة موراتين Moratin في سلسلة من الرسوم تري المسلمين في ممارستهم لمصارعة الثيران.

٩- رامون رويث أمادو Ramon Ruiz Amado «مصارعة الثيران الإسبانية The Spanish Bull - Fighi» في الموسوعة الكاثوليكية، ١٩١٢م.

١٠- كوسيّو، الجزء الرابع ص ٨٢٢ ـ ٨٢٣.

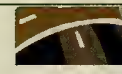
١١- كوسيّو، الجزء الرابع ص ٨٢٣.

١٢- كرونولوجي Chronologic نسبة إلى الكرونولوجيا أي تعيين التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفقًا لتسلسلها الزمني. [المترجم].

١٣- غاري مارفاين «مصارعة الثيران Bull - Fighi» دار نشر Basil Blackwell, INC أكسفورد ١٩٨٨م، ص٥٨.

١٤- مارفين ص ٢٨.





الاستشفاء بالمياه المعدنيـ



عدنان عبدالقوي الشميري

صنعاء ـــ اليمن

يندرج الاستشفاء بمياه الينابيع المعدنية والكبريتية الحارة تحت قائمة ما يسمى بالعلاج الطبيعي. وقد اعتاد كثيرٌ من الناس عبر المراحل المختلفة لمسيرة الطب، ارتياد الأماكن التي توجد فيها هذه الينابيع الحارة أو "الحمامات الطبيعية كما يطلق عليها. وذلك بغرض الاستشفاء من أمراض كثيرة يعانونها. وإذا كنا لا نزال نسمع حتى هذه اللحظة أن ثمة أناسًا يكلفون أنفسهم عناء المشقة، ويقطعون عشرات الكيلومترات بحثًا عن هذه الينابيع فهل يمكن بحق أن تكون هذه المياه أحد مصادر العلاج؟

خلفية تاريخية

خلق الله سبحانه وتعالى الأرضَ، وأودع فيها الكثير من الأسرار والشواهد التي تؤكد كمال عظمته، وقدرته، ومنها ينابيع المياه الحارة، التي تنساب بين الصخور، والشقوق متدفقةً من باطن الأرض نحو سطحها كنوعٍ من التسخير للإنسان ولغيره من الكائنات الأخرى. والمصدر الرئيس لهذه المياه، كما يشير إلى ذلك عدد من الدراسات العلمية المختلفة (١) هو مياه الأمطار التي تعرف باسم المياه الجوية Meteoric Water والمياه اللافيّة أو مياه الصهير Magmatic Water المخزونة في طبقات اللافا نفسها. وإذا كان من الأهمية بمكان الإشارة إلى صعوبة تحديد البدايات الأولى التي عرف من خلالها الإنسان الأول أهمية هذه المياه في العلاج، إلا أن الاستفادة الطبية منها، وقبل أن تمر بمرحلة الممارسات التجريبية، أُضفت إليها فائدة سحرية، فبعض الينابيع الحارة كانت موضوعًا للعبادة في زمن الغال، فالوسيط يشارك جماعته المعتقدات نفسها: فهو يقدس الأرواح التي تسري في هذه الينابيع (٢). وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الكنعانيين (٣)، عرفوا الينابيع الحارة في طبرية فأسسوا عليها مدينة «حمات» بمعنى الينابيع الحارة، وقد ذكر المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» أن طبرية عين تغلي تعم أكثر حمامات البلد، وقد شق إلى كل حمام منها نهر، فبخاره يحمي البيوت فلا تحتاج إلى وقيد (٤). كما تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن معابد الإسكولاب اليونانية (٤٠٠ ق م) كانت تقام بشكل عام بالقرب من أحد الينابيع وتحتوي على أبنية للحمامات(٥)، ولعل مايؤكد هذا القول هو أن الطبيب الإغريقي أبقراط (٤٥٠ ـ ٣٧٧ ق.م) لم يغفل الإشارة في كتبه إلى الماء الكبريتي والمعدني، وأهميتهما، وكان ينصح بعدم الإدمان على شرب الماء الحار (٦). كما كان ينصح بالحمامات، والتبخير، والكمائد الحارة (٧). كما اهتم الرومان، فيما بعد بطبرية لموقعها ولوجود الحمامات بها، وأنشؤوا في إحدى قراها الحمامات ذات المياه الكبريتية المشعَّة، وهذه الحمامات موجودة حالياً على أنقاض أبنية الرومان والعرب؛ و يوجد على سبيل المثال لا الحصر بقايا حمام معدني روماني في قلب جامعة محمد خيضر بمدينة بسكرة الجزائرية يعود إلى فترة تمكن الرومان



أضاف الأطباء حمامات المياه المعدنية إلى الوصفات الطبية منذ قرون

من احتلال بسكرة في أثناء سيطرتهم على كامل بلاد المغرب عام (١٨٩ق.م - ٤٣٩م) (٨). وكان «أسكالبياد» (١٠٤- ٤٠ ق.م) الذي وصل إلى روما عام ٩١ ق.م من أشهر الأطباء الذين ظهروا في عهد الإمبراطورية الرومانية، وقد اعتمد في مداواته على التدليك والمعالجة بالماء(٩). كما تضمن كتاب جالينوس (١٣١- ٢٠١م) إلى طوثرن في النبض للمتعلمين مانصه «أما الاستحمام فما كان منه بالماء الحار فإنه يجعل النبض عظيمًا، سريعًا، متواترًا، ويزيد في قوته ما دام الاستحمام بمقدار معتدل» (١٠). وقد ذكر عدد من الأطباء المسلمين في العهد الإسلامي أهمية المياه المعدنية الساخنة في الاستشفاء كابن سيناء، وابن النفيس، والرازي وغيرهم.

وفي عصر ما قبل النهضة، كان الأطباء الهنود الأمريكيون على جانبي الأطلنطي - كما كان الحال في الغرب - يعلون من شأن الاستحمام والإفراغ الجسدي باستخدام المقيئات، والمسهلات، والعضد، والتعريق الذي يتم وفق عدة طرائق، فكانوا يستخدمون كوخًا من الطين، أو خيمة من أصل حمامات البخار على غرار الحمامات الشرقية، أو حمام التعريق الأوربي (١١). وفي عصر النهضة، وبينما كان الطب يتطور في الغرب لم يتقدم العلاج إلا قليلاً وتحت تأثير مدرسة «بادوا»، ولقرب المنابع الحارة في أبانو Abano عرف العلاج بالاستحمام شهرةً عريضة (١٢) كما عرف العلاج المائي في أمريكا رسميًا في القرن التاسع عشر، عندما استخدم المعالجون الطبيعيون الماء، وينابيع المياه المعدنية لعلاج الأمراض الشائعة (١٣).

ويمكن القول إن الأطباء أضافوا حمامات المياه المعدنية إلى الوصفات الطبية ابتداء من القرن الثالث عشر، إذ لم تكن المدن تفتقد إلى المياه في ذلك الوقت، فبعض المنابع المعروفة منذ زمن الرومان أعيد إحياؤها وقد استقبلت هذه الحمامات الكثير من الزبائن كما قامت باستقبال الرجال والنساء معًا (١٤).

مشاهير التاريخ

تتحدث كتب التاريخ عن بعض المشاهير الذين غالبًا ما ترددوا على ينابيع المياه المعدنية للاستشفاء من بعض الأمراض التي ألمت بهم. فالكاتب الفرنسي الشهير ميشل مونتاني Michel Montaigne (١٥٣٣ - ١٥٩٢م) ذهب عدة مرات للاستحمام في مياه «بانجودى ليوشا» بإيطاليا لعلاج حصى المثانة (١٥). كما كانت ماركيزة



منظر خارجي لفندق غاليرت في بودابست الذي يشتهر بحمامه العتيق

سفينيى الشهيرة في القرن السابع عشر تستعمل مياه الينابيع الساخنة لتعالج نفسها من الروماتيزم. وفي العهد القديم كان الملك الروماني «هيرودوس» ينزل من قصره في ميكاور إلى حمامات زرقاء وادي معين - في الأردن حاليًا - ليعالج نفسه من الأمراض التي يعانيها. كما قصد المفكر كارل ماركس «مدينة بسكرة الجزائرية في حدود عام ١٨٨٢م بعدما نصحه الأطباء الإنجليز بأن شفاءه بحمامات بسكرة» (١٦). وقد تأثر «فينسيتر بر يسنتيز» وهو مزارع نمساوي ومؤسس أسلوب العلاج بالماء تأثراً عظيماً بهذا العلاج الطبيعي، وسرعان ما استخدم، العلاج بالماء في عشرات الأمراض المختلفة (١٧) ولعل أطرف ما قرأته، وصادفني بالفعل في أثناء إعدادي لهذه المادة المتواضعة هو ما أوردته صحيفة الرياض في عددها ١٢٤٤١ يوليو ٢٠٠٢م تحت عنون «قرود وادي جيغوكوداني تدمن الاستحمام في المياه الحارة» إذ ذكرت أنه ليس هناك في العالم كله شعب يحب الاستحمام في ينبوع المياه الحارة أكثر من اليابانيين إلا أن المستحمين في هذا المنتجع وسط منطقة الينابيع الحارة هم قرود (١٨).

خلفية جيولوجية

يعرف الينبوع بأنه مكان خروج المياه الجوفية كتيار متدفق وبشكل مركَّز إلى سطح الأرض، والمياه الخارجة من هذه الينابيع لها تركيب كيماوي وحرارة تختلف حسب عمق هذه المياه ومصدرها (١٩). ويؤكد عدد من الدراسات المختلفة أن درجة حرارة المياه، تكون مرتفعة كلما زاد عمق مصدر هذه المياه، ويرجع ذلك إلى ارتفاع درجة حرارة باطن الأرض في الأعماق. وبناءً على ذلك



يمكن القول إن كثيراً من معادن صخور القشرة الأرضية تتحلل وتذوب بفعل تلك الحرارة المرتفعة تبعاً لحركة هذه المياه الساخنة من مكان إلى آخر، ويرجع ذلك إلى أن الماء الساخن أعظم قدرة من الماء البارد على إذابة المواد المعدنية التي تتألف منها الصخور من ناحية، كما أن غاز ثاني اكسيد الكربون الذي تكتسبه المياه الجوفية عادةً من الغازات في باطن الأرض له مقدرة كبيرة على إذابة المواد المعدنية من ناحية أخرى (٢٠). وبناءً على المشاهدة والقياسات فقد تبين أن درجة الحرارة تحت الأرض تزداد حسب العمق بمعدل درجة مئوية واحدة كل ٤٥.٢٥ مترًا، ويعتمد ذلك على نوعية الصخور، ودرجة توصيلها للحرارة، وعلى التراكيب الجيولوجية وبعض الخواص الأخرى (٢١).

وتدعى المياه الطبيعية ذات الحرارة المرتفعة التي تحتوي على أكثر من ١٠٠٠/١ ملجم من المواد الذائبة ولها ميزة علاجية بالمياه المعدنية Mineral Water، أما المياه الباردة التي تحتوي على مركبات بايكربونية ويمكن تبريدها وشربها فتدعى بالمياه الحارة أو القابضة، وأحيانًا يطلق عليها اسم المياه المعدنية، وتسمى المياه التي تحتوي على أكثر من ١٠٠٠/١ ملجم من المواد الذائبة وليس لها طبيعة علاجية بالمياه الجوفية، ويعدّ هذا المقدار هو الحد الفاصل بين المياه العذبة والمياه المعدنية (٢٢). وتستعمل المياه المعدنية الحارة - كما سيأتي - لغايات الاستحمام والتنظيف والشرب وغيرها، وتأتي قدرة هذه المياه على العلاج لارتفاع درجة حرارتها واحتوائها على المواد الذائبة، والغازات، وبعض العناصر المشعة (٢٣) إلى جانب غناها بالمواد والأبخرة الكبريتية (٢٤). ولعل أهم العناصر



العناصر المشعة في المياه الحارة لها أهميتها في معالجة بعض الأمراض

الموجودة في المياه المعدنية الحارة: الأنيونات Anions مثل $HS, CI, Br, I, F, So_4, S, Hco_3+Co_3$ والكاتيونات Cat-ions مثل fe, Zn, Ca, Mg, k, Na...إلخ والعناصر النادرة، والثقيلة، وغير الإلكتروليتية إلى جانب توافر الغازات مثل H_2, O_2, So_2, Co_2....إلخ (٢٥). كما أن العناصر المشعة في المياه الحارة مثل الراديوم، والثوريوم وغيرها لها أهمية خاصة في معالجة بعض الأمراض حتى لو كانت فقيرة التمعدن (٢٦).

العلاج المنسي

يذكر الطبيب الإغريقي أبقراط أن الماء الكبريتي ينفع من القروح العتيقة، ومن الجرب والحكة، والماء الذي ينبع من معادن الحديد ينفع من لين البطن واسترخاء الأعضاء (٢٧) كما يذكر ابن سينا في مصنفه «القانون في الطب» أن المياه الكبريتية نافعة من أورام المفاصل، والصلابات، والثآليل المتعلقة، وأمراض الطحال وأوجاعها، والكبد وأمراض العصب وخصوصًا إذا استحم به مثل الرعشة والفالج، كما أنها نافعة من أوجاع الرحم، ويرى أن المياه الحديدية تنفع الطحال والمعدة، والماء النحاسي ينفع الفم والآذان (٢٨). ويذهب إلى هذا القول الملك المظفر يوسف بن عمر التركماني في مصنفه «المعتمد في الأدوية المفردة» إذ يورد ما نصه: «هذه المياه إذا جرت على هذه المواضع أو انبعثت من عند هذه العيون، أسخنت وجففت، وهي تنفع من البرص، والبهق، والثآليل المتعلقة، وأورام المفاصل، والصلابات، والجرب والقوابي استحماماً بها، وتنفع من أوجاع العصب البارد والاستشفاء جلوساً فيها وشربًا (٢٩) ». كما يرى ابن القيم الجوزيه أن الماء الحار يسكن لذع الأخلاط الحادة، ويحلل وينضج، ويخرج الفضول، وهو صالح للشيوخ وأصحاب الصرع، والصداع البارد والرمد (٣٠).

أما الطبيب عبد القادر بنشقرون (٣١) فيقول في أرجوزته التي أطلق عليها «الأرجوزة الشقرونية» التي يمكن من خلالها استقراء واقع الطب العربي في القرن الثامن عشر ما يأتي: (٣٢)

القول في المشرب من مياه
أفضلها العذب القراح الزاهي
وخيره ما كان من أمطار
وبعده الصافي من الأنهار
فأول قد لطفته الأهويه
والثاني قائم مقام الأغذيه
لاسيما الجاري لصوب المشرق
الأحمر الطين بلونٍ مُشرق
أما الذي يجري من العيون
لاسيما إن نبعت في الطين



انتشار واسع للحمامات العامة في الدول العربية

فذاك ذوأبخرة ثقيله

يولي الكبود سددًا جليله

ويضيف في موضع آخر من الأرجوزة (٣٣):

والاحتمام خير ما يشفي التعب

ويبرئ الأجسام من داء النصب

لاسيما إن كان في الحمام

وكان مع توسط المقام

وادلك بدهن عاطر البنفسج

أو دهن ورد طيب ذي أرج

ويؤكد الكثير من الدراسات العلمية المخبرية الواعية أهمية مياه الينابيع الساخنة في الاستشفاء من عدد من الأمراض المختلفة. فقد انتهى على سبيل المثال الخبيران التشيكيان، السيد باروسلاف فيرب كبير الهيدروجيولوجيين التشيك والسيد براتيسلاف فيليا هيدروجيولوجي متخصص من خلال إجراء دراسة هيدروجيولوجية ـ أتيح لي الاطلاع عليها. في بعض المناطق في اليمن ومنها منطقة دمت Damt ١٨٤ كم جنوب غرب صنعاء ـ أن تركيب المياه المعدنية الساخنة صالح لعلاج الجهاز الهضمي عن طريق الشرب ولعلاج أمراض الاستقلال (تبادل المواد) والمسالك البولية، والتنفس. والحرارة وكمية الغاز مناسبتان للاستحمام بثاني أكسيد الكربون لعلاج أمراض الدورة الدموية والجهاز العصبي المركزي، والمفاصل الكبيرة (٣٤).

ويرى عدد من خبراء الصحة اليوم أن الاستحمام في ينابيع المياه المعدنية الساخنة طريقة لعلاج الجسم والعقل على حد سواء. ويقولون إن الاسترخاء في ينبوع مياه معدنية حارة من أفضل الطرائق لتخفيف وطاة الضغوط النفسية والمساعدة على إعادة تنشيط الدماغ (٣٥). وهناك إقرار بأن الاستحمام في مياه هذه الينابيع هو بالفعل مفيد لعلاج الروماتيزم، والاضطرابات العضلية فضلاً عن المشكلات التنفسية (٣٦) كما أن كثرة الاستحمام تفيد في علاج بعض الأمراض الجلدية مثل «حمو النيل» الذي ينتج من تأثير درجة الحرارة المرتفعة على الغدة الدرقية. وتوصف المياه الكبريتية لعلاج حب الشباب، والبشرة الدهنية، وأمراض الصدفية (٣٧) والبرص، وأمراض الحساسية، وتكتسب هذه المياه فاعلية طبية عالية، ومقدرة علاجية سريعة بما في ذلك معالجة أمراض انقطاع الدورة الشهرية عند النساء ومشكلاتها، وتصلب الشرايين، وإفادة أصحاب الضغط المرتفع (٣٨).

الحمامات

كان لا بد في سياق هذا التناول من الإشارة إلى أن الكثير من المصنفات التي تزخر بها المكتبة العربية، لا تميز عادةً، عندما يرد فيها كلمة «الحمام»، بين الحمامات الطبيعية، أي مواضع الاغتسال القريبة المقامة بالقرب، من ينابيع المياه الساخنة أو فوقها

والحمامات غير الطبيعية أو المجهزة، المشبعة بالبخار نتيجة تسخين الماء فيها، وهذا يشكل بلا شك صعوبة للقارئ، خاصة عندما يتعلق الأمر بتتبع المسار التاريخي للموضعين كل على حدة، ولعل ذلك راجع إلى اشتراكهما في كونهما معًا مكانًا للاغتسال. فالحمام، كما جاء ذكره في المعجم الوسيط: ما يغتسل فيه، وجمعه حمامات، والحمة: كل عين ماء حارة تنبع من الأرض، يستشفى بالاغتسال من مائها، والجمع حم، وحمام (٣٩). والحمامات كما ذكرت في منجد اللغة العربية المعاصرة موضع عام مجهز بحمامات يقصده الراغبون طلبًا للنظافة أو المعالجة الطبية (٤٠). غير أن الأخيرة ـ الحمامات غير الطبيعية ـ كانت سائدة في بلاد الشرق قديمًا، حفل بذكرها الكثير من القصص والروايات والمقامات، والكتب العربية، وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه، أن الحمامات بلغ عددها ببغداد في عهد المأمون، خمسة وستين ألف حمام(٤١)، كما تذكر بعض المراجع الأخرى أن عددها في الفسطاط بلغ أكثر من ألف حمام، وفي القاهرة بلغ ثمانين فقط في القرن السابع الهجري، وتوجد هذه الحمامات حالياً في الكثير من الدول ولاسيما بلاد الشام، ومن أنواعها: السونا (حمام البخار)، والحمام البارد، والحمام التركي وهو أحد حمامات الاغتسال والنظافة المشهورة، فقد كان أتراك العصور الوسطى يؤمنون بضرورة أخذ حمامات هواء ساخن حفاظاً على الصحة. وقد نشر المحاربون الأتراك هذه العادة عبر معظم أجزاء الشرق الأوسط، وبعض المناطق الأوربية، وكان الناس في العالم الأوروبي يستطيبون أخذ مثل هذه الحمامات، وأطلقوا عليها الحمامات التركية، وتساعد على علاج الكثير من الأمراض التي تصيب العضلات، كما يوصى بها في بعض الأحيان للتلطف من حالات الإدمان الكحولي الحادة (٤٢).

وخير الحمامات كما ذكر أبو الفرج الكركي (٦٣٠ـ ٦٨٥هـ) في كتابه «جامع الفرض في حفظ الصحة ودفع المرض» ما قدم بناؤه، واتسع فضاؤه، وعذب ماؤه، وكثر ضياؤه، وحسنت جلساؤه، وأوقد بحطب لا حدة فيه، ولا له دخانية، وقدر ذلك بقدر من أراد وروده. وينقسم: إلى رطب وهو المستعمل فيه الاستحمام دون التعريق، وإلى يابس وهو المستعمل فيه التعريق دون الاستحمام (٤٣). وهو يتفق بذلك مع ما ذكره، بديع الزمان الهمداني في مقاماته (٣٥٨-٣٩٨هـ) على لسان راوي وقائعه عيسى بن هشام «فاختر لنا حمامًا ندخله، وحجامًا نستعمله، وليكن الحمام واسع الرقعة، نظيف البقعة، طيب الهواء، معتدل الماء» (٤٤).

الاسترخاء والتدليك من أفضل الطرائق لتخفيف وطأة الضغوط النفسية





الحمامات من منظور إسلامي

واستيفاءً للموضوع، كان لا بد أن نعرج إلى مصادر الشريعة الإسلامية لنقرأ الحمامات من منظور إسلامي، فالأحاديث النبوية الصحيحة تحرم على النساء دخول الحمامات، بينما تبيح ذلك للرجال شرط الاستتار، ولبس المئزر ويمكن أن نكتفي بإيراد الحديثين الآتيين اللذين أوردهما الإمام الحافظ المنذري إلى جانب أحاديث أخرى في كتابه «الترغيب والترهيب» والمحقق من قبل الشيخ الألباني، رحمهما الله.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اتقوا بيتًا يقال له الحمام، قالوا : يارسول الله، إنه يذهب الدرن، وينفع المريض قال :فمن دخله فليستتر» (٤٥).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائكم فلا تدخل الحمام». قال فنميت بذلك (أي رفعته) إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في خلافته، فكتب إلى أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزام أن سل محمد بن ثابت عن حديثه فإنه رضيّ، فسأله، ثم كتب إلى عمر فمنع النساء عن الحمام (٤٦).

نعمة الينابيع

لا يقتصر وجود ينابيع المياه المعدنية الحارة على بلد دون آخر، أو منطقة معينة دون سواها، فالكثير من بلدان العالم على ظهر المعمورة حباها الله بهذه النعمة على حد سواء. فعلى سبيل المثال لا الحصر يوجد باليمن أكثر من ثمانين ينبوعًا حارًا مثل السخنة، ودمت، كما توجد العيون الحارة في السعودية في المنطقة الشرقية، وجازان، وجبل





المياه المعدنية الحارة لا تقتصر على بلد دون آخر

قارة بالأحساء، ومغارة حائل. ومن الأماكن الأخرى التي توجد فيها هذه الينابيع وادي زرقاء معين، وطبرية في الأردن، وبسكرة في الجزائر، وباث الإنجليزية مثل الحمام الحار، وكروس اللذين يعود تاريخهما إلى القرن الثامن عشر، وينابيع مياه السالفيتات الفرنسية، وكار لوفي فاري في التشيك، ومامونث وكليفورنيا في أمريكا، وصوفيا في بلغاريا، وبادن بادن في ألمانيا إذ تشتهر بالكثير من الينابيع الحارة التي شرب منها آلاف الزوار، واغتسلوا بمياهها طلباً للخصائص التي تشتهر بها هذه المياه (٤٧). وقد دأب الكثير من الدول على إنشاء المنتجعات الصحية الشهيرة حول الينابيع الحارة؛ وذلك لأنها عرفت خصائصها العلاجية وحللتها وطورتها، ونمت مواقعها، حتى أصبحت قبلة للذين يعانون الآلام والإرهاق (٤٨).

كما عملت أيضًا على بناء الحمامات وفق مواصفات فنية حديثة، وتقسيمها إلى حمامات رجالية، وأخرى نسائية بعيدة عن حمامات الرجال روعي فيها، إنتاج الماء، والغاز والتحكم فيهما بعيدًا عن الاستخدام البدائي المتمثل بالارتماء في المياه الساخنة الجارية أو الاغتراف منها مباشرة؛ لأن الاستفادة العلاجية لا يمكن أن تتم بصورة كبيرة خاصة إذا ما تسنى تسرب الغاز، وإهدار الماء دون الاستفادة منه. كما روعي فيها أيضًا، إقامة المصحات والمستشفيات العلاجية بسعة تصل إلى آلاف الأسرَّة لطالبي العلاج وبناء الأحواض لمعالجة المياه، وإنشاء المسابح سواء للتدليك، أو للنظافة، أو للسباحة، وتوفير بانيوهات متنوعة الجلسات، وأعداد كبيرة من المرشات، أو الدشات للاستحمام مباشرة، وإلى جانب ذلك بناء الفنادق والاستراحات بالقرب من الينابيع والحمامات العلاجية، حتى يتسنى للزوار الإقامة فيها خلال فترة الاستحمام.

وللتذكير ليس غير: فدولة تشيكوسلوفاكيا في العهد الشيوعي كانت معتمدة في مواردها السياحية على هذه الحمامات العلاجية، بحيث كان هناك خط مباشر بين الكويت وقرية بشتاني في سلوفاكيا حاليًا لنقل الذين يحتاجون إلى العلاج (٤٩).

نهاية المطاف

ويبقى التساؤل المهم في نهاية هذا التناول هو: هل ثورة الطب الحالية التي حققت نجاحًا كبيرًا في إجراء عملية القلب المفتوح، وفك أسرار الوراثة، والاستنساخ البشري، وشهدت ولادة الكثير من فروع علم الطب، الى جانب القفزات الكبيرة التي حققتها الفارماكوبيا... إلخ من شأنها إلغاء الآخر المتمثل بالممارسات الإنسانية التي خضعت للتجريب بما فيها طرائق العلاج الطبيعية؟

والإجابة بالتأكيد لا؛ لأن التطور الحاصل الآن في الطب لا يلغي تلك الممارسات، وإنما يتجاوزها هذا من جانب، وأما الجانب الآخر فيتمثل في إسهام طرائق العلاج الطبيعية مجتمعة في تأسيس معالم الثورة الطبية القائمة الآن. وكل ما يمكن قوله في الأخير أن هذا التناول الذي يقع بين يدي القارئ الكريم ليس دعوة

المراجع والهوامش

١- أصول الجيومورفولوجيا دراسة الأشكال التضاريسية لسطح الأرض. د.حسن أبو العينين، الطبعة السادسة، ١٩٨١م، الدارالجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ص ٤٩٠.

٢- تاريخ الطب. من فن المداواة إلى علم التشخيص. سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٨١، تأليف جان شارل سورنيا، ترجمة: د.إبراهيم البجلاتي، مطابع السياسة، الكويت مايو ٢٠٠٢م، ص ١٩.

٣- الكنعانيون من القبائل السامية التي هاجرت من اليمن إلى بعض بقاع الأرض ومنها الشام نحو القرن الخامس عشر ق.م.

٤- انظر كتاب المقدسي «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، ص ١٨٥.

٥- تاريخ الطب: مرجع سابق ص ٥٤.

٦- سلسلة في سبيل موسوعة فلسفية: أبقراط، تأليف د. مصطفى غالب، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦ م، ص ١٤٦

٧- تاريخ الصيدلة، أحلام إستيتية، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص ٣٥.

٨- مجلة الفيصل. العدد ٣١٥، رمضان ١٤٢٣هـ/نوفمبر. ديسمبر ٢٠٠٢م. بسكرة عروس الزيبان وبوابة الصحراء، ص٨-٩.

٩- تاريخ الصيدلة، مرجع سابق ص٣٩.

١٠- كتاب جالينوس إلى طوثرن في النبض للمتعلمين. نقل أبي زيد حنين بن إسحاق. تحقيق د.محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م، ص ٤٥.

١١- تاريخ الطب: مرجع سابق ص ١٢٣.

١٢- المرجع نفسه ص١٧١.

١٣- الدليل غير الرسمي - الطب البديل. ديبر فلوجم بروس/ د.هاريس مايلوبن مكتبة جرير، ط١، ٢٠٠١م، ص١٠١.

١٤- تاريخ الطب: مرجع سابق، ص ١١٠.

١٥- المرجع نفسه، ص ١٧١.

١٦- مجلة الفيصل مرجع سابق، ص٢٣.

١٧- الدليل غير الرسمي - الطب البديل: مرجع سابق، ص ١٠١.

١٨- صحيفة الرياض، العدد ١٢٤٤١، السنة ٣٨، الأحد ١٤ يوليو ٢٠٠٢م.

١٩- هيدرولوجية المياه الجوفية، المهندس خليفة واردكر، دار البشير ط١، ١٩٨٨م، ص٨٦.

٢٠- أصول الجيومورفولوجيا: مرجع سابق، ص ٤٩٠.

٢١- هيدرولوجية المياه الجوفية: مرجع سابق، ص٨٧.

٢٢- ٢٣. المرجع السابق نفسه، ص ٨٦.

٢٤- جيولوجية اليمن. د.صلاح الخرباش، د.محمد الابنعاوي، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط، ١٩٩٩م، ص ١٢٤.

٢٥- انظر مثلاً:

Geology of Damt Travertine Deposits and Thermomineral Springs, Yemen Republic, Mohamed I.H.E.I Anbaawy _ Mohamed Fara Geology Department, Faculty of Science, Sana'a University.

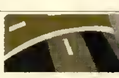
وانظر كذلك هيدرولوجية المياه الجوفية: مرجع سابق، ص ٩٠، ٩١، ٩٢.

للعودة إلى الوراء، بقدر ما هو محاولة جادة للوقوف أمام إحدى الطرائق العلاجية التي استفاد منها ملايين الناس، ومازالوا يستفيدون منها إلى الآن.

صحيح أن العلاج الطبيعي بما فيه الاستشفاء بالمياه المعدنية والكبريتية الحارة يقتصر على جوانب علاجية معينة لا يمكن أن يتعداها، إلاّ أن كل جماعة من الناس تظل في كل الأحوال، كما يرى جال شارك سورنيا «تعمل على صياغة نظامها الطبي بما يتفق وثقافتها، ومعتقداتها، وتركيبها الاجتماعي، ورؤيتها للعالم. تلك الرؤية التي تتطور مع مسيرة الزمن جامعة بين السحر والعلم، فالناس وهم يعالجون في أضخم المستشفيات يتضرعون إلى الله راجين معجزة، بينما يضع آخرون في معاصمهم أساور ضد الروماتيزم على غرار البوشمان في صحراء كلهاري، متنازلين عن كل منطق أمام لغز الكون» (٥٠).

٢٦- هيدرولوجية المياه الجوفية: مرجع سابق، ص ٩٤.
٢٧- أبقراط: مرجع سابق، ص ١٤٧.
٢٨- القانون في الطب لابن سينا - كتاب الأدوية المفردة والنباتات - طبعة رومية إيطاليا ١٥٩٣م، شرح وترتيب جبران جبور، مكتبة المعارف بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص ١٨٧ - ١٨٩.
٢٩- المعتمد في الأدوية المفردة، الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول النسائي التركماني. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط٣، ١٩٧٥م. تصحيح مصطفى السقا، ص٤٧٨.
٣٠- زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم الجوزية المجلد الثاني ٣ - ٤، دار الفكر بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
٣١- هو أبو محمد عبدالقادر بن شقرون، طبيب مغربي، ومعاصر للسلطان المولى إسماعيل (١٦٧٢ - ١٧٢٧م)، وتحتوي أرجوزته على ٦٦٧ بيتًا كتبت بخط مغربي.
٣٢- الطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية، تحقيق وتعليق: د. بدري التازي، تعريب وتقديم: د. عبدالهادي التازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م، ص١٤٧.
٣٣- المرجع نفسه، ص ١٧٢.
٣٤- المياه المعدنية والحارة في الجمهورية اليمنية، دراسة الجدوى الاقتصادية ستافبني جيولوجي براها، تشيكوسلوفاكيا، براها، يونيو ١٩٨٧م، ص ٥.
٣٥- صحيفة البيان الإماراتية، إحياء ينابيع باث الطبيعية، علي محمد، الخميس ١٧أكتوبر ٢٠٠٢م.
٣٦- المرجع السابق نفسه.
٣٧- أمراض الأذن والأنف، والعلاج الطبيعي، إعداد: محمد رفعت، وآخرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، عام ١٩٧٧م، ص ١٦٠.
٣٨- اليمن: الظواهر الطبيعية، والمعالم الأثرية، دراسة تطبيقية منهجية، محمد الشعيبي، ط ١، مطابع شركة الأدوية ص١٥٧.
٣٩- المعجم الوسيط، المجلد الأول، دار الفكر، ص٢٠١.
٤٠- المنجد في اللغة العربية المعاصرة: دار المشرق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٤١- انظر: تاريخ ابن خلدون المجلد الأول، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م، بيروت.
٤٢- الموسوعة العربية الميسرة الجزء «٩» مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٩٩٦م، الرياض، السعودية، ص٥٠١.
٤٣- جامع الفرض في حفظ الصحة ودفع المرض، أبو الفرج الكركي، تحقيق د سامي خلف الحمارنة عمان - منشورات الجامعة الأردنية عام ١٩٨٩م، ص٢٣٧.
٤٤- مقامات بديع الزمان الهمداني: المقامة الحلوانية.
٤٥- صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، اختيار وتحقيق، محمد ناصر الألباني، الجزء الأول، المكتب الإسلامي بيروت ط٢، ١٩٨٦م، ص٧٠، والحديث رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.
٤٦- رواه ابن حبان في صحيحه، واللفظ له، والحاكم، وقال صحيح الإسناد، ورواه الطبراني في الكبير والاوسط، انظر المرجع السابق ص ٦٩.
٤٧- الموسوعة العربية الميسرة، الجزء «٤»: مرجع سابق، ص ٤٣.
٤٨- مجلة السياحة الإسلامية، مجلة فصلية، العدد ٥، شتاء عام ٢٠٠٣م، ص ٤.
٤٩- المرجع السابق، ص ٤.
٥٠- تاريخ الطب: مرجع سابق، ص ١٩.





التــــــدريب على المس

ـــايفـــة

صلاح الدين شروخ
عنابة - الجزائر

السيف من أهم الأسلحة القديمة ورمز دائم من رموز القوة والعزة لدى مختلف الشعوب، وهو بعض الزينة المحترمة لديها، فليس غريبًا أن يكون من مكونات الذاكرة العربية الإسلامية ورموزها المرجعية، ومحل عناية ديوان العرب في جاهليتها وإسلامها، وأن يكون من أدوات تجسيد فعل البطل، وموضوعًا من موضوعات حديث الأبطال، على نحو ما يكثر في شعر عنترة العبسي، إذ يقول:

إني امرؤ من خير عبس منصبًا

شطري، وأحمي سائري بالمنصل (١)

ولقد يجد البطل في السيف ما يذكره بالحبيبة، يقول عنترة

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهل

مني وبيضُ الهند تقطر من دمي

فوَدِدْتُ تقبيل السيوف لأنها

لمعت كبارق ثغرك المتبسم (٢)

ووقع السيف كان يبرز علو الهمة، يقول عنترة:

لي همة عند وقع السيف، عاليةٌ

وعفة عند وقع الطير في الشرك (٣)

وبالسيف يصير البطل طبيبًا لمن أصيب بحب العدوان، يقول عنترة:

وسيفي كان في الهيجا طبيبًا

يداوي رأس من يشكو الصداعا (٤)

وينتبه الشاعر إلى أن قوة السيف مرتبطة بقوة الساعد الذي يضرب به، يقول جرير ساخرًا من الذي لم يحسن الضرب بالسيف:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع

ضربت ولم تضرب بسيفِ ابن ظالم (٥)

ولقد دخل السيف مجالات المثل الشعبي، فإذا هو الموصل إلى كل غرض غير الزواج، يقول المثل الشعبي الجزائري:

«كل حاجة بالسيف، إلا الزواج بالكيف» والسيف هنا يعني الإكراه. ومقاومة السيف بطولة شركسية، يقول المثل الشركسي:

« لاتتأوه تحت السيف»

ويندر أن تجد أمثالاً خالية من ذكر السيف لدى أي شعب من الشعوب.

والعلاقة بين الإنسان والسيف علاقة قديمة وإنها لكذلك بين المصريين والشركس؛ فالسيف الشركسي المكتشف في ما يكوب هو أقدم السيوف الأوربية، وعمره أكثر من ثلاثة آلاف سنة (٦) وعمر الخنجر المكتشف في مقبرة توت عنخ آمون يبدا قبل عام ١٣٥٠ق. م (٧) والسيف، حيثما تحرك؛(في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعب). وهو في يد المقاتل أداة دفاع عن الحياة وقيم الإنسان الحق. وحتى في الأساطير القديمة جدًا كأساطير نارت الشركسية (٨) نجد تمييزًا بين المقاتل والقاتل، فالقاتل مثل وزرمس مثلا يهاجم الشرير بسيفه. ولقد هدى الله الإنسان إلى النجدين.

عني كثيرون، ومنهم بحاثتنا بالسيف، وكنت اكتشفت خلال تحضيري لدرجتي دكتوراه في موضوعين منفصلين، أولاهما في تربية المماليك الشراكسة بإشراف د. نقولا زيادة في بيروت، وثانيهما في علم الاجتماع التربوي البيئي بجامعة عنابة وكنت اكتشفت ، في الحالين ، مدى الحاجة الماسة إلى السيف الذي يحمي البيئة. وأنه لا يحميها إلا سيفها، وأنا هنا أنطلق من هذا، ومن أدلته في الأطروحتين، ولا أنسى أن أذكر فضل كثيرين ممن سبق لهم أن بحثوا هذا الموضوع أو بعض ما يتصل به من أمثال د. إحسان هندي الذي ألف كتاب«تاريخ الجيش العربي في ألف عام»، «أو الحياة العسكرية عند العرب»، فقد بذل جهدًا مشكورًا في بيان تطور الجيش العربي. ولعله لم يتأخر عن بحث الجانب التربوي من المسائل التي عالجها إلا بسبب طول فترة بحثه، وغزارة المادة العلمية، وصعوبة إيجازها.

ومن هؤلاء اللورد مونستر في رسالته: «فن الحرب عند العرب»، فقد كان بارعًا في طرح الأسئلة التي تثيرها دراسة هذا الفن، لكنه لم يقدم إجابات، وكذلك محمود مراد صاحب كتاب «محارب لكل العصور»، فقد عرَّف المحارب المصري والعربي، لكنه لم يبين المناهج التي أخضع لها في تربيته، ومحمد رشيد عبدالمطلب الذي ألف كتابًا قيمًا في المبارزة بالسيف في أيامنا، لكنه لم يشرح تراكم الخبرات التربوية التي جعلتها على هذا النحو، ومنهم مرضي بن علي الطرسوسي صاحب «تذكرة الألباب في كيفية النجاة من الحروب والأسوار» المحفوظة نسخته بأكسفورد، وأكرم ساطع في دراسته القيمة للقلاع والحصون في سورية، التي يساعد تحليلها على تبين احتياجات المدافعين عنها، أو المهاجمين أمثالها. وقل مثل هذا في ابن العنابي، صاحب السعي المحمود ... وغيرهم.

وفي أعناقنا حق تقديم الاحترام والاعتراف





أبدع المسلمون في صنع السيوف وأغمادها وزخرفتها

بالجميل للسابقين على دروب المعرفة، ولكن احترامهم لا يكون بتقبل فكرهم لمجرد الاحترام الواجب، وإنما بإعادة قراءتهم قراءة نقدية متمعنة بقصد تطوير ما صرفوا حياتهم في إبداعه أو اكتشافه.

فبهذا يصبحون على نحو ما أرادوا. وما قاله السابقون، على بالغ أهميته، تناسى إلى حد كبير جدًا الفكرالإجرائي الذي يبين كيفية بلوغ الشيء فعلاً والإجراءات اللازمة له. ولهذا قلت عنايتهم بالمنهج التربوي للمسايفة. وأما نحن فإننا بتحليل سلوك السيافين المحدثين والقدامى وتحديد احتياجات هذا السلوك لدى السيافين كأفراد، أو كمقاتلين في القوات المسلحة وقطاعاتها المختلفة، لأن السيف كان سلاح أفرادها كلهم، بالإضافة إلى أسلحتهم الأخرى، بذلك وبتحليل ما في الذاكرة الجماعية كان استخلاصنا للأهداف السلوكية، وتحديد التدريب اللازم لبلوغها طبق منهج أعدنا بناءه.

المسايفة الآن رياضة وقوة

ومن الحق أن نبين أن السيف قد فقد مكانته كسلاح حربي قتالي بعد التطور الهائل للأسلحة النارية الحديثة. وما عاد السيف يستخدم من قبل الجند إلا في حالات قليلة أو في الاستعراضات العسكرية، أو الزينة المشبعة بالتوق إلى المكانة التي صنعها السيافون الأقدمون، لكن رياضة المسايفة والرمي وركوب الخيل

من أهم ما يعيد صياغة روح المواجهة والتحدي، ويقوي التناسق الحسي/ الحركي لدى رجال اليوم والغد.

الفترة المملوكية الشركسية بداية نهاية السيف كسلاح

وحديث هذه المقالة هو حديث الشجون المتصلة بتاريخ أوقف السيف فيه زحف التتار، وصد الصليبيين واستعاد الأقصى والقدس من أيدي الغزاة، ثم توّجه محمد على باشا بمذبحة القلعة، التي دعا إليها أمراء الشراكسة بمصر لاحتفال وذبحهم فيها غدرًا ثم أباح بيوتهم وصادر ممتلكاتهم، وزوج من قدر على تزويجه بالقوة من نسائهم (٩)، ويمكن عدّ هذه المذبحة سنة ١٢٢٦هـ بداية نهاية السيف الإسلامي كسلاح قتالي فعال، لأن محمد على شرع بعدها في بناء الجيش الحديث بمساعدة أوربية (١٠) متعددة الأطراف، فبدأ السلاح الجديد يأخذ مكانته في الجيش المصري، ويحل محل السيف؛ ولأن الأمر كذلك ، فإن حديثنا عن المسايفة مستند إلى دراسة التربية العسكرية المملوكية البرجية؛ لأنها أقصى ما وصل إليه تدريبنا الحربي على استخدام السيف؛ ولأن ذاك التدريب هو محصلة كل ما تراكم من خبرة عربية إسلامية شارك فيها المسلمون كلهم، كما وصل إليهم من سابقيهم منها، ما وجدوه جديرًا بالأخذ به وتطويره. وأما المشترك بين الماضي والحاضر، مما لم يتغير جوهره ولم يصلنا خبر قديمه، فقد قسنا الماضي على الحاضر، من بعد نقد، فكان به مقاربة المنهج التدريبي للسياف هدفًا ومحتوى، على نحو ما نجده في المناهج الحديثة.

للتدريب على المسايفة أهداف سلوكية

الغاية من التربية العسكرية، عبر التاريخ هي

كان على السياف معرفة أنواع السيوف

إعداد المقاتلين إعدادًا يحقق النصر على العدو، ويحمي البلاد من كل أشكال العدوان، خارجية كانت أم داخلية، ومن هذا الهدف العام، ومن صفات السيوف، وخبرات استخداماتها، إيجابية كانت أم سلبية، ومن حال قوة الأعداء وأسلحتهم وتدريبهم كانت الأهداف السلوكية الآتية هي ما أراد التدريب المملوكي الشركسي بلوغها في نهايته:



كان على السياف أن يذكر قسمي السيف ومكونات كل قسم

في جانب المعارف:

كان على السياف أن يذكر قسمي السيف ومكونات كل قسم (١١)، ويعدد أنواع السيوف المستخدمة في جيشه. وفي جيوش العدو، وأن يعدد المزايا الفنية والتعبوية للسيف (١٢)، ويذكر أساليب صيانة السيف، ويدرك معنى المصطلح المستخدم في التدريب بخصوصه، مثل القطعات والكب، وحال ما بين الكب والبطح والبطح، والهجمة المباشرة والهجمة غير المباشرة والهجمة القاطعة بتغيير الاتجاه والهجمة الدائرية المغيرة، والهجوم المركب، والهجوم المضاد بقطعات الإيقاف، والضربة الزمنية المضادة والضربة المضادة على الذراع من الخارج، والضربة المضادة على الذراع من الداخل، والضربة المضادة من الأسفل على الذراع، والتبطيل والامتناع والدخول على المبارزين والمطاعنة في المصاع والإقدام والإحجام والمناجزة والمراوغة، والعطف في أثناء القتال والختل وخلع عذار الفرس.. وغير ذلك (١٣).

وأما في جانب المهارات: وهو الجانب الأكثر أهمية في هذا التدريب، فيمكن إيجازه بحيازة السياف للمهارة في تنفيذ ما تعلق بالمعارف السابقة الذكر، وبخاصة في الضرب بالسيف نفحًا وشذرًا، في حالي الترجل والركوب، مع تحقيق أمن رجله في الركاب في أثناء الركوب، وحماية فرسه من أفعال الخصم (١٤).

وكان تدريب السياف يستهدف جعله قادرًا على أداء الاختراق والطعن والقطع بالسيف مع المهارة في ذلك واستخدام السيف في أداء القطعات في حالات الكب، وما بين الكب والبطح، والبطح وذلك عند استخدامه السيف ذي الحد الواحد، أو ذي الحدين والسيف المحدب، ضد أنواع السيوف الأخرى وأداء الهجمات المباشرة، وغير المباشرة، والهجمات القاطعة بتغيير الاتجاه، والهجمة الدائرية المغيرة والهجوم المركب.

وكان التدريب يطلب بلوغ أقصى درجات المهارة، عند القيام بالهجوم المضاد أيضًا عن طريق أداء القطعات: قطعة الإيقاف، والضربة الزمنية المضادة، والضرب المضادة على الذراع من الداخل، وعليها من الأسفل، وأداء التبطيل، أي تبطيل ضربات الخصم في كل حال (١٥).

فإن كان السياف فارسًا، كان عليه أن يجيد الكر والفر، والامتناع والدخول على المبارزين، والخروج عنهم في المطاعنة والمصاع، وملاحظة مواقع السهام، مع إجادة تحديد الوقت الأنسب للإقدام والإحجام (١٦).

وإجادة استخدام الأرض والساتر ببعض المهارة اللازمة لكل محارب، وكذلك للسياف، فارسًا كان أم مترجلاً، وقل مثل هذا في الاستفادة من اتجاه النور، واستتار الشمس عند اللقاء (١٧)، مع القيام بالمناجزة، والمراوغة، والعطف في أثناء القتال، وترصد العدو في الحركة والهدوء والختل، وتعطيل ضربات رمح العدو أو سيفه، بالضرب عليه، أورده، والقدرة على خلع عذار الفرس، أو قطع عنانه لإشغال الخصم بفرسه، فيتمكن منه في الحين (١٨). وبالنسبة إلى الفارس يكون من المهم جدًا أن يقدر على توجيه فرسه بالعنان وبالرجلين مع التوفيق بين قيادة الفرس، أو استخدام السيف، وبقية الأسلحة.

وأما في المجال الوجداني من الأهداف السلوكية، فموجز هذه الأهداف هو الوصول بالسياف المملوكي البرجي الشركسي المنتمي إلى منظومة ثقافية غير المنظومة الثقافية العربية الإسلامية، الوصول به إلى أن ينتمي إلى الأمة الإسلامية والاعتقاد بدينها، والتشبع بقيمها، وأداء شعائر المسلمين والتحلي بآدابهم، والحديث بالعربية، حتى يصل إلى حد تقبل التضحية الطوعية والاندفاع في حماية بيضة الإسلام والمسلمين، والجهاد في سبيل الله، والعيش في ظل الشريعة، وتقبل متطلباتها كلها. وواضح هنا أن الجوانب الوجدانية في هذه التربية والتدريب كانت مشتركة بين جميع أشكال التدريب التي تلقاها المماليك الشراكسة كلهم في مصر المملوكية، وهو حال الوافدين الجدد إلى منظومة ثقافية تختلف عن منظومتهم الأصلية.

التدريب لتحقيق الأهداف له أصول

ولم يكن تدريب المماليك الشراكسة على المسايفة أو غيرها متروكًا للمصادفة أو للرغبات الفردية. وإنما كان التدريب نظاميًا يتم في مؤسسة تعليمية هي طباق القلعة، وفي أوقات منظمة قررتها تراكمات الخبرة. وتتطلب المسايفة لياقة عقلية جسمانية نفسية عالية، وإجادة فن حركاتها وخططها الصحيحة؛ ولذا كانوا دومًا من القلة التي انتصرت على الكثرة في أغلب مواقعها. وكان التدريب يتم من قبل معلمين أكّفاء. مشهود لهم بالمقدرة والكفاية. وبقيت أسماء بعضهم على مدى التاريخ كبكتوت الرماح، ولاجين الحسامي، وأردنبغا الزردكاش وغيرهم.

ونظمت الطباقات تنظيمًا دقيقًا، تولى مقدمو المماليك فيها أمور تربية المماليك الجدد (الأجلاب) (١٩). وكان الجسم كله خاضعًا للتدريب، وكان مطلوبًا فيه تطوير مهارات استخدام الأصابع في أداء الحركات، وتوافق الذراعين والرجلين، وأداء الحركات في حيز ضيق، وشروط صعبة، وتربية العينين على اليقظة والتوجيه والإدراك الحسي والتحديد بالتعاون مع كف اليد. وبصورة أوضح التدريب



التدريب على المسايفة تتطلبه حياة الإنسان للدفاع عن نفسه والبحث عن رزقه

الدائم على السرعة وليس التسرع، وعلى الجلد والمقاومة، وقوة التحمل، ومعرفة «تكتيك» الألعاب، وسرعة استجابة النصلات وتقوية الإرادة، وتدريب الشجاعة، وتنمية روح القتال والمبادهة.

كان تعليم السيف - وهو كذلك الآن - يبدأ بتقديم الجوانب المعرفية النظرية، وبتعليم تفاصيل الحركة وأجزائها، مع التدرج في التدريب من الحركات السهلة إلى الحركات الصعبة. وتتابع الحركات الهجومية، والحركات الدفاعية، حتى بلوغ الإتقان باستمرار التدريب طوال الإقامة في الطباق، والعمل في الجيش.

وتضمن تدريب السياف أداء الاختراق والقطع على الجذع والرأس، والجانب الأيسر من الوجه، وعلى الصدر والذراع، وقطعات على الكف المسلحة للخصم وأعلى ذراعه وعلى النقاط الضعيفة في تسليح الخصم، وهي الوجه والمفاصل. فكان التدريب النظري يتطلب شرح المزايا الفنية للسيف، والمزايا التعبوية له، على النحو الآتي مثلاً:

من الناحية الفنية: السيف سلاح يدوي جارح، يتألف من غمد، ومن متن، فأما الغمد فأجزاؤه الخلة أو الخلل، وهي جلود في باطن الغمد، ثم الحمائل وهي لتعليق السيف، ثم الكلب وهو حلقة تربط بها سيور الحمائل، ثم السِّيَة، وهي أطراف سيور الحمائل، ثم السارية وهي قطعة فضية أو حديدية، أو غير ذلك، توضع لوقاية مدخل النصل من الغمد ثم القراب أو الجراب، وهو غلاف يحمل فيه السيف بغمده.

وأما المتن، فهو جملة النصل، والمزين يسمى الحصير، والنصل هو حديدة السيف، عدا المقبض، ويكون من الحديد المسقي، وحدّه هو الظُّبَة أو الشفرة وقد تدعى بالفرار، ووسط السيف هو العمود، وكله قفاه غير الحاد، وطرف النصل: ذبابته أو ذؤابته، ثم الرأس، وهو رأس النصل، ثم القائم، وهو مقبض كف الضارب، ويكون من خشب أو حديد أو عاج. ثم السنبلة وهي ما دخل من النصل في الرأس، وقد يقال لها السنخ. ثم السيلان، وهو سنخ النصل الذي ليس في القائم، ثم الشاربان، وهما طرفاه عن يمين وشمال، في أسفل القائم، ثم القبعة، وهي حديدة تكسو أعلى القائم.

وكان الشرح النظري يعيد تذكير الشراكسة بسيفهم الوطني: الشاشقة الذي قد يكون مستقيم النصل أو منحنيه، وليس لنصله واقية يد (٢٠). كما كان يشرح لهم واقع سيوف الأعداء ومميزاتها، كأن يذكر لهم أن السيف الصليبي كان مستقيمًا طويلاً وثقيلاً (٢١)، فيما كان السيف العربي الإسلامي متعدد الأشكال خفيفًا على العموم، وتبعًا لذلك كانت أوزان السيوف متباينة.

وبالنسبة إلى المزايا التعبوية للسيف، كان السيافون يعلمون أن السيف سلاح فردي دفاعي وهجومي، يستخدم في مختلف صنوف الأسلحة، وهو سلاح خفيف سهل الحركة، يستخدم في الطعن والقطع، ورد ضربات العدو. ويمكن حمله باليد أو بالشد على حزام القباء، كما يمكن تعليقه بالسرج (٢٢).

أما في تحقيق القدرات والمهارات المتدرجة فكان التدريب على القطع يتم بقيام السياف بالضرب على ورقه موضوعة على وسادة قطنية رخوة، ضرب من يقتل بالعصا، وكانت الورقة تثبت على الوسادة كي لا تقع عنها (٢٣). ثم يكون التدريب على القطع والبتر بتثبيت قصبة أو قضيب خشبي طريين في الأرض، يقوم السياف ببتر أجزائها بالسيف ثم يكون التدريب بمواجهة سياف آخر، ثم يكون التدريب ذاته للفارس راكبًا، يقطع وحصانه يجري، ما قدر عليه من القصبة أو القضيب الخشبي. ثم بالمسايفة مع فارس آخر. مع ملاحظة أن يضع رجله في الركاب، بحيث لا يظهر منه شيء يغري عدوه بقطعه، ويكون التدريب بالضرب نفحًا وشذرًا، وباستلال السيف في كل مرة يضرب بها القصبة الطرية وحصانه يجري (٢٤).

وكان التدريب يكمل بألعاب عسكرية، مثل: لعبة الصولجان والكرة، والقبق، إضافة إلى ممارسة الصيد.

ولم يكن التدريب عشوائيًا، وإنما كان تدريبًا مخططًا تسجل نتائجه في سجلات خاصة، ويطلب من الفارس فيه استخدام كل براعته للوصول إلى الضربة القاتلة (٢٥)، ومؤسف أننا لم نجد بعد الإيعازات التي كان يستخدمها المدربون في أثناء التدريب على المسايفة، على نحو ما وجدنا من إيعازات تدريب الفرسان على أداء الحركات القتالية أيام الدولة المملوكية الشركسية، مما ننوي إن شاء الله كتابته لاحقًا. ولكن ما لدينا من معلومات يسمح بالحديث عن كيفية أداء التربية الوجدانية للسيافين وغيرهم من الشراكسة الذين كان قدرهم أن يعرفوا معاناة الغربة عن الوطن، وأن يكتووا بنار الهجرة والتهجير، وهما من سمات الحياة الشركسية عمومًا وأقوى عزائهم أنهم كانوا جند الإسلام وحماته، وأنهم ماتوا مسلمين.

تحقيق الأهداف الوجدانية معقد

ولم يكن تحقيق الجانب الوجداني من الأهداف السلوكية لتدريب المماليك الشراكسة أمرًا سهلاً؛ فهم كلهم، عند جلبهم، وفي مختلف أوقات الجلب وأشكاله، أسرى، أو مشتريات، أو ملتحقون بأقاربهم وذويهم وأصدقائهم، وغير ذلك، كانوا لا يعرفون اللغة العربية، ولا اللغة التركية التي كانت سائدة بمصر النخبة السياسية، كانت أعمارهم وأديانهم ومعتقداتهم وقبائلهم متباينة، وكانت لهم

المسايفة من المهمات الرئيسة للفرسان ووسيلة للدفاع والهجوم

شخصيتهم القومية الشجاعة المبالغة في تقدير الذات، وكانت أجسامهم قوية ألفت تحديات العيش في جبال القوقاز وغاباتها، وكانوا من شعوب رعوية تمجد القوة، ولها أطرها المرجعية المخالفة للوسط الذي أجبروا غالبًا على



أن يكونوا جنده وقادته، ثم سلاطينه، ولكن شجاعتهم الوطنية كانت عونًا لهم في مختلف المجالات، فقد كان الشراكس مشهورين بالشجاعة والفروسية دومًا(٢٦).

والحال الذي واجهه طباق القلعة من حيث الحاجة إلى تكييف الوافدين الشراكسة الجدد مع حال الدولة الإسلامية في مصر والشام، ليس بالحال الاستثنائي، فقد عرف مثله في القديم، ومازال بعضه موجودًا في عالم اليوم قبل حال المماليك الشراكسة في مصر وبعدهم، وحيثما وصل الإسلام واعتنقه الأقوام الذين وصل إليهم. كان تكييف هؤلاء مع العقيدة الإسلامية

ومطالب الشريعة أمرًا عاديًا وطبيعيًا. وتربية الانكشارية العثمانية كانت في السياق ذاته، ولسوف يخضع الوافد الجديد للعيش في مجتمع غير مجتمعه لبعض عمليات التكييف، وفي أيامنا يمارسه اليهود بطريقة تختلف كثيرًا عن الطريقة التي مورست مع المماليك الشراكسة، فما يسمى بدولة إسرائيل أقامت استنادًا إلى خبرائها النفسيين، ما يعرف بمدرسة «أورليان»، حيث تستقبل المهاجرين الجدد لتخضعهم للتحويل والارتباط والانتماء إلى ما يعرف بالطابع القومي اليهودي، وأساس ذلك معاملة الوافدين كما لو كانوا أطفالاً بعملية نفسية كاملة أساسها الاكتشاف الذاتي والمتابعة السريعة المفتعلة ابتداء من الطفولة حتى النضج (٢٧). وأما تحقيق الأهداف الوجدانية في تدريب السيافين وغيرهم فكان متعدد المستويات، منطلقًا من كون واقع مقابلها الشركسي الواقع الوجداني القبلي وأطره المرجعية مستندة إلى اللغة الشركسية، والعادات والتقاليد، والمأثورات والحياة الاقتصادية والخبرات الحربية، وتربية الأتابك الشركسية، وغير ذلك مما يشكل الطابع القومي الشركسي (٢٨). وهو الطابع الذي كان مطلوبًا إجراء تعديلات فيه لكي تتحقق الأهداف السلوكية للسيافين، وغيرهم من الجند المملوكي البرجي.

مستويات التحويل الوجداني

والمستوى الأول الذي كان التحول يتم فيه هو المستوى الديني الإسلامي؛ فالسيافون من المماليك الشراكسة، لم يكونوا عبيدًا، وإنما هم حسبما شرح ابن خلدون الذي عاش في بلاطهم، حين قال:

لم يكن مجيئهم إلى مصر بقصد الاستعباد، وانما هو اكتاف للعصبية ونزوع إلى العصبية الحامية، يصطفون من كل منهم ما يأنسونه من شيم قومهم وعشائرهم، ثم ينزلونه في غرف الملك، حتى تستد السواعد وتستحكم الملكات ويستيقنوا منهم المدافعة عنهم، واستجادة السلاح، وارتباط الخيل، والاستكثار من أجناسهم لمثل هذا المقصد (٢٩). وكان السلطان قلاوون قد عدهم أسوارًا وحصونًا مانعة له ولأولاده وللمسلمين من بعده (٣٠).

وفي هذا المستوى تم تعليم اللغة العربية دون فصل بينهما لطبيعة الصلة الوثيقة بين قراءة القرآن وتلاوته، وأداء العبادات، وإجراء المعاملات الإسلامية، وبين اللغة العربية التي كان الوحي قد نزل بها، مع معرفتهم بلغتهم الشركسية واستخدامها فيما بينهم (٣١) وكان تحقيق الجانب الوجداني بتعليم اللغة العربية من مهمات الطواشي في الطباق، وقد علم اللغة والقرآن والسنة الشريفة، ودرب على آداب الدين، وألزم بأداء الصلوات، ثم بعد ذلك كان تعليم الفقه (٣٢).

وإذ لا نملك أي وثيقة للكلمات والجمل التي علمت لهم، ولا لطرائق تعليمهم، فإننا نستدل على ذلك بالكلمات التي لا يمكن دونها أداء الصلوات، ومعرفة أسس العقيدة الإسلامية، وعندما عددنا كلمات الصلوات والأدعية، والمحفوظ الضروري من القرآن والحديث وجدناها نحو ٣٠٠٠ كلمة عربية. ولا شك أن الاشتقاق ساعد على زيادة هذا العدد، كما قام التكرار في الصلوات التي أدوها منفردين أو جماعة على تسريع تعلم اللغة، إضافة إلى ممارستها في الوسط الاجتماعي، كما ساعدهم اشتراك لغتهم الشركسية مع العربية في كثير من أصوات الحروف، فأصوات اللغة الشركسية تكاد تكون ضعف ما بالعربية من أصوات.

وفي هذا المستوى كان تكوين الاتجاهات الإيجابية تجاه المسلمين وعن طريق تعليم العقيدة، ومعنى الأمة الإسلامية، والأخوة الإسلامية، وكون التفاضل بين المسلمين، المتساوين كأسنان المشط، بالتقوى، وليس من الأصول، وهكذا فإن تلازم اللغة وتعليم الدين، وتلازم

النظر والعمل كل ذلك كان سبيل تحقيق الأهداف، في جانبها الوجداني في الديني واللغوي.

والمستوى الاجتماعي الاقتصادي، هو المستوى الثاني للجانب الوجداني من تدريب السيافين وغيرهم. وفيه كان التدريب هادفًا إلى تقويه روح الانتماء إلى الدولة المملوكية الشركسية من جهة، وإلى تعزيز هذا الانتماء بالتميز الذي يبنيه، من أعدائها، وبخاصة التتار والصليبيين، وغيرهم. ولا يمكن بلوغ هذا دون معرفة دقيقة بجميع الجوانب ذات الصلة به.

فأما الواقع الاجتماعي الاقتصادي في مصر، فكان يشرح لهم، ويعيشونه. وكانوا على انتماء متعدد الدوائر، وكانت مهمة التربية والتدريب أن تلغي التعارض أو التناقض بين هذه الدوائر، شركسيها وعربيها وإسلاميها وإنسانيّها.

ومن المؤكد أن عداء التتار لشراكسة مصر ألزم التدريب بشرح السلوكات التتارية المعادية للسلوكات الإسلامية، على نحو ما تبين رسالة السلطان برقوق إلى تيمور الأعرج (٣٣).

وترتب على العداء الصليبي، والحرب ضد الصليبيين، قبل قيام الدولة المملوكية الشركسية (كان قائد الفرقتين الصلاحيتين في حطين كلاً من إيز لكوج القفقاسي، وفخر الدين بن إياز الشركسي) (٣٤)، فالتدريب كان يعرّف الموقف الإسلامي من المسيحية، والمعلومات التي يحتاج إليها الجند الذي يقاتل الصليبيين (٣٥)، وكذلك كان ناتج محاربة البرتغاليين وتأثيره في تدريب السيافين الذين حاربوهم (٣٦).

وأما كون الجنود تمشي على بطونها، حسبما قال نابليون بونابرت، فإنه يعطي الجانب الاقتصادي أهمية بالغة في تحقيق الجانب الوجداني من الأهداف، وبه كان التدريب يعرّف السيّاف ترتيب التقدم من السلطان، وشكل الملكية الزراعية، ونظام الرواتب بالنسبة إلى المماليك السلطانية، والإقطاع لغيرهم، والمثال الذي كان يعطى بعد ترتيب المملوك له. وكان يعلم التمييز بين المثال والمربعة وبين المنشور والتوقيع والخبز (٣٧) إذا كان من جنود الحلقة، ودوره في الأمن (٣٨)، وعلاقة الأمن بالاقتصاد. وكان هذا يقتضي معرفتهم بالفرق الصديقة، والفرق المعادية (٣٩).

تجربة التدريب في الحياة العملية

من أدبيات إعداد المناهج التربوية تجربتها لمعرفة مدى تحقيق الأهداف بها. ولعله لم يجرَّب منهج تدريبي لمدة طويلة كتجربة إعداد السيافين في دولة المماليك الجراكسة، فهؤلاء أوجدوا - بقوتهم - علاقات جديدة في المنطقة ووسعوا إطار علاقاتهم السياسية في جميع الاتجاهات، ولم يتنازلوا عن شبر واحد من الوطن دون حرب، حتى لقد كلفهم ذلك نصف تعدادهم السكاني كما فعلوا في حربهم ضد نابليون مثلاً. وبينما كان الناس يتهربون من مواجهة العدو وينفرون من حمل السلاح، وينغمسون في الملذات، دون اهتمام لأمر العدو المحدق بهم، والفتن التي تعصف بهم، إذ حمل السيافون وغيرهم من جند الدولة سلاحهم يذودون العدوان عن الأمة، ويحفظون استقلالها ويصونون أمانته، ويحررون البلاد، وعددهم لا يتجاوز ١٢٥٠٠ جندي. ثم إنهم أظهروا ميلاً غريبًا إلى الفنون والجمال، فكان لباسهم وكانت عمائرهم دليل ذوق سليم، وشغلت عقولهم أفكار عريضة بحيث لا تجد في أي مكان من العالم مثيلاً لما شيّدوه (٤٠). مما يؤكد نجاح هذه التجربة في إطار الظروف التي نفذت فيها.

والحل البديل؟

التخلي عن السيف الإسلامي كسلاح قتالي، أوقف التدريب الحربي للمسايفة. وكانت البداية العربية مصرية، تجاوزت آثارها القوات المسلحة إلى جميع جوانب الحياة؛ وذلك بعد ما اقتنع محمد علي باشا بتفوق الفنون الحربية

الأوروبية المستندة إلى العلوم الحديثة، فإدخال العلوم الحربية إلى جيش مصر آنذاك استدعى تطبيق العلوم الميكانيكية والاستفادة من التعليم العام والطبي، وسيادة الانضباط الذي لحمته الطاعة واحترام المرؤوسين لرؤسائهم، والتدريب المنظم على الطاعة والنظام وتجاوز الجيش إلى مرافق الحياة المصرية كلها (٤١).

وفي الجيش الجديد الذي يرجع الفضل في تنظيمه وتدريبه الحديث إلى الكولونيل الفرنسي سيف، توالى انتشار الأسلحة النارية، وأغلبها صنع في ترسانة القاهرة، ومن الطراز الفرنسي (٤٢) وصار للجيش مدرسة للفرسان بالجيزة، وأشرف عليها الكولونيك الفرنسي فاران Varin، ومدرسة للمدفعية أنشأها قائد إسباني هو سجويرا بك. ثم صارت تحت إشراف الكابتن برونو (٤٣) وصار للبحرية مدرستها، وكذلك «للبيادة» المشاة، وتضمن منهاجها التدريبي دراسة مبادئ التحصين والهجوم على الحصون والدفاع عنها. والطبوغرافيا ورسم الخطط، ومناورات

المراجع والهوامش

١- الخوري يوسف عون، أغاني الأغاني. دار طلاس، دمشق، ص ٦٣٩.

٢- المرجع السابق، ص ٦٤٥.

٣- المرجع السابق، ص ٦٥١.

٤- المرجع السابق، ص ٦٥٢.

٥- المرجع السابق، ص ٦١٢.

٦- ممدوح قوموق، ملاحم نارت الشركسية، دار المجد، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٤٩.

٧- لمرجع السابق، ص ٥٠.

٨- لمرجع السابق، ص ٩١.

٩- خير الدين الزركلي، الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م، المجلد٦، ص ٢٩٩.

١٠- د. محمد فؤاد شكري، عبدالمقصود العناني، سيد محمد خليل، بناء مصر دولة محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة،. ١٩٤٨م، ص١٤٩.

١١- احسان هندي، الحياة العسكرية عند العرب، أو: تاريخ الجيش العربي في ألف عام. مطبعة الجمهور. دمشق ١٩٦٤م، ص ٨١ ـ ٨٢، وللمؤلف ذاته: مكانة السيف عند العرب مجلة الفيصل، الرياض، العدد ٣٦ لعام ١٩٨٠م،ص١٤٩.

١٢- بدالرحمن زكي، السلاح في الإسلام، دار المعارف القاهرة، ص ٣٦، ل. ا. ماير. الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي الهيئة المصرية للكتاب القاهرة، ص ٧٨، أحسان دي، الحياة العسكرية عند العرب، ص ٨١ ـ ٨٢، عمر الدسوقي، الفتوح عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٤، عام ١٩٦٣م، ص ٢٥٧. ٢٥٨، انظرأيضًا: عدنان الأبرش السيوف الدمشقية، مجلة الفكر العسكري، دمشق العدد٣، لعام ١٩٧٦م، ص ١٦١، جرجي زيدان التمدن الإسلامي، ج١، مطابع الهلال، القاهرة. ص ١٩٣.

١٣- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص ٣٧١، اللورد مونستر، رسالة في فن الحرب عند العرب منشورات المجلة العسكرية السورية، ملحق عدد تشرين الثاني وكانون الأول نوفمبر وديسمبر ١٩٦٤م، ص ٥٣. ابن هذيل الأندلسي. حلبة الفرسان وشعار الشجعان. تحقيق محمد عبدالغني حسن. دار المعارف. مصر ١٩٥١م، ص محمد رشيد عبدالمطلب. المبارزة. منشورات دار الكتب الجامعية. القاهرة. ١٩٦٧م، ص ٢٢٠، ٢٣٣، ل. أ. ممايرجي ١٨.
انظر أيضًا: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة عام ١٩٦٠م، ج ٣. ص ٢٩. إحسان هندي، مكانة السيف عند العرب، ص ٢٠، والحياة العسكرية عند العرب، ص ٨٥ ـ ٨٦.

١٤- ابن هذيل الأندلسي، ص ١٩٨.

١٥- محمد رشيد عبدالمطلب، ص ٢٢٠ ـ ٢٣٠.

١٦- إحسان هندي، الحياة العسكرية عند العرب. ص ٨٥ . ٨٦.

١٧- المرجع السابق، ص ٨٥ ـ ٨٦.

١٨- المرجع السابق، ٨٥ ـ ٨٦.

١٩- أنطوان خليل ضومط الدولة المملوكية، دار الحداثة بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣٤.

٢٠- عبدالرحمن زكي، ص ٣٦.

٢١- عمر الدسوقي، ص٢٥٧ ـ ٢٥٧.

٢٢- ل. أ. ماير. ص ٧٨.

٢٣- محمد رشيد عبدالمطلب، ث ٢٢٠. ٢٣٣.

٢٤- عدنان الابرش، ص ١٧٤، الشريف السيد أحمد بن محمد الحموي الحنفي النفحات المسكية ص ٦١.

المشاة، والتمرين على استخدام السلاح، وواجبات الخدمة الداخلية والشرطة ونظام الحاميات والأورط والبلوكات.

ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، ويترأس هيئة الامتحان السنوي بها أحد جنرالات الجيش (٤٤). وفي كل هذا انسحب السيف القديم من الميدان، وحل محله سيف من نوع جديد. هو سيف العلم والصناعة الحديثة، التي سرعان ما تخلت عن الفرس الطبيعي بفرس إلى سريع أخل بكل موازين القوى.

وهكذا بقي السيف رمزًا وحكمة

على الرغم من التخلي عن السيف كسلاح للمعارك فانه بقي في أعماق الروح رمز القوة والعزة، ومفخرة الأمجاد التي تستلهمها الأمة كلما واجهت معضلة عجزت السياسة عن حلها، وأما العبرة التي يقدمها حديث السيف فهي؛ ويل لأمة توجه سيوفها إلى رقاب أبنائها، وتكسر السيوف، وتقنع نفسها، غلطًا، أو مغالطة، بعجز يدها عن حمل سيفها عندما تحتاج إليه. ناسية أن الجنة تحت ظلال السيوف.

٢٥- عمر الدسوقي، ص ٢٥٢، ٢٥٨.

٢٦- د. حكيم أمين عبدالسيد، قيام دولة المماليك الثانية، دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧م، ص ١٢.

٢٧- د. حامد عبدالله ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية، دار الفكر العربي القاهرة،١٩٧٢م، ص ١٨٨.

٢٨- في تاريخ الشركس انظر بالشركسية:

انظرأيضًا: ممدوح قوموف. ملاحم نارت الشركسية. مرجع سبق ذكره.

وبالنسبة إلى أحوالهم الاجتماعية، انظر بالتركية:

أنجوق، عيسى نوري قفقاسية ده، أديفه لر، مطبعة حلب اراكس مطبعة سي، ١٩٣٧م، وعنده توزع إماراتهم حسب القبائل المختلفة للأديفة.

وبالنسبة إلى التاريخ القديم انظر: برزج سمكوغ. الشركس في فجر التاريخ منشورات دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٥م.

٢٩- ابن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٣٧١.

٣٠- د. على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٥٨، انظر أيضًا: د. حكيم أمين عبدالسيد ص ١٣.

٣١- انظر: ابن الحنبلي، دار الحبيب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق يحيى عبارة ومحمود فاخوري منشورات وزارة الثقافة، دمشق. ١٩٧٤م، ترجمة: أبي بكر بن عبدالرحمن محمد، القسم الأول، الجزء الأول.

٣٢- المقريزي، الخطط المقريزية، منشورات دار صادر، بيروت، ص ٢، ٢١٣.

٣٣- انظر نص الرسالة لدى حكيم أمين عبدالسيد، ١٧٠-١٧٢.

٣٤- البدر العيني الروض الزاهر، نقلاً عن مخطوط لمحمود زاهد الكوثري محفوظ لدى ورثة الشيخ عبدالله سلام بتلعمري حمص، ص ١٨، انظر أيضًا: كاتب دائرة المعارف الإسلامية المجلد٦، مادة جركس، انظر أيضًا: أنور زقلمة ،المماليك في مصر، مطبعة المجلة الجديدة، القاهرة، ص ٨٤.

٣٥- عمرالدسوقي، ص ٢٨٢.

٣٦- د. سعاد ماهر. البحرية في مصر الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة ودار الكاتب بالقاهرة، ص ١٢٦, ١٢٧.

٣٧- د. علي إبراهيم محسن، ص ٤٣٢, ٤٣٣، د. نقولا زيادة، ص ١٦٨، محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ص ١٦، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص ١٨٠،

٣٨- د. نقولا زيادة، ص ١٧٠.

٣٩- جاستون فيت، القاهرة، مدينة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادي مكتبة لبنان - ١٩٦٨م، ص ٨٩، ٩١.

٤٠- المرجع السابق، ص ١١٢. وانظر: محمد سيد الكيلاني، الحروب الصليبية واثرها في الأدب العربي في مصر والشام، منشورات مكتبة مصر، القاهرة، عام ١٩٤٩م، ص ٣٥، ٣٩، ٤٢.٤٨، ٤٥ ,٤٩. د. سعاد ماهر ص ١٢٧، ١٢٨، أنور زقلمة، ص ٢٨، المقريزي الخطط ج٢، ص ٢٠٥، ٢١٤، أبو المحاسن، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ج٧، ص ٣٣٠، على مبارك. الخطط التوفيقية، مطبعة دار الكتب، القاهرة. ١٩٧٠م، ج١، ص ٩٠.

٤١- د. محمد فؤاد شكري وآخرون، ص ٤٧٣.

٤٢- المرجع السابق، ص ٤٧٨.

٤٣- المرجع السابق، ص ٤٨٠، ٤٨١.

٤٤- المرجع السابق، ص ٦٥٥.



نجم الصباح

محمد إقبال
ترجمة: رمضان عبداللطيف حامد
أسوان ـ مصر

لقد سئمتُ المجدَ في صُحبة الشمسِ والقمر
وسئمتُ حكم الفجرِ المستبدِ عليَّ
إنّ الإقامة بجوارِ الكواكبِ لا قيمةَ لها عندي
فالعيشُ فوقَ الأرضِ أفضلُ لديَّ من حياةِ السماء
أنا لا أسكنُ في السماءِ، وإنَّما أقيمُ في عالمِ الفناء
وحواشي الفجرِ المطوية مئات المرات تُستخدم لتكفيني
فقدري المحتومُ أنْ أولدَ وأموتَ كلَّ يومٍ
مع مطلعِ كلِّ صباحٍ أتجرّعُ كأسَ الموتِ
ألا تبّاً لهذا الواجبِ الحتمي، لهذا الموقعِ، ألا تبّاً لهذا المجد
إن الظلامَ الدائم أفضلُ بكثيرٍ من اللمعانِ ساعة واحدة
لو كان الأمرُ بيدي لما اخترتُ أن أكون نجمًا
واخترتُ أنْ أكونَ لؤلؤةً بيضاءَ في ظُلمةِ البحر
وإذا أجهدتني مكابدةُ الأمواجِ العاتية
أتركُ البحرَ، وأتعلقُ في عِقدٍ، يا لها من سعادةٍ
أنا أتلألأ في قلادةِ الجمالِ البراقةِ
أو أصبحَ جوهرةً في تاجِ زوجِ أحدِ الملوكِ
وآهٍ لو ابتسمَ الحظُ لهذه القطعةِ من الحجرِ الكريم
ولمعتْ في خاتمِ سليمان
ولكنّ كلّ مجدٍ في هذه الحياة لا محالةَ زائلٌ
الوحيدُ الذي يخلد، هو الذي لا يدركُهُ الموت
كيف نسمّي هذه الحياةَ حياةً، وهي تخضعُ لسلطانِ الموت
ونهايتُنا بهذه الطريقة تمنحُ الأرضَ البهجة

❖ هذه القصيدة مترجمة عن الإنجليزية من كتاب عنوانه «قصائد من إقبال» للكاتب ف.ج. كيرنان V.G. Keirnan



الشهيد

مهداة إلى كل شهيد عبر النضال المجيد

سعد البواردي
الرياض ـ السعودية

أخي أنتَ لي.. وإني معكْ
ألملمُ في عِزة أضلعكْ
عشقتَ الخلودَ فنلتَ الخلودَ
فيا ليتَ أني إليه معكْ
ألستَ الشريدَ؟ ألستَ الشهيدَ؟
تألَّمْ.. تكلم لكي أسمعكْ!
فإني معكْ
نثرتُ على القبر أغلى الورود
وعمَّدته بقصيدة شعرْ
وصليّتُ أَرْوِعْ به من سجود
لأنكَ حيٌّ.. وتعمُرُ قبرْ
لذكراك يا سيدي سأعود
أُشيدُ بكل اعتزاز وفخرْ
فأنت معي
تركتَ الحياةَ لتحلو الحياةُ
وغيرك قد عاشها في سباتْ
وهل يستوي غائب! حاضرٌ
وآخر يلهو بعُمّر موات؟!
أراك بعيدًا! وأنت القريب
أراكَ معافى وأنت الرفات
فإني معكْ
حياتك كالطيف ملء السماء
وذكرك كالطيب ملء السماع
وفي كل خاطرة لشهيد
كأنتَ صباحٌ يفيضُ الشعاع
بقبركَ نَمْ في رحاب الرحيمْ
سآتيك. لا لن أقول الوداع
لأني معكْ





أين ننتهي؟

جميل مفرّح

صنعاء ـ اليمن

جالستُ خوفي في المساءِ

شربتُ قهوتَهُ وشَايَهْ

لم أدرِ أنَّ الشايَ يحـ

ملُ فيهِ عنوانَ الرّوايَهْ

ألزعفرانُ.. وإنَّ لي

في زعفران الليلِ آيَهْ

أتعبتُ ذاكرةَ المُغنـ

ي كلَّ يومٍ لي حكايَهْ

غَنَّى فكان غناؤهُ

لمواجعِ الماضي كنايَهْ

أرَّقتُ رغبتهُ معي

أَنهكْتُ طَبْلَتَهُ ونَايَهْ

داختْ معازفُهُ ودُخْـ

نا والطريقُ بلا نهايَهْ

ندنو فينقشع السَّرا

بُ وننتهي حيث البدايَهْ





غيرة

عبدالله سعد اللحيدان
الرياض ـ السعودية



هل تغار النجومْ

من مرايا النهارْ

ومنّا،

وتلمع حيرتُها

وهي تختارْ

واحدًا غنّى،

ليشاركها

رقصةً في المدَارْ،

ويُجاملها باسم هذا «الزمانْ»

بالنيابة عنّا،

يافعًا أو مُسِنّاً

أو فتاةً

تضمّ إليها إضاءتَها

وتختصر النور فيها

وتعصر

منها الشرارْ؟



قوس قزح أبيض

قنسطنطين بأوستوفسكي

ترجمة: هاشم حمادي

دمشق- سورية

استدعي الفنان بيتروف للالتحاق بالجيش في السنة الثانية من الحرب، حيث كان يقطن إحدى مدن آسيا الوسطى، التي أجلي إليها من موسكو.

كانت بداية الشتاء، وقد كاد الثلج يغطي قمم الجبال. ومع حلول المساء كان السكون والظلمة يخيمان على البيوت الباردة، فالأضواء في المدينة كانت تطفأ باكرًا جدًا.

وفي الليل، وفوق أشجار الحور العارية، كان القمر يتسلق السماء، فتبدو المدينة مخيفة في ضوئه الساطع.

لم يكن أحد في وداع بيتروف، فهو لم يخلف وراءه لا أصدقاء ولا ذكريات - لا شيء إلا الإحساس بحياته المتوقفة. لم يكن بيتروف قد تجاوز الثلاثين إلا بقليل، لكن التشرد جعله يشعر أنه كهل عجوز.

حشر بيتروف نفسه في عربة القطار، ثم اندس في إحدى الزوايا، وبدأ يدخن. ولدى باب العربة كان يقف أحدهم، يودع امرأة شابة. وإذ أنصت بيتروف لكلمات المرأة، أحس بارتياح غامض؛ لأنها كانت تخاطب المقاتل بضمير «أنتم».

كان صوتها خافتًا، نقيًا، صريحًا. وخطر لبيتروف أن هذا الصوت يمكن أن يجذب المرء، كما النداء البعيد، فيندفع قاطعًا الصحارى، والظلمة الدامسة، والمعابر الجليدية، يسير دامي القدمين، وحين يفقد القدرة على السير، يقع، ويزحف.

المهم أن يرى صاحبته، أن يتشبث بعضادة الباب، ويقول: «هاك.. لقد جئت.. لا تطرديني». هناك أصوات كأنها مفتاح السعادة.

حين تحرك القطار، أطل بيتروف من النافذة، فرأى على الرصيف، في ضوء المصباح، امرأة شابة - وجهًا شاحبًا، ابتسامة، ويدًا مرفوعة - ولا شيء آخر، ففي الحال خيمت ظلمة الليل الدكناء على النوافذ.

«إذا ما استقررت في موسكو - قالت المرأة للمقاتل مودعة - فاتصل بما شا» وذكرت رقم هاتف. لفترة طويلة ظل بيتروف يكرر هذا الرقم ثم سجله، خوفًا من النسيان على بطاقته العسكرية.

في الطريق كان بيتروف غالبًا ما ينظر من النافذة. كانت المدينة الآسيوسطية تبتعد باطراد، ولم يكن ثمة من عودة إليها. لقد تحولت إلى ذكرى غامضة، وغير واقعية، ضائعة في مجرى حياته، كما يضيع يوم مضى بين أيام العام الطويلة، الثلاثمئة والخمسة والستين.

انصرم الشتاء والربيع والصيف الماطر في المعارك. وفي ضواحي فيتيبسك أصيب بيتروف بجرح في رأسه. أمضى ثلاثة أشهر راقدًا في المستشفى العسكري، ثم تقرر إرساله إلى أحد المصحات، لكي يسترد قواه، بعد هذا الجرح البليغ.

طلب بيتروف إرساله إلى تلك المدينة الآسيوسطية التي سيق منها إلى الجيش، فبالقرب من هذه المدينة كان يوجد مصح جبلي صغير.

- تذكر يا عزيزي - قال له كبير الأطباء - ليس لديك إلا شهر واحد، الطريق وحده يستغرق عشرة أيام ذهابًا

وإيابًا، واعترض بيتروف:

ـ يصدف أن يومًا واحدًا أغلى من عام كامل.

فدمدم الطبيب:

ـ حسن، إذا كان الأمر كذلك.. إذا كانت لديك أسباب وجيهة، تدفعك إلى هناك، فلا يسعني إلا أن أنفض يدي من الأمر، وأوافق.

كان القطار يمر عبر موسكو. حيث يصلها عند منتصف الليل، ويغادرها إلى المدينة الآسيوسطية في الصباح الباكر، ومن ثم فلا بد من قضاء ليلة مضنية في المحطة في موسكو.

بدأ القلق يساور بيتروف قبل وقت طويل من الوصول إلى موسكو، والقطار لايزال ينهب أرض سمولينسك.

أطفأت يلينا بيتروفنا، النور، ودنت من النافذة، ثم أزاحت الستارة، كان الدفء ينبعث من مشعات التدفئة. وفوق سقوف موسكو كان يجثم ليل قاتم.

ـ ها هي ذي ـ قالت يلينا بيتروفنا، وضغطت بأصبعها على حاجبيها، كما تفعل، حين تستسلم للتفكير ـ ها هي ذي موسكو، بعد آسيا الوسطى، حيث العمل المألوف، الصديقات ـ كل شيء كما في الماضي. فماذا تريدين إذن؟

ـ من لي بمعرفة كنه السعادة الغامضة؟ أين تكمن؟ من الصعب أن أبقى وحيدة أبدًا، وأنا أرى ـ ولو هذا الليل ـ وأفكر بكل شيء، ولا أجد من أبتسم له، وأضع يدي على كتفه، وأقول: «انظر إلى الثلج كيف يتساقط».

على حين غرة تردد جرس الهاتف على الطاولة.

تناولت يلينا بيتروفنا السماعة، وجاءها صوت رجل يطلب ماشا.

ـ لم تعد ماشا تعيش هنا ـ ردت يلينا بيتروفنا ـ ومن يريدها؟

ـ الواقع ـ قال صوت الرجل، بعد أن فكر مليًا ـ أنها لا تعرفني ـ لا جدوى أن أذكر اسمي. رد صوت الرجل، ثم صمت.

ـ طيب؟ إنني أنتظر ـ قالت يلينا بيتروفنا ـ هل أضع السماعة؟

ـ كلا انتظري ـ قال الصوت متوسلاً. إنني في موسكو من قطار إلى قطار. أتكلم من محطة «بيلاروسكيا» لا أعرف إن كنت سأتمكن من أن أشرح لك، فأمام كشك الهاتف طابور طويل.

إذن تحدث بسرعة.

كانت يلينا بيتروفنا تصغي، وهي تقف قرب الطاولة. في البداية عبست، ثم ابتسمت، ومدت يدها نحو النافذة.

ـ إنني أصغي إليك، وإن كنت لا أفهم شيئًا بعد. نعم، نعم. أمر غريب حقًا، وربما يكون جيدًا.. لا أعرف.. إنني أذكر ذلك كله: المحطة، الليل، والريح، لكنني لا أذكرك.

هل يعقل أنك تعرفت علي من صوتي؟ يا لك من عجيب حقًا. متى ستسافر؟ لست أدري ماذا أفعل.. أمر محزن حقًا. هل جرحك بليغ؟ في رأسك؟ لسوف تعاني الأمرين هناك. في المحطة. لا تستطيع التجوال ليلاً في موسكو! لا تستطيع. نعم إنني ما زلت أصغي. تكلم.

فجأة انقطعت المكالمة، فوضعت يلينا بيتروفنا السماعة ببطء، وهي تقول:

ـ ربما يعود فيتصل.

ثم جلست على الكرسي قرب الطاولة. وإذ عثرت على سيجارة مرمية، راحت تدخنها بنهم.

مر ربع ساعة، ومن ثم نصف ساعة، لكن أحدًا لم يتصل، ودقت الساعة الثانية.

ـ كلا! هذا مستحيل! ـ قالت يلينا بيتروفنا بصوت عالٍ، ثم وثبت ـ سوف أفقد عقلي على هذا النحو.

حين خرجت يلينا بيتروفنا من المنزل كانت الساعة

تدق الثالثة، وموسكو تغفو في ضوء المصابيح الخافت، ملتحقة بالثلج.

دخلت يلينا بيتروفنا صالة المحطة، الضاربة للخضرة على عجل، ولم تلبث أن شعرت بضيق في التنفس، فقد خيل إليها أن قلبها قد توقف. ولو كان ذلك ممكنًا، إذن لأغمضت عينيها، واستندت إلى الجدار، ووقفت على هذا النحو، تصيخ السمع إلى ذلك الرنين البعيد والغامض - ربما يكون مصدره الضوء في النجفة الضخمة، وربما يكون الدم في صدغيها.

على المقاعد الخشبية كان المسافرون المتعبون ينامون جلوسًا، وعلى المقعد الأبعد يجلس ضابط نحيف، ذو وجه معذب، وقد اختبأت عينه اليسرى خلف ضمادة سوداء.

دنت يلينا بيتروفنا منه، وقالت:

- هاقد...

نهض الضابط على عجل.

- هاقد... - كررت يلينا بيتروفنا، وابتسمت - إنك كما تصورتك تمامًا.

تأرجحت الصالة، وتراقصت. أسند بيتروف يلينا بيتروفنا، وأجلسها على المقعد..

نظرت يلينا بيتروفنا إلى وجه بيتروف المضطرب - يا له من وجه محبوب، لكأنها تعرفه - ثم سألت بصوت خافت:

- هل تفهم شيئًا؟

- كلا - رد بيتروف - وهل هناك ضرورة للفهم؟

- لا ضرورة لذلك حقًا - وافقت يلينا بيتروفنا، ثم تنهدت - مسكين، كم أخفتك. إن يديك جليديتان تمامًا.

أخذت يدي بيتروف الباردتين، وراحت تدفئهما بين راحتيها.

- هل سيطول ذلك.. - قالت، وكأنها تناجي نفسها.

ظل بيتروف صامتًا، فقد كان صوت يلينا بيتروفنا مشوبًا بالحنان والخوف، كما كان آنذاك في تلك الليلة الديسمبرية في المحطة، حين كانت الريح تحمل الثلج الجاف من الصحراء، ظل بيتروف صامتًا، لكن خيل إليه أنه قد قال ليلينا بيتروفنا الكثير جدًا، كل شيء تقريبًا.

استقبلت المدينة الآسيوسطية بيتروف ببياض الثلوج، وبشمس هائلة في سماء ربيعية صافية، وعلى الأشجار العتيقة كان الثلج الكثيف يرقد بإجلال، والشوارع العريضة تتلألأ بمئات الشرارات البيضاء، إنها بلورات الثلج المسطحة، تسبح في الجو، دون أن تحط على الأرض.

كان بيتروف يعب من الهواء، فلا يشبع، حتى إنه أحس بوجع في رأسه، بسبب هواء الشتاء.

تملكت بيتروف الحيرة حين تذكر أن هذه المدينة كانت تبدو له، لعام مضى، كئيبة وفظيعة. لكن الذاكرة العنيدة اكتشفت الآن أيامًا نيرة كهذه، وسماء صافية كهذه، ورائحة الأوراق المتجمدة إياها، وهذا الصمت، الذي يخيم على الحدائق العتيقة. في الماضي لم يكن ينتبه إلى هذا. فما السبب؟ ربما لأنه كان وحيدًا، ولم يكن يشاركه أحد في النظر إلى هذا كله. ولم تكن إلى جانبه لا يد حنون، ولا عينان ضاحكتان، ولا صوت خافت.

أقام بيتروف في مصح، خارج المدينة، في أحضان الزمهرير الجبلي الرائع، حيث يبدو وكأن النجوم والليل قد تجمدت، وانطمرت تحت الجليد الواخز.

كان أبدًا يشعر بالاضطراب الخفيف المستمر، وكان هذا الاضطراب لا يكف يتفاقم، إلى أن يتحول إلى إحساس بالسعادة غير المعقولة، والتي تكاد لا تطاق، حين سلموه برقية من ثلاث كلمات فقط «أصلُ



العشرين، استقبلْ».

وبعد البرقية مر كل شيء كما الزوبعة الثلجية، التي لا تسمح بالتقاط الأنفاس، وتعمي، وتحول العالم إلى قوس قزح أبيض.

المحطة ليلاً، دفء صوتها، نعومة يديها، الطريق ليلاً إلى المنتجع، عبر أحراج أشجار التفاح البري، صخب الشلالات، والهالات الزرقاء للنجوم، التي ترتفع ببطء فوق الجبال، في مسراها الأبدي الخلاب، وهواء الصحارى، الجبال، الشتاء، الذي داعب وجهيهما فوق الجرف، حيث توقفا لدقيقة، للنظر إلى القمم، التي تتسلق الليل اللا محدود، والتي تسطع ببريق خافت، وكلمات يلينا بيتروفنا، التي قيلت بهدوء، وبما يشبه اليقين:

ـ لسوف يطول هذا، لسوف يطول... ربما إلى الأبد.



جزء من الحكاية

علوي أحمد شملان

الطائف ـ السعودية

قال: جمعتنا الغربة ورحلة أسى سنين (حياة مستعارة) (١).

نأوي إلى الحنين.. ونتدثر باللوعة .. ونقصر أماسي الشوق بالثرثرة وهواجس العودة وترهات الأحلام والأماني.

(فرج سعيد) وحده ـ بيننا ـ كان عصيًا على الثرثرة والبوح بأحلامه وأمانيه.

قبل التغرب لم يكن بعضنا يعرف بعضًا .. اعتقدنا ـ أول الأمر ـ أن حياة (فرج سعيد) ضئيلة وضامرة مثل ضمور جسده.. غير أننا بعد طول العشرة وجدنا أن نفسه الخضراء تقول غير ذلك.

كان ناضج السلوك .. وكان يملك بصيرة تفوق حجم جسده وسني عمره.

حيّرنا (فرج سعيد) بحبسه لأحلامه وأمانيه .. ومع الأيام أصبح هذا الأمر يشكل لنا لغز الألغاز .. تشاورنا في الأمر فقررنا محاصرته ونبش نفسه ومعرفة المخبوء بداخله.

قلنا له: إن البوح راحة للنفس .. وقلنا له: إن الأحلام والأماني زاد يومي ضروري للغربة .. قال لنا: من حقكم أن تحلموا .. قلنا له: وأنت من حقك أن تحلم .. قال: قد أخذت حقي قبل أن نتعارف ونجتمع هنا !!.

ـ أي حق تقصد؟ ـ حقي من الأماني والأحلام !! ـ أين هي أحلامك؟ وما هي ؟ ـ ماتت ولم أتلق العزاء بعد !! قال:

عندها أدركنا وتأكد لنا أن لصاحبنا حكاية .. ولا بد أن نعرفها.

❖ ❖ ❖

حزمنا أمرنا مع (فرج سعيد) .. قيّدناه بكل ما لدينا من حبال الود المشترك، والعيش المشترك، والغربة المشتركة، والحنين المشترك .. لم يجد أي طريقة للفكاك من قيوده التي قيّدناه بها .. لذلك وافق أن يحكي لنا جزءًا من حكايته فقط.

قال (فرج سعيد): .... وعند نهاية المرحلة المتوسطة، كنت طالبًا «محسودًا على تفوقي وجمال خطي .. كنت لا أملّ ولا أشبع من الجلوس والقراءة في مكتبة المدرسة .. فجأة توفي والدي .. قطعت الدراسة قبل الاختبارات بشهرين ... كان لابد أن أتدبر أمر معيشتي ومعيشة أسرتي .. شرعت في البحث عن عمل .. فكرت في الانخراط في الجندية لكن بنيتي الجسدية لم تمكنني من ذلك ... فكرت في التجارة !! .. إي نعم، فكرت في هذه المهنة التي أكرهها .. لكنني واجهت نفسي بحقيقة أنني لا أملك أي شيء أتاجر به، وأنه لا يوجد أي مخلوق مستعد لإقراضي قيمة علبة حليب واحدة.

صرفت النظر بسرعة عن التفكير في التجارة .. فكرت في الوظيفة .. توهجت الفكرة في رأسي وسيطرت على تفكيري .. نعم الوظيفة. قلت لنفسي ـ إنها الأمل ... ولكن كيف ؟؟.

❖❖❖

كانت بيئتي المعدمة التي أنتمي إليها قد شكلت شخصيتي وطبعتها بطابع الانطوائية والضعف والحذر والحساسية من الناس .. لذلك وجدت نفسي أفتقد الجسر المهم الموصل إلى تحقيق هدفي ومطلبي .. وهذا

الجسر هو العلاقة بنوعيات معينة من الناس كان بإمكانهم مساعدتي على الحصول على الوظيفة.

في أول الأمر لم تقف هذه العقبة عائقًا في طريقي .. لذلك قررت في ذات نفسي أن أبحث وأبحث وأطرق أبواب المصالح والوزارات حتى أعثر لنفسي على وظيفة.

لم أكن أحلم بوظيفة كبيرة .. فقط كنت أحلم وأبحث عن أي وظيفة متواضعة تريحني من عناء الاشتغال بالأعمال الشاقة .. حيث إن صحتي وتكوين جسدي لن يصمدا طويلاً أمام أي عمل عضلي شاق.

أيقنت أن بحثي سيطول .. لذلك قسمت الأسبوع إلى نصفين، نصف خصصته للطواف والتردد على المصالح والوزارات، والنصف الآخر كنت أقضيه في الأعمال العضلية.

كان اشتغالي بالأعمال العضلية يسبب لي الكثير من الآلام والمتاعب الجسدية .. لكنها كانت تهون أمام شدة الآلام والمتاعب النفسية التي كنت أتعرض لها خلال ترددي على المصالح والوزارات .. حيث إنني كثيرًا ما كنت أتعرض لأسئلة من نوع: هل تعرف الشيخ (....) ؟ أو الضابط (....)؟ أو التاجر (....)، وكثيرًا ما كنت أواجه بالازدراء والسخرية والعبوس حينما يكشف أمر أنني (رعوي) (٢).. كان البعض يتلطف معي فيسألني عن مؤهلاتي ... وكانت كثرة ترددي على مكاتب المصالح والوزارات قد جعلتني أدمن رؤية غرف المكاتب ورؤية ما تحويه من الديكور والأثاث .. وهذا بدوره سبب لي الإصابة بأحلام اليقظة حيث كنت كثيرًا ما أحلم برؤية نفسي خلف أحد المكاتب.

كنت لا أمنع نفسي من السفر الطويل مع أحلام اليقظة .. لكنني تنبهت إلى خطورة أن أحلم أنا ومن على شاكلتي!!!.

❖❖❖

مر عام ولم أوفق .. خبا توهج حلمي .. أصابني شيء من اليأس .. كيفت نفسي على الأعمال العضلية الشاقة .. لكن جسدي لم يتكيف.

خرطت عامًا آخر - خلاله - كنت أقضي نصف أيام الأسبوع في العمل ونصفه الآخر أتوجع على فراشي .. وكان حلمي بالوظيفة قد مات وانتهى ونسيته.

بعد ذينك العامين لم يعد جسدي المتعب يقوى على



الأعمال العضلية .. وجدت نفسي محاصرًا بدوائر الحاجة والعوز .. كدت أفقد توازني العقلي، وفعلاً وقفت على حافة الجنون .. (لكن الخالق سبحانه وتعالى دائمًا رحيمٌ بعباده) حيث اهتديت - في اللحظة الحرجة - إلى تذكر بعض الأعمال التي لا تحتاج إلى المجهود العضلي الشاق.



❖❖❖

جلست أمــــام باب وزارة (....) بسطت أوراقي البيضاء وقلمي على صندوق خشبي صغير أمامي ... اقترب مني حارس البوابة ... سألني عما أريد فعله .. قلت له: أريد أن أخدم المراجعين وأكتب لهم عرائض حال مقابل أي أجر يجودون به عليَّ .. هز الحارس رأسه ومضى شبه مبتسم .. شغلت نظري بالتطلع إلى الداخلين والخارجين من الناس .. قضيت عدة ساعات ولم أخط كلمة واحدة .. بعد نصف النهار بقليل اقترب الحارس مني مرة أخرى وسألني عن الحصيلة .. لم أجبه بكلمة واحدة .. تركت أوراقي البيضاء وصندوقي الأجوف في المكان نفسه وعدت إلى فراش وجعي.

❖❖❖

أشرقت شمس يوم آخر .. حملت سطل الماء وعلبة الصابون وقطعة قماش بالية قديمة ... توجهت إلى وسط المدينة حيث وجدت في مهنة غسيل السيارات مخرجًا لي من حالة العوز .. حالفني الحظ في هذه المهنة .. كان منظر جسدي الضعيف وثيابي المهلهلة البالية يثير شفقة أصحاب السيارات فلا يبخسونني أجري .. قررت أن تكون مهنة العمر .. كان موقف السيارات الذي اتخذته مكانًا لعملي يقابل مبنى المكتبة العامة في مدينة (...)، تحركت بداخلي ذكريات مكتبة المدرسة، ومع مرور الأيام عادت إلى الحياة - بداخلي أيضًا - هوايتي القديمة: القراءة .. كنت أجد في الوقت متسعًا فأتسلل إلى داخل المكتبة، وفي قاعة المطالعة كنت أنزوي في ركن بعيد عن رواد القاعة.

طويت عامين آخرين على هذه الحال أقضي النهار وجزءًا من الليل بين غسيل السيارات والتردد على المكتبة .. كانت قراءتي الكثيرة قد غيرت معالم نفسي، ولم يعد شكلي ووضاعة مهنتي يعنيان أي شيء لي .. وطوال هذين العامين لم أحاول التعرف أو الاحتكاك بأي مخلوق، وفي الوقت نفسه لم يكن يأبه بي أحد من الناس.

كان من ضمن رواد المكتبة رجل يأتي أحيانًا في المساء، فيطلب مني غسل سيارته .. قدرت أنه في العقد الخامس من العمر .. كان يرتدي بدلة إفرنجية، ويضع نظارة طبية سميكة .. كان خجلي وحساسيتي وهدوء الرجل ووقاره تمنعني من الكلام معه أو محاولة التعرف إليه رغم ما كانت رؤيتي له تثيره فيّ من مشاعر وتساؤلات غامضة.

حدث في الأسابيع الأخيرة أن غير الرجل وقت مجيئه إلى المكتبة .. كان موعده الجديد بين الظهر والعصر .. كان هذا الوقت بالذات هو وقت جلوسي في قاعة المطالعة .. رآني الرجل أول مرة منكبًا على القراءة فرماني بنظرة سريعة حائرة كنت حينها أقرأ في المجلد الثاني من كتاب (...)، في المرة الثانية جاء إلى المكتبة ولمحني أقرأ في المجلد الرابع من الكتاب نفسه .. نظر إليّ نظرة متأنية .. قرأت الحيرة والاستغراب في وجهه وعينيه، وسيطرت عليّ تساؤلات وهواجس شتى !!.

في المرة الثالثة كنت منكبًا على القراءة وعلى تدوين بعض الجمل والأفكار في ورقة اعتدت حملها في جيب بنطالي المهلهل .. رفعت رأسي فجأة فإذا الرجل يقف خلف كتفي اليمنى عاقدًا ذراعيه تحت صدره ومبحلقًا في ما أقرؤه وأكتبه .. أربكتني المفاجأة .. رحبت به بتلعثم .. ربت كتفي بيمناه واستأذنني بالجلوس.

كانت لطافته معي قد أزالت ارتباكي .. شرع الرجل في الحديث معي عن الكتاب الذي بين يدي وعن سر تدويني لبعض الجمل والأفكار .. كان يظن أنني طالب جامعي فقير، ولما أخبرته أنني لست طالبًا قال لي : إذًا أنت موظف شريف تريد مضاعفة دخلك من عمل غسيل السيارات، وعلى ذكر كلمة موظف تنهدت بعمق وأخبرته أن

ليس لي عمل آخر غير غسيل السيارات .. وقلت له إنني أفكر في الاشتغال - أيضًا - بمسح الأحذية إضافة إلى عملي هذا .. حملق الرجل فيّ ثم عاد ينبش ويسألني أسئلة كثيرة متشعبة. حدثته عن أسرتي وعن دراستي وعن فقري، وحدثته أيضًا عن حلمي الذي مات !!.

قطع الرجل حديثي فسألني: وهل مات حلمك فعلاً؟

- بلا أدنى شك !!.

- كيف مات؟؟!.

- مثل أحلام كثيرة ماتت !.

- لكن حلمك بسيط وغير مستحيل.

- لكن الواقع صعب إلى درجة موت أبسط الأحلام غير مستحيل!

ابتسم الرجل ونظر إلى ساعته ونهض، وقبل أن يتركني طلب مني أن أقابله في الغد صباحًا .. قلت له أين؟ قال في مقر عملي (...)، يا الله! شهقت وقلت: إذًا أنت أنت ... لم يتركني أكمل فقال - بتواضع غير مصطنع- : نعم! أنا المدير هناك .. قلت - بتلعثم أيضًا -: أقصد أنك أنت الأستاذ (...) ؟!! .. قال نعم وما الغريب في الأمر ؟؟ قلت: لا لا لا، شيء غريب يا سيدي، فالنجوم تتوهج وتضيء أكثر كلما اشتدت حلكة الظلام.

شكرني الرجل - بخجل واضح - على اطرائي له وودعني وانصرف.

في صباح اليوم التالي كنت جالسًا أمام الرجل في مكتبه .. أصرّ على أن نشرب القهوة أولاً .. وفي أثناء شربنا للقهوة؛ قال لي: إن لديهم في إدارة (٠٠٠) وظيفة كتابية بسيطة، وإنه واثق أنني أستطيع القيام بها.

لم يتركني أستوعب الفرحة حيث أخذني بيدي ليضعني وجهًا لوجه أمام حلمي الذي قلت: إنه مات ونسيته.

مر أسبوع قبل أن أستوعب الحقيقة حيث إنها شبيهة بالمعجزة .. ولولا أنني شيعت حلمي ودفنته وتأكدت من موته عدة مرات لقلت إن الذي أنا فيه - حينها - حلم فقط !!!.

وحينما استوعبت الحقيقة، وتأكدت من أن الذي أعيشه حقيقة وليس حلمًا؛ مارست هواية مضاعفة التلذذ والإحساس بالسعادة، وذلك عن طريق الاسترخاء - أحيانًا - على كرسي المكتب، وإطلاق العنان لذاكرتي كي تسترجع شريط صور بؤس السنوات العجاف وشقائها التي طويتها.

لم يدم هذا الحال طويلاً .. فقد فوجئنا ذات يوم في إدارة (...) باعتقال المدير ذلك الرجل (الإنسان) !! .. سرت إشاعات كثيرة عن سبب اعتقاله .. تأكدنا بعد ذلك أن تهمًا كثيرة وجهت إليه، ومن هذه التهم : (...)، ومنها: أن نظارته سميكة، وأن قلمه يستهلك أحبارًا كثيرة !!!.

جرت - بعد ذلك اليوم - وقائع كثيرة وأحداث غريبة على أثرها وجدت نفسي مجبرًا على ترك وظيفتي، ودفنت حلمي مرة أخرى .. لكنني قررت أن الغربة هي الحل.

قال (فرج سعيد) وها أنا ذا بينكم الآن.

الهوامش

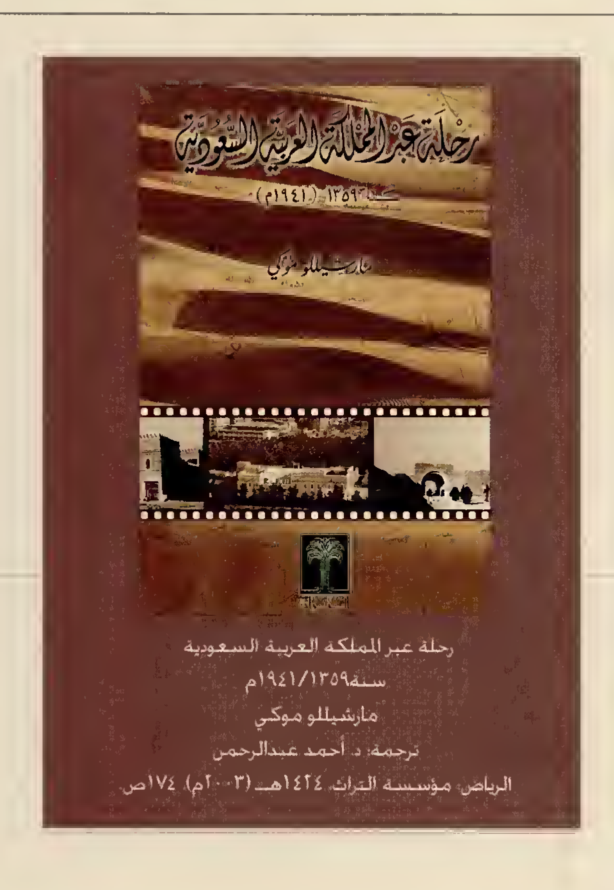
١. حياة مستعارة: أصل العبارة لغادة السمان.

٢. (رعوي): معروفة في اليمن، وتعني المستضعف اجتماعيًا.



رحلة عبر المملكة العربية السعودية

إبراهيم بن عبدالله السماري
الرياض - السعودية



رحلة عبر المملكه العربية السعودية
سنة١٣٥٩/١٩٤١م
مارشيللو موكي
ترجمة: د. أحمد عبدالرحمن
الرياض: مؤسسة التراث ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م) ١٧٤ص

الرحلات مصدر مهم من مصادر المعرفة عموماً، وهي كذلك مصدر مهم من المصادر التاريخية؛ لأنها تتضمن الإشارة إلى الأحداث والوقائع، والتعريف بالأمكنة والأشخاص، ووصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في زمن محدد هو زمن الرحلة التي تتحدث عن مكان ما أو حادثة ما، كما تتحدث عن طبيعة العلاقات والمعاملات التي تحكم سير المجتمعات البشرية في حقبة تاريخية معينة وهكذا. ومما يزيد أهمية مصدر الرحلات أن الرحلة تصاغ في الغالب بأسلوب أدبي مميز ولاسيما إذا كانت لدى المؤلف أو كاتب الرحلة ذائقة أدبية وبلاغية ثرية، كما أن الرحالة يحرص على الاتصال بالأشخاص العاديين الذين هم عادة يعبِّرون عن انطباعاتهم وانفعالاتهم بعفوية واسترسال لاتقيده قيود التحفظات بحكم أنهم يتحدثون في مجالسهم ومع أشخاص يشاركونهم في حياتهم. وتكتسب الرحلة أهمية خاصة ونكهة مميزة إذا كانت بعيدة العهد، وتصف ماضياً غابت رسومه أو تغيرت ملامحه بفعل تطورات الحياة أوعوامل النهضة نتيجة التغيرات الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، ولابد أن أنوه بأن غالبية الرحلات التي وصفت أو سجلت معلومات دقيقة وعلمية إلى حد ما عن جغرافية الجزيرة العربية وتاريخها وربما كانت هي المصادر المكتوبة الأولى في هذا المجال قام بها رحّالون أجانب أصبحوا أعلاماً مثل سادلير وبلجريف وشكسبير وليتشمان وفيسي وفيلبي وغيرهم كثير جداً.

ومن الرحلات المهمة إلى الجزيرة العربية رحلة مميزة قام بها الرحالة الإيطالي الدكتور مارشيللو موكي سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤١م) قام بترجمتها إلى الإنجليزية أنجيلوبيشيه وبيير جيوفاني دونيني، كما قام بترجمتها إلى العربية أحمد عبدالرحمن، وراجعها الدكتور عوض البادي، والأستاذ عبدالله المنيف، وقامت بنشرها مؤسسة التراث سنة ١٤٢٤هـ.

تحدث المؤلف في مستهل كتابه عن بداية الاستعانة بالسيارات في سبيل اكتشاف صحراء الجزيرة العربية، والقياس الدقيق لمسافاتها، وأسباب التأخر في الاستعانة

بها بدلاً من قوافل الجمال، كما أشار إلى بدايات شبكة الطرق في المملكة العربية السعودية. وقد استخدم المؤلف في رحلته سيارة من نوع (بوكس) مزودة بإطارات رملية عريضة مع قِرَب من جلود الماعز لحفظ برودة الماء في أثناء الرحلة.

قسَّم مارشيللو الحديث عن رحلته أربع عشرة مرحلة: فالمرحلة الأولى من رحلة موكي كانت من البصرة إلى الحفر، والثانية من الحفر إلى الصفاة، والثالثة من الصفاة إلى أم عقلة، والرابعة من أم عقلة إلى رماح، والخامسة من رماح إلى الرياض، والسادسة من الرياض إلى مرات، والسابعة من مرات إلى الدوادمي، والثامنة من الدوادمي إلى عفيف، والتاسعة من عفيف إلى الدفينة، والعاشرة من الدفينة إلى المويه، والحادية عشرة من المويه إلى عشيرة، والثانية عشرة من عشيرة إلى البركة - بركة العقيق بمنطقة الطائف -، والثالثة عشرة من البركة إلى مدركة، والرابعة عشرة من مدركة إلى جدة.

ويمكن تلمس منهجه في وصف رحلته بأنه يذكر مسار الرحلة في مختلف مراحلها والخرائط التي اعتمد عليها في كل مرحلة، وذكر أهم مظاهر الحياة النباتية في كل منطقة، ووصف الطرق من خلال الكتابات التاريخية السابقة، ومن خلال وصف الحالة الراهنة لها وقت الرحلة، والإسهاب نسبياً في الحديث عن المعالم الجغرافية التي يمر بها مبيناً وضعها التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وطبيعة المناخ والسطح، وخصائص المجتمع السكاني، وأهم عاداته، وبعض المظاهر العمرانية، ولاسيما التفصيلات ذات الخصوصية في كل منطقة، وكثيراً ما يطنب في الحديث عن الآبار بالوصف الشامل، والقياس الدقيق، والمسميات المحلية والتاريخية مع

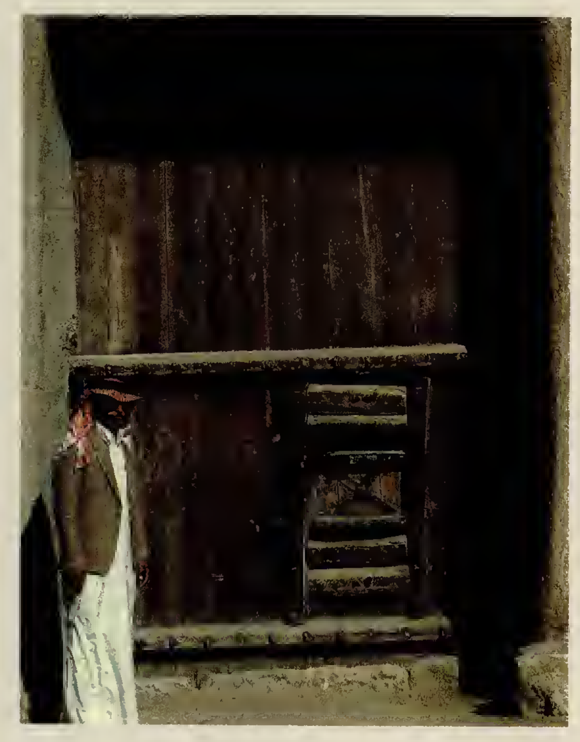


سيارة (بوكس) استخدمها المؤلف خلال رحلته من البصرة إلى جدة

غالبية الرحلات التي وصفت أو سجلت معلومات دقيقة وعلمية إلى حد ما عن جغرافية الجزيرة العربية وتاريخها قام بها رحالون أجانب أصبحوا أعلاماً مثل سادلير وبلجريف وشكسبير وليتشمان وفيسي وفيلبي وغيرهم كثير جدًا

الاستعانة بالصور الفوتغرافية التي أكثر منها، وإن لم تكن ملونة إلا أن أهميتها كانت واضحة في توثيق المعلومات التي يشير إليها في أثناء الرحلة.

ومما أعلى شأن الكتاب أنه يبرز فيه بشكل واضح شمول المعلومات لجوانب متنوعة تتطلب عادة دقة ملاحظة، كحديث المؤلف عن العملات المستخدمة آنذاك، وحديثه عن المولدات الكهربائية واستخدامات الكيروسين في الإضاءة والتدفئة في نجد، والاستعانة بالهاتف، كما أن الحقبة التاريخية التي تحدثت عنها هذه الرحلة كانت


بوابة المدخل الرئيس لحصن المصمك

عامرة بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مما أعطى لها أهمية بحثية وعلمية في مجال تاريخ الجزيرة العربية عموماً والمملكة العربية السعودية بخاصة، يتضح ذلك من خلال حديث المؤلف عن مدينة الرياض - ص ٦٦ ومابعدها - فقد تحدث عن الطبيعة الصحراوية التي تلفها بالغموض، وعن الشخصية الأسطورية للملك عبدالعزيز الذي نجح في أن يصنع في أقل من ثلاثين سنة مفاجأة جديدة هزت العالم عندما أوصل الجزيرة العربية إلى الأضواء، كما قام بتحليل أسباب إقبال الأوربيين على اكتشاف مدينة الرياض وتطورها السريع والشامل.

وقد استدرك المراجعان البادي والمنيف على المؤلف في خمسة عشر من المواضع التي تحتاج إلى مراجعة وبيان، فقد صححا أو أوضحا فيها بعض المعلومات التي أوردها المؤلف مجملة أو خاطئة. وفي نهاية الكتاب أُفْرِدَ ملحقٌ تحت عنوان (الرياض - صور لبعض جوانب المدينة التي رآها موكي) تضمن خمس عشرة صورة ملونة التقطها إنجيلوبيشيه لبعض الأمكنة في منطقة الرياض في بداية تطورها الحضاري، وتكمن أهميتها في أن غالبية السمات التي برزت في هذه الصور لم يعد لها وجود اليوم بعد التطور العمراني الذي كان نتاج النهضة الحديثة التي شهدتها هذه البلاد في العهد السعودي، فتغير كثير من المعالم الجغرافية والتراثية بسبب ذلك.

الكتاب مملوء بالمعلومات التاريخية والجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية عن المملكة في بداية التأسيس والدخول عبر بوابات التقدم الحضاري إلى آفاق اجتماعية واقتصادية وعمرانية أرحب

ملاحظات:

يُلحَظُ على الكتاب بعض الملحوظات ومن أهمها:

أولاً: في صفحة «١٥٧» إشارة إلى جبل أبي مخروق الذي قضى فيه الملك عبدالعزيز ورفقاؤه ليلتهم قبل هجومهم على حصن المصمك الذي غيَّر وجه التاريخ سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) والصواب أن ذلك - فتح الرياض - كان في سنة ١٣١٩هـ كما هو متفق عليه تاريخياً.

ثانياً: أن الكتاب مترجم من الإيطالية إلى الإنجليزية ثم ترجم من الإنجليزية إلى العربية، ومن المقرر علمياً أن الترجمة مهما كانت أمينة فإنها لن تبلغ الكمال؛ لأنها ليست أصلاً، فلتحقيق الدقة العلمية كان الأولى الترجمة من الأصل الإيطالي إلى العربية مباشرة وهو أمر ممكن بل متاح فضلاً عن أنه يحقق ثقة أكبر بالترجمة لقربها من النص الأصلي.

ثالثاً: فهرسة مكتبة الملك فهد في أثناء النشر وضعت قبل صفحة العنوان الداخلية خلافاً لأدبيات النشر المتعارف عليها، كما يتضح منها أن تاريخ الإيداع كان سنة ١٤٢٢هـ في حين أن النشر تمَّ سنة ١٤٢٤هـ، والمعلوم أن مدة سريان شهادة الإيداع عدة أشهر ولايمكن أن تصل إلى سنتين، وقد يتسبب هذا الإشكال في التداخل المعلوماتي مع كتاب طبع ونشر بالرقم ذاته سنة ١٤٢٤هـ لمن لم يدقق في تاريخ الإيداع.

رابعاً: سجل في الغلاف الخارجي للكتاب أن تاريخ الرحلة كان سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤١م)، بينما ذكر أنجيلوبيشيه في مقدمة الترجمة الإنجليزية - ص ١٠ من طبعة التراث العربية - أن مارشيللو قام برحلته إلى المملكة العربية السعودية في سنة ١٣٦١هـ (يونيو١٩٤٢م) ونفذ المهمة في سنة ١٣٦٠هـ (فبراير- مارس ١٩٤١م) فكيف يمكن دفع هذا التناقض ولماذا لم يبين سرُّه إن كان له سرّ؟

خامساً: لم يشتمل الكتاب على كلمة للناشر تبين منهجه في النشر وأهمية الكتاب ومنهج المؤلف وما تضمنه من حقائق وتحليلات جديدة كما هو المعهود من دور النشر، وكما هي عادة مؤسسة التراث في كثير من إصداراتها.

سادساً: أنه مع غزارة معلومات الكتاب ولاسيما ما يتعلق بإيراد أسماء الأمكنة وموارد المياه والأودية والجبال وأسماء الأعلام وبعض الحرف والمهن وغير ذلك فإنه لم يُصنَع له فهارس منوعة في نهايته تبرز هذه الغزارة المتميزة في مادته ومن ثمَّ الحاجة الماسة إلى وجود فهارس لها أثرها في خدمة النص وفي تسهيل انتفاع الباحثين منه.

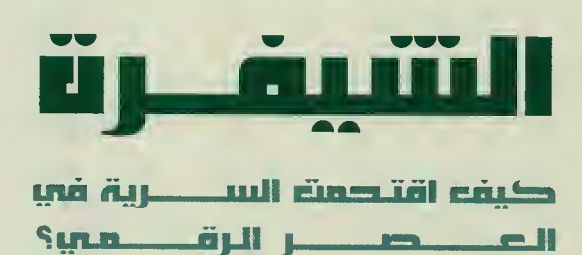
إلا أن تلك الملحوظات لاتُنقص أهمية الجهد المبذول نشراً وترجمة وتعليقاً، فكتاب (رحلة عبر المملكة العربية السعودية) لمؤلفه مارشيللو موكي بترجمة أحمد عبدالرحمن الصادر عن مؤسسة التراث بمراجعة الدكتور البادي والأستاذ المنيف مملوء بالمعلومات التاريخية والجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية عن المملكة العربية السعودية في بداية التأسيس والدخول عبر بوابات التقدم الحضاري إلى آفاق اجتماعية واقتصادية وعمرانية أرحب، وهو لهذا يكتسب أهمية علمية لاتنكر.

الحقبة التاريخية التي تحدثت عنها هذه الرحلة كانت عامرة بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مما أعطى لها أهمية بحثية وعلمية في مجال تاريخ الجزيرة العربية عموماً والمملكة العربية السعودية بخاصة



حصن المصمك بالرياض كما يبدو من مبنى مجاور قبل القيام بترميمه في الثمانينيات

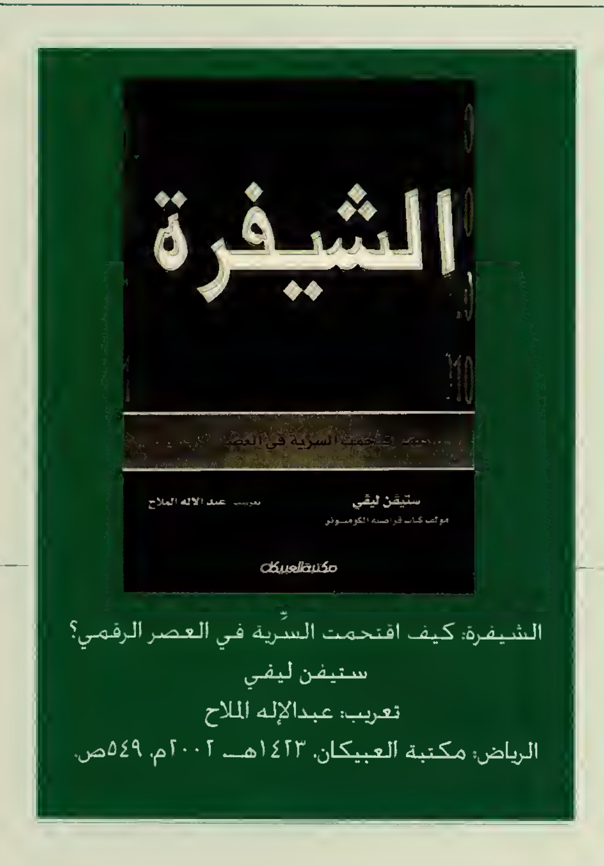




الشيفرة

كيف اقتحمت السرية في العصر الرقمي؟

وليد نذير عتمة
الرياض - السعودية



الشيفرة: كيف اقتحمت السِّرية في العصر الرقمي؟
ستيفن ليفي
تعريب: عبدالإله الملاح
الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م، ٥٤٩ص.

مع ظهور البرق والهاتف والمذياع وأخيرًا الحاسب الآلي أصبح كل من على الكرة الأرضية على مسمع بعضهم من بعض، وخصوصًا عندما يلتقط أحدنا محادثة من الهاتف الخلوي أو ترسل أو تستقبل معلومات مهمة أو مشروعات عملية أو حتى أموال بواسطة الحاسوب، دون تكلف ونحن معزولون في غرفنا ومكاتبنا، ولكن قد يكون هناك متنصت قادر على الإحاطة بما يدور بين بعضنا وبعض، وكأننا نذيع أخبارًا على الملأ لذلك كان وجود الكريبتوجرافيا؛ أي استخدام الرموز السرية والشيفرة لتعمية المعلومات، بحيث لا تفيد سوى المتلقي المعني بالرسالة، وحصرها على المقصودين من الاستفادة منها. غير أن الأسوأ في تناول الموضوعات الأساسية في الكريبتوجرافيا محاولة ابتكار رموز جديدة أو تفكيك القديمة للبحث في فتح الأبواب الموصدة أو قطع الاتصالات الهاتفية فجأة. ولما كانت السرية هي الجوهر والمبتغى من الكريبتوجرافيا، وما يترتب عليه من كشف للأسرار، مما قد يلحق ببعض الناس ضررًا مأساويًا، فالذي يلم بأسلوب التشفير قادر على ابتكار رموزه الخاصة للكشف عن معلومات معينة، كما يستطيع أن يستبعدها، حالما يتوصل إلى هذه المعرفة، ولكن هناك جهات غير حكومية تفيد من الكريبتوجرافيا وتحتاج إلى هذا العلم لحماية مراسلاتها واتصالاتها وبياناتها الشخصية من تطفل المتطفلين، فالحرية الخاصة حق لكل إنسان، ومن حرية الناس استخدام الأجهزة الراقية المعقدة التي تتيح لهم تبادل الكلام مع زملائهم وزبائنهم بالقدر ذاته من الأمان الذي توفره المقابلة الشخصية والأحاديث خلف الأبواب المغلقة.

تعدّ الكريبتوجرافيا وسيلة تآمرية، حيث يتواطأ مستخدمو هذه اللغة على شيء بينهم للحفاظ على أسرارهم في عالم حافل بعيون المتطفلين. ويتجلى ذلك بأن يعمل المرسل على تحويل رسالة خاصة إلى وضع آخر، بحيث تصبح ضربًا من اللغة الغامضة وهذا ما نسميه: التشفير (Encryption). فإذا تحولت الرسالة إلى ما يشبه الهذيان، انتهى من يود التنصت إلى عدم النجاح والإخفاق في مسعاه، وليس هناك من يستطيع أن يعيد الرسالة إلى حالها الأول من الانسجام إلا الذين يملكون قواعد تحويل الرموز إلى كلام مفهوم أي فك (التشفير).

أما الذين لا يملكون هذه المعرفة ويحاولون فك شيفرة

الرسائل دون المفاتيح السرية، فإنهم يعتمدون على تحليل الشيفرة (Cryptanalysis).

إن الشيفرة البديلة هي ابتكار النص المشفر (Ciphertext)، الرسالة المعماة عن طريق استبدال حروف الرسالة الأصليّة، أو النص الواضح (Plaintext) بحروف أخرى وفق خطة متفق عليها مسبقًا. ويعتمد هذا النظام في كتابة الشيفرة على نقل كل حرف في النص الأصلي إلى الأمام بالحرف الثالث الذي يليه من حروف الهجاء (مثل أن يستبدل بالحرف A الحرف D وبالحرف B الحرف E وهكذا)، وهناك أيضًا أسلوب أشد تعقيدًا يكلف محلل الشيفرة بعض الجهد، ويقوم على استبدال نظير له بحرف في قائمة حروف هجاء أخرى موجودة لدى المتلقي، ومنسقة بطريقة عشوائية خاصة.

وقد طرح هذا الكتاب مجموعة من أنظمة الكريبتوجرافيا الكلاسيكية، وعددًا من تعديلات التطوير التي أجريت عليها. وهذه بدورها أكثر تعقيدًا من الشيفرات التي سبقتها. وكان أشهرها النظام ذا الأبجدية المتعددة، (Polyalphadetic) الذي وضع أول مرة في الأقبية السرية تحت أرض الفاتيكان ثم أعلنه القس الألماني يدهانس تريثيميوس في أوائل القرن السادس عشر، وقد عرض هذا القس في كتابه المسمى «بوليجرافيا» Polygraphia الذي نشر عام ١٥١٨م. بعد سنتين من وفاة مؤلفه طريقة استخدام الجداول التي يختص فيها كل حرف هجائي بسطر بعد تغيير موقعه في التسلسل الألفبائي. فإذا أردت أن ترمز Encode رسالتك، فعليك وفق هذا النظام أن تحول الحرف الأول منها إلى ما يقابله في السطر الأول من الجدول، وتتكرر العملية مع الحرف الثاني بما يقابله في السطر الثاني، وهكذا دواليك.

القلعة الحصينة

وفي عصر المعلوماتية، فإن القلعة الحصينة المأمونة للمعلومات تكمن في البرمجيات Software لا في العتاد Hardware: فهي خزائن حقيقية لحماية البيانات الثمينة. وذلك أن المعلومات تمثل كنز العصر الحديث، وهي تعادل قيمة القطع النقدية والحليّ الذهبية في الحقب الماضية.

وكان الحقل المنوط به هذه المسؤولية هو أمن الحاسوب. وأن أنظمة الكتابة السرية الحديثة تعتمد على الآلات، سواء كانت أدوات كهروميكانيكية، مثل آلات شيفرة إنجيما Engima التي استخدمها الألمان في الحرب العالمية الثانية، أو منظومة موجهة بالحاسوب كما في عصرنا الحاضر، إذ تقوم هذه الآلات بتمويه الرسائل والوثائق بواسطة طريقة خاصة تسمح بتغيير الرسالة حرفًا بحرف (تعتمد على مجموعة من المعادلات الرياضية المعقدة، الخوارزميات Algorithms). ولا يستطيع حل هذه الرسالة إلا من لديه آلة مماثلة أو برنامج حاسوب يتمكن من عكس العملية، وتحويل النص المشفر إلى نص واضح، وذلك باستخدام المفتاح العددي الخاص الذي استخدم في تشفير النص أصلاً.

لقد أنشئت وكالة الأمن القومي الأمريكية بقرار بالغ السرية في خريف عام ١٩٥٢م، ووضع لها ميزانية تقدر بعدة مليارات من الدولارات، وكانت ذات مهمة كريبتوجرافية مزدوجة، هي الحيلولة دون تسرب المعلومات الحكومية، وجمع المعلومات عن الدول الأجنبية. وقد أدت بطبيعتها المزدوجة إلى تنظيم نفسها في قسمين رئيسين: أمن الاتصالات Communication Security، ويعرف اختصارًا بـ كومسيك Comsec، ومهمته وضع شيفرات غير قابلة للتفكيك، وقسم رصد الاتصالات Communication Intemi-gence أو اختصارًا كومنت Comint الذي يتولى جمع المعلومات من جميع أنحاء العالم، وتفكيكها وتحليلها، (ولما كانت هذه العملية تشتمل في الغالب على اعتراض المعلومات المبثوثة إلكترونيًا وترجمتها، فيشار إليها عمومًا باسم مخابرات الإشارة Signals Intelligence أو Sigint (سيجينت). ولقد أقامت وكالة الأمن القومي على امتداد السنين شبكة واسعة من أجهزة التنصت وأدوات الرصد لجمع الإشارات السلكية واللاسلكية، وامتدت هذه الشبكة حتى أقاصي الكرة الأرضية، وبلغت مع بداية عصر الأقمار الصناعية في الستينيات عالم الكواكب، ولما كانت المعلومات المهمة المتصلة بالكتابة السرية محظورًا الاطلاع عليها، فليس بوسع الغرباء عن الوكالة إلا تخمين ما يجري داخلها، فقد كانت تقوم بأشد عمليات الاستطلاع والتجسس تعقيدًا في العالم، حتى أصبح الاعتقاد أنه ما

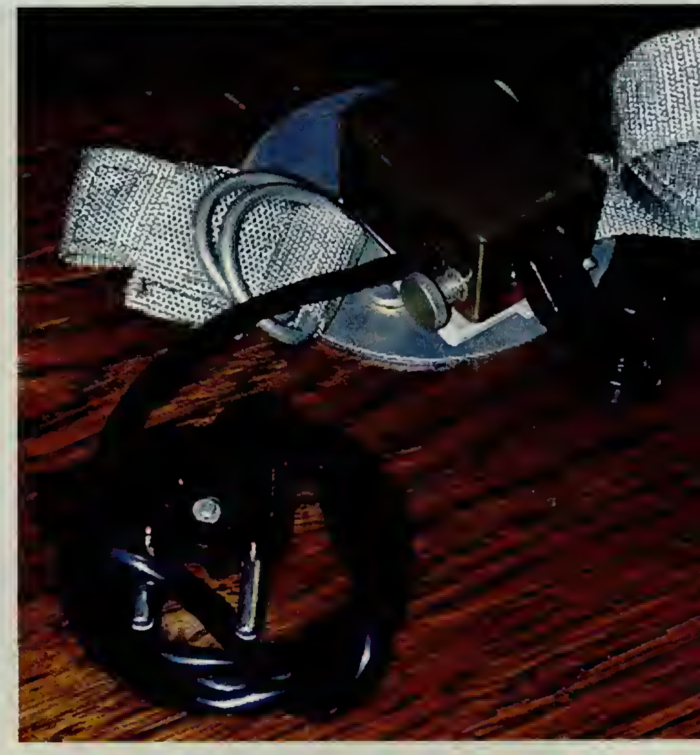
من مكالمة هاتفية أو نشرة أخبارية أو برقية ترسل في بلد أجنبي بمأمن من أجهزة الرصد التي تديرها الوكالة، وكأنها مكنسة كهربائية على مستوى الكرة الأرضية، تلتقط الإشارات التي يصار إلى تحليل محتوياتها باستخدام حواسيب إم أي بي إس (M I P S) التي لها القدرة على التعامل مع مليون أمر في الثانية، والمتعددة المستويات التي تقوم بتمشيط النص بحثًا عن أي أمر ذي قيمة. وقد تأكدت هذه الشكوك فيما بعد مع تسرب المعلومات عن مشروع النسق (project Echelon)، ذلك البرنامج الطموح الذي وضعته الوكالة لرصد الاتصالات الخارجية. لكن هل كانت نتائج هذا المشروع تتناسب مع مليارات الدولارات التي صرفت عليه، والأخلاقيات المشكوك فيها لتلك الجهود ذاتها.

لم تكن أي بي إم (I B M) الشركة الوحيدة التي أدركت الحاجة الماسة إلى الحماية الكريبتوجرافية في عصر الحاسب الآلي؛ فقد كان يشاركها هذه النظرة المكتب القومي للمعايير (الوكالة الحكومية التي تتولى وضع المعايير الصناعية التجارية). فقد رأى العلماء هناك ضرورة تركيز الحماية الرقمية في نظام واحد أحسن اختياره في تشفير المعلومات، ويمكن لكل الناس استخدامه. فكان ثمة نظام تشفير واحد قيد التطوير بدأ ملبيًا لكثير من احتياجات الحكومة، إنه لوسفردي إس دي ـ١، الذي يمتلك المقدمات اللازمة لمعيار التشفير اللازم للجيل القادم. وكان شعور الشركة أنه بمجرد تسليم صيغتها للمكتبة القومية للمعايير سيكون ذلك كافيًا لتتويج دي إس دي ـ١ معيارًا ومثلاً يحتذى بهما، وقدر للوسيفر المعدل أن يعرف باسم ينم على أصله معيار تشفير البيانات Data Encryption Standard. وغدا هذا الاسم معروفًا عند الراسخين في علم الأرقام، واشتهر باللفظ المختصر: ديزD EZ. وكانت متطلبات وكالة الأمن القومي سرية بالغة الشدة بما يخص تحليل معيار تشفير البيانات ديز. ولكن الأمر الأكثر جدلاً هو طول مفتاح معيار تشفير البيانات لوسيفر، الذي كان محدودًا بـ ١٢٨ بتا (خانة ثنائية)، وما كانت وكالة الأمن القومي ترغب لمعيار التشفير القومي، وإن اقتصر استعماله على المؤسسات المالية والشركات الضخمة، أن يبقي المعلومات مقفلاً عليها، لذلك شقت الخوارزمية طريقها، وطرحت معيارًا قوميًا محتملاً، واختصار طول المفتاح إلى النصف، ثم زادوا في اختصاره حتى غدا هزيلاً نسبيًا لا يزيد على ٥٦ بتًا. ولمعرفة تأثير اختصار المفتاح بهذا الشكل لابد من تذكر طبيعة الحسابات الرقمية. إن كل بت (خانة ثنائية) في المفتاح الثنائي شبيه بشوكة على الطريق، ولا بد لمفكك الشيفرة من التعامل معها ليبلغ التركيبة الصحيحة من الوحدات والأصفار. وكل شوكة تمثل اختيارًا عشوائيًا بين الدورة الصحيحة والدورة الخاطئة، والمفتاح الذي يتألف من ١٢٨بتًا، يعني أن عليك تقرير الطريقة الصحيحة لتحريك القفل ١٢٨ مرة في كل صف. ولمضاعفة صعوبة العملية، يكفي أن تضيف شوكة أخرى، وتكون بذلك قد ضاعفت عدد الطرائق المحتملة، مع أن إحداها فقط هي الطريقة الصحيحة. وبالمقابل فاختصار الصعوبة إلى النصف، لا يعني أن تقسم عدد الشوكات إلى النصف، بل يكفي أن تزيل شوكة واحدة فقط، فالانتقال من مفتاح يتألف من ١٢٨بتًا إلى آخر يتألف من ١٢٧ بتًا، يعني اختصار عنصر العمل اللازم في حل الشيفرة إلى النصف، فإذا انتزعت منه بت أخرى، فأصبح حجم المفتاح ١٢٦ بتًا، تكون قد قسمته أيضًا إلى النصف، وهكذا دواليك.

وإذا كان حجم المفتاح دون الطول المطلوب، فبوسع من يرغب، تصميم أجهزة لتشغيل معيار تشفير البيانات بضعف سرعته وذلك بوساطة مفتاحين مختلفين ومع أن هذه العملية صعبة التنفيذ، إلا أنها سوف تؤدي إلى زيادة حجم المفتاح حتى يبلغ ١١٢بتًا، وهذا ما يكفي لإرباك كل حاسب آلي لعين على سطح الكرة الأرضية طوال القرون القادمة، ثم ظهرت بعد ذلك عملية عرفت باسم «معيار تشفير البيانات الثلاثي» يستخدم فيها ثلاثة مفاتيح، ويتغلب على أشد الهجمات تعقيدًا وقوة.

التحليل التفاضلي

وفي عام ١٩٩٠م كشف محللو الشيفرات عن أسلوب تحليل الشيفرة التفاضلي وأثبتوا أن بوسع المرء، في ظروف معينة «وهي نادرة»، معرفة مفتاح معيار التشفير، بقدر أقل من الحساب مما يقتضيه الهجوم بالقوة الغاشمة لكن هذا



ينبغي أن يكون كل شيء محميًا في عالم الاتصالات المتطورة جدًا

«الهجوم الآتي» اكتشفته شركة أي بي أم (I B M) في أثناء عملية التطوير التي قامت بها لتقوية الخوارزمية وتدعيمها مقابل هذا الهجوم. وقد ظلت الشركة تبقي الأمر سرًا امتثالاً لطلب وكالة الأمن القومي. وجاء تطوير معيار التشفير إيذانًا ببداية عهد جديد لوسائل أقل تكلفة وأكثر فعالية في استخدام الحاسب الآلي للحفاظ على خصوصية المعلومات الشخصية. ولم يقتصر استخدامه على الشركات المالية والمصارف وحسب، وإنما امتد ليشمل جميع الاتصالات التجارية، وكذلك الاتصالات الخاصة أيضًا. ومع احتفاظ وكالة الأمن القومي بالسيطرة على تصديره، فإنه سرعان ما انتشر في حدود الولايات المتحدة دون عائق أو قيد. ولئن ظل المصنعون يخضعون لقيود التصدير، لقد وجدت الخوارزمية ذاتها طريقها لتتسرب إلى الخارج، مما أتاح للمطورين الأجانب أن يخرجوا بنسخهم الخاصة عنها. ولربما سر بعضهم لحلول هذا العهد الجديد من الحماية وهي تدور في أنحاء الكرة الأرضية. لكن هذا الأمر أثار نوبة ذعر للعاملين في مجال الاستخبارات الذين مهمتهم اعتراض المعلومات الدسمة والمتداولة حول العالم بشكل نبضات إلكترونية، حتى لا تقبل القراءة بسهولة. ويسأل بعضهم هل من الممكن استخدام الريبتوجرافيا لحماية شبكة مترامية الأطراف من عدوان المتنصتين والراصدين في عالم مملوء بالناس غير الجديرين بالثقة. يعتقد العلماء استحالة تحقيق مثل هذه الخطوة الضخمة. فكيف يمكن ابتكار نظام يتيح لأناس لم يسبق لهم الالتقاء بعضهم بعضًا أن يتحدثوا بحرية واطمئنان؟ وأين يمكن إجراء الأحاديث كلها بكفاءة التقنية المتقدمة على أن تكون محاطة بحماية الكريبتوجرافيا؟وكيف تحصل على رسالة مبثوثة إلكترونيًا من شخص ما، وتكون على ثقة بأنها وردت من المرسل الذي تحمل الرسالة عنوانه. لقد حاول بعض العلماء في أثناء بحثهم لجمع المعلومات اللازمة في مناخ يكاد يكون كله سريًا، وتوصلوا إلى الدوال (التوابع) الوحيدة الاتجاه. الحماية باستخدام كلمة السر، التحقق من الصديق أو العدو، الأبواب السرية. وأن التوفيق بين الحمايات المختلفة التي توفرها هذه الأنظمة أمر لا محيص عنه لبحثه. ولا بد من إدراك الإفادة من التقنيات في التحقق من هوية الطرف الآخر. فكانت الوسيلة لتنفيذ المشروع عبر التوابع الوحيدة الاتجاه تلك الظاهرة الرياضية، حيث لا يمكن عكس أمر بالقدر ذاته من السهولة الذي جرى حسابه به. ولقد أدّى طرح هذا الموضوع إلى البحث في التجارة الإلكترونية، ولكن ما نصيب الخصوصية والسرية منها؟ وهل يمكن أن تنجح فكرة الباب السري ذي الدالة (التابع) الوحيدة الاتجاه في نظام يحمل معضلتين: أولاً التحقق اللازم من كلمات السر المستخدمة في الحاسب الآلي وسواها من أدوات التحقق والتثبت، وثانيًا سرية الاتصالات؟.

التوقيع الرقمي

إن استخدام المرء مفتاحه السري في رسالة ما، يعادل توقيعه (توقيع رقمي Digital Signature)، فالأمل ضئيل أن ينتحل أحد التوقيع أو يقوم بتوقيع مزوّر دون المفتاح



الكريبتوجرافيا لاتنتمي إلى تقنية الأسلحة بل هي تقنية يمكن أن تصبح جزًا من حياتنا اليومية

السري، وليس للمزوّر أمل برصد خط هاتف شخص ما، والانتظار حتى يظهر التوقيع الرقمي، فيلتقطه بغرض استخدامه في تزوير الوثائق أو اعتراض الرسائل مستقبلاً. ذلك أن التوقيع الرقمي لا يلحق عمليًا بالوثيقة أو الرسالة، بل يتداخل بصورة وثيقة مع الأرقام التي تشكل محتوى المادة المرسلة كلها. فإذا ما تم اعتراض الرسالة، فإن المتنصت لن يتمكن أن يستخلص منها الأدوات اللازمة ليضع توقيع المرسل على وثيقة أخرى، ويكفل هذا الأسلوب صحة الوثيقة بأكملها، فليس هناك أي أمل للعدو بتغيير ولو جزءًا صغيرًا من الرسالة الموقعة رقميًا، إلا إذا كانت الرسالة الموقعة رقميًا بمفتاح خاص دون تشفير، عند ذلك بوسع ذي القصد المريب أن يعترضها ويستخدم المفتاح العام للمرسل الموزع على نطاق واسع لتفكيك الرسالة، ومن ثم إحداث التغيير في النص غير المشفر، ولكن ماذا بعد هذا؟ فإن المزوّر سوف يحتاج لكي يعيد إرسال الرسالة من جديد إلى المفتاح الخاص لمهر الوثيقة بكاملها بالتوقيع. ولن يكون المفتاح متيسرًا له؛ لأنه يبقى دائمًا في حوزة المرسل الأصلي. وللتوقيع الرقمي ميزة أخرى تتجلى في استحالة إنكار صاحبه لدوره في توجيه الرسالة، إذ لا يمكن لشخص آخر أن يأتي بمثلها (الموقعة رقميًا) وهو ذاته الذي يحمل المفتاح الخاص الذي قام بعملية التشفير. وهذه الميزة الملزمة بقبول نص الرسالة تعادل خاتم كاتب

العدل، وبذلك يصبح أول مرة إجراء جميع المعاملات الرسمية من عقود وإيصالات وما شابه ذلك عن طريق الحاسب الآلي دون حاجة إلى مثول صاحب العلاقة شخصيًا للتنفيذ. وأن هذه الطريقة التي تكفل السرية والخصوصية في عصر شاعت فيه الاتصالات الرقمية، قد فتحت الطريق إلى قيام شكل جديد كليًا من التجارة، إنها التجارة الإلكترونية التي لديها القدرة على أن تضارع بل تتفوق على الوثائق المعتمدة في التجارة حاليًا، والأدعى للإعجاب أن إنجازه يتم بعيدًا عن رقابة الوكالات الحكومية التي تمتلك أصغر التفاصيل لأكثر أنظمة الكريبتوجرافيا غموضًا.



ضرورة تركيز الحماية الرقمية في نظام واحد

المفتاح الخاص

إن قدرًا من رياضيات مفتاح فك الشيفرة يؤدي وظيفة المفتاح الخاص؛ وذلك بمعادلة تتصل ببقايا الأعداد المتحققة بعد قسمة الأعداد التامة. ولكن هذه الفكرة التي كانت أهميتها محصورة بالرياضيات النظرية فحسب، غدت موضع تطبيق بعد مئتي سنة منذ أن طلع بها أصحابها في آليات الشيفرة في عالم الواقع. وأصبح بوسع المستخدم أن يذيع على العلن مفتاحه العام؛ لأن العنصر الأساسي فيه نتاج العددين الأولين فقط. وإذا أراد راصد ما تفكيك رسالة اعترضها وكانت مشفرة بمفتاح عام، فسوف يجد المعلومات أمامه غير ذات جدوى. وإذا أراد إيجاد مفتاح لفك الشيفرة فلابد له أن يجد الأعداد الأولية الآلية. ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ إن ذلك لا يتحقق إلا بتحليل العوامل، وهذا ما عجز عنه حتى جاوس العظيم. وكانت هذه روعة الدالة الوحيدة الاتجاه: سهلة إن كنت تسير في الاتجاه الصحيح، ممتنعة أو صعبة، إن أتيتها من الطرف الخطأ. وإذا ما استخدم المرء في هذا النظام أعدادًا أولية كبيرة، فإن تحليل عوامل ذلك الناتج يقتضي الانقطاع للعمل مع حواسيب ضخمة لفترات طويلة جداً، والخطة تظل منعتها مكفولة ما دام تحليل العوامل المكونة فيها عصيًا. ولكن هذه الخطة لم تكن مقصورة على التشفير فقط. فإذا استخدمت مفتاح فك الشيفرة (الخاص) لتعمية رقم، فإن الناتج المشوش ذاك يمكن توضيحه، وذلك باستخدام مفتاح التشفير وناتج الأعداد الأولية، والمفتاح العام. ولما كان صاحب المفتاح الخاص المحفوظ في حرز أمين قادرًا على تنفيذ فك الشيفرة، فإن هذه العملية كفيلة بتأكيد مصدر الرسالة على وجه الدقة.

إذا ما كان خيالاً يبدو الآن حقيقة واقعة: صيغة ثابتة لبصمات رقمية، وهي المساعد على نشوء أنواع جديدة من التبادلات التجارية، ووسيلة لإرساء الثقة على شبكة إلكترونية. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل ثمة إمكانية لتحويل الشيفرة إلى سلعة تجارية؟ فلئن كان استخدام الحاسب الشخصي، ثم شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) لاحقًا، بحاجة إلى طريقة لحماية المعلومات والتثبت من مرسلها، إن الطريق لبلوغها كان في أفضل الأحوال غير معبد. والواقع أنه لم يكن في مطلع الثمانينيات ما يشجع على الاعتقاد بأن هذه التقنية ستأتي بربح كبير، على الرغم من التوقعات المتفائلة التي حملتها أبحاث بعض العلماء حول فائدة الشيفرة. فمن يغامر برأسمال لتمويل إنتاج المكونات اللازمة لها؟ وكيف يمكن تركيب هذه المكونات لتشكل منظومات، بحيث يطمئن المرء بأن الرسالة المشفرة يمكن تفكيكها فعلاً، أو أن متلقي التوقيع الرقمي سوف يكون لديه العدة اللازمة للتثبت من صحته؟ الحقيقة أنه لم يكن هناك من يدري هل كان الزبائن الفعليون على



القلعة الحصينة المأمونة للمعلومات تكمن في البرمجيات لا في العتاد

استعداد لاحتمال المصاعب التي تنجم عن معالجة الحاسب الآلي لأرقام ضخمة في عمليات التشفير والتثبت من صحة الرسائل والتوقيع أم لا. والواقع أنه لم يكن هناك من يعلم هل ثمة ما يكفي من الزبائن المستعدين لدفع التكاليف المترتبة على هذه العمليات.

وفي تلك الأثناء ثابر الباحثون على اجتذاب اهتمام أحد أباطرة التجارة والأعمال للاستثمار في عالم كتابة الشيفرة. وكعباقرة في الرياضيات لادراية لهم بالاستثمارات، إذ كانوا في المفاوضات والمساومات تحت رحمة أي رجل أعمال ترمي به المقادير أمامهم، ولكن أيضًا قد يصادفون أحيانًا شخصًا له معرفة بالمصلحة، ومن أصحاب الرؤى، أكثر منه باحثًا عن الصفقات المربحة. وعلى الرغم من محاولة بعض الباحثين الذين شاركوا في اختراع المفتاح العام دخول عالم التجارة عن طريق بيع حلول للشيفرة. ولكن هذا المشروع لم ينجح، وربما كان السبب تبديد كثير من الطاقات مع جماعة مناهضة للحرب النووية، التي تعرف بجماعة ما بعد الحرب. فلا يمكن مقارنة أهمية كتابة الشيفرة بالخطر الذي يتهدد

بقاء الإنسان على الأرض، وهكذا كان الالتفات حول العمل في قضية بقاء الجنس البشري، مع أن الشركات التي نهضت بمشروع الشيفرة واستغلال فكرة حماية المعلومات تجاريًا بدأت تشق طريقها إلى النجاح.

إن مجرد ذكر معيار تشفير البيانات كان سببًا لانزعاج جماعة وكالة الأمن القومي، فقال أحدهم: «ها إني أخبركم الآن بأنكم لن تتمكنوا من تصدير معيار تشفير البيانات في أي ظرف من الظروف، إنكم لن تستطيعوا تصدير المعيار أبدًا». إن هذا القول غريب، ألم تصادق وكالة الأمن القومي ذاتها على معيار تشفير البيانات؟ فلم المنع بهذه الصراحة إذًا؟ يشرح موظف الوكالة موضوع وضع معيار تشفير البيانات، بأنه ليس مجرد نظام للتشفير، وإنما هو في الحقيقة قضية سياسية ملتهبة ولها مضامين وأبعاد يصعب على مهندس في القطاع الخاص استيعابها ولا حاجة له إلى ذلك. كما اتضح ندم وكالة الأمن القومي على موافقتها على معيار تشفير البيانات، وقامت الوكالة في واقع الحال على مشروع خاص أطلق عليه اسم برنامج «دعم أمن الاتصالات التجارية» الذي يؤمل منه القضاء على الشيفرة المستندة إلى لوسيفر، و يحل محله نظام للشيفرة خاص به، ويطلق عليه أيضًا اسم «مشروع الغالب» والسبب المسوّغ لذلك حسب رؤية الوكالة أن شيوع معيار تشفير البيانات قد يحفز منظمة استخبارات معادية إلى شن هجوم واسع النطاق يمكنها من تفكيك الشيفرة. والمفارقة هنا أن الوكالة ذاتها هي التي أجازت الحجم الأصغر لمفتاح الشيفرة فجعلتها بذلك عرضة لمثل هذا الهجوم، وإذا ما استخدمت أنظمة للمفتاح العام على نطاق تجاري واسع مثل برنامج «توتس» معيار تشفير البيانات، فإن المشكلة ستزداد سوءًا. لهذا كان الحل أن تخرج الوكالة بشيفرتها الخاصة التي تسيطر عليها سيطرة تامة. ولكن مع ذلك كان «مشروع الغالب» محكومًا عليه بعدم النجاح منذ البداية لعدة أسباب منها أن التقنية المستخدمة باهظة التكاليف ومعقدة، وأنه لم يكن يسمح للمصارف وسواها من المؤسسات المالية التي تساهم في هذا المشروع أي قدر من السيطرة على النظام المستخدم، وأن المفاتيح ذاتها كان توليدها وتوزيعها حكرًا على وكالة الأمن القومي وحدها.

وقد أعلن مدير الوكالة في مذكرة سرية عن هذا الوضع، إذا قال: إن لدى وكالة الأمن القومي تحفظات فيما يتصل بإجراء أي نقاش علني عن الكريبتوجرافيا. إن الأمر يزداد صعوبة في إقناع الناس بأن السيطرة على الكريبتوجرافيا أمر منطقي؛ إذ أخذ يتضح للجميع أن الكريبتوجرافيا لا تنتمي إلى تقنية الأسلحة، بل هي تقنية يمكن أن تصبح جزءًا من حياتنا اليومية. وقد صدم مستخدمو البريد الإلكتروني المتنوع عند اكتشافهم أن الحماية الأساسية لم تكن متوافرة في أجهزتهم، وإن ارسال البريد عبر الإنترنت الذي بدا آمنا، لكنه في واقع الأمر ظل متخلفاً خطوة واحدة عن اللحاق بالإذاعة، فمع ازدياد أعداد الأشخاص الذين يستخدمون الهواتف الخليوية، راح هؤلاء يتساءلون عما يجعل مراقبة اتصالاتهم الهاتفية سهلة على أي جهاز فاحص ثمنه مئة دولار. حتى إن المكالمات التي أجراها أمير ويلز مع عشيقته عبر الهاتف الخليوي تم اعتراضها.

لهذا ينبغي أن يكون كل شيء محميًا في عالم من الاتصالات المتطورة جدًا. ومع أن الإرسال الهاتفي الرقمي لم يأت إلى ذكر الكريبتوجرافيا على وجه التخصيص، فإن شبح قيود الشيفرة سيكون سيفًا مصلتًا على التشريع، فالشيفرة المنيعة تستطيع أن تستجمع مزايا القانون على أكمل وجه. حتى إذا ما تم إقرار الإرسال الهاتفي الرقمي، والتزمت الصناعة بقيوده بإخلاص، فسيكون رجال الحكومة، ودوائر الشرطة الأخرى قادرين على مراقبة البث المرسل عبر الأسلاك أو الجو، ولكن ماذا سيحدث بعد هذا؟ إذا كانت الاتصالات مشفرة فإن هذه الأجزاء المعترضة الغالية لن تكون قادرة سوى على تشويش عديم الجدوى.

لقد أخذ الكونجرس في عام ١٩٩٩م يحشد التأييد لمشروع القانون «الأمن والحرية بالتشفير» SAFE الذي يهدف إلى التخفيف من أنظمة التصدير، وتصبح برامج التشفير عنصرًا أساسيًا في الجيل التالي من الإنترنت، إذ سيكون لنا أن نتواصل مع حاسبات غير شخصية وأدوات تراوح بين الحاسبات الشخصية والهواتف. ولسوف يكون كل ما يحيط بنا سلكيًا ولا سلكيًا، والتشفير، شبكة الأمان التي تضمن لنا السرية.



تعقيبا على محمد عمر «بمبارو»:

لا تعدم الحسناء ذامـاً

لقد ورد في مجلة الفيصل الموقرة، عدد ٣٢١ بتاريخ ربيع الأول سنة ١٤٢٤هـ، الموافق شهر مايو عام ٢٠٠٣م، تعقيب الأستاذ محمد عمر «بمبارو» معترضًا عما ورد في مقالي: «الإسلام والمسيحية في غرب إفريقية وجهًا لوجه» المنشور في مجلة الفيصل بتاريخ سابق. إذ أشكره على الاهتمام، فإنني في الوقت نفسه أود أن أوضح بعض النقاط الواردة في تعقيبه:

إشكالية الموضوع:

من المؤسف أن أقول: إن الباحث لم ينجح في فهم إشكالية مقالي، وهو خطأ لا يغفر له في هذا المستوى، فمقالي جاء ردًا على ما يقال عن المسلمين جورًا هذه الأيام من أنهم متطرفون وإرهابيون، وأعداء الدساتير والكيانات والشرعيات الدولية والمحلية إلى ما هنالك من الاتهامات الجائرة ... فأردت أن أبين العكس، وقدمت غرب إفريقية كمثال وليس حصرًا، إذ إني أعتقد أن الصراعات الدائرة بين المسلمين وبين غيرهم تعكس بجلاء أن المسلمين هم الطرف الأضعف فيها والمعتدى عليه، والأمثلة كثيرة، لكن غرب إفريقية أوضحها حيث نجد الأغلبية الساحقة من المسلمين الذين قبلوا الدساتير العلمانية، ومعها رؤساء دول مسيحيون، ومع ذلك لم يقابل تسامحهم هذا بتسامح مثله، بل ظلموا وأقصوا عن الحياة السياسية، فتحالفت النخبة المسيحية في كوتديفوار على إقصاء المرشح المسلم (الحسن وترا) لا لأي شيء إلا لأنه مسلم، وذو حظوظ وافرة للفوز بالانتخابات الرئاسية في البلاد. هذا التصرف أحدث جرحًا غائرًا في نفوس الشباب المسلم.

التوثيق:

يراه محمد عمر ضعيفًا، لأني اعتمد على «البي بي سي» (B B C) وإذاعة فرنسا الدولية (R F I) والحال أن الخبر المكتوب - حسب رأيه - أكثر مصداقية من غيره، لا أدري أنسي أننا نعيش في عصر الفضائيات والإنترنت، وأن الباحث الجاد هو من يستفيد من هذه الوسائل؛ لأن الحدث أو الخبر يتطور في كل ساعة، بل في كل دقيقة وأن هناك أحداثًا كبرى ما كنا لنبت فيها، لولا هذه الوسائل. أما إذا تعلق الموضوع ب (البي. بي. سي) وإذاعة فرنسا الدولية، فالأمر أجلى من أن ينفي، فالناس في كل من إفريقية الناطقة بالفرنسية والإنجليزية يعتمدون اعتمادًا كاملاً على هاتين المؤسستين العريقتين، بل نجدهم يفضلونهما على المؤسسات المحلية حتى في الأمور المحلية، لذلك أستغرب كيف يجهل مواطن من بوركينا فاسو هذه الحقيقة في الوقت الذي تعتمد فيه بلاده على فرنسا في كل شيء خاصة في الأرشيف الإذاعي والتلفازي.

أما قولك: إني لم أعتمد على الكتب الأنثلوجية عن «كوتديفوار» فأسألك بدوري، هل قرأت مراجعي؟ إذ أعتقد جازمًا أنك لو قرأتها، لما قلت هذا الكلام. فموسوعة تاريخ إفريقية الصادرة من جامعة كامبريدج التي شارك في كتابتها عرب وإنجليز، مسلمون ومسيحيون لخير دليل على ما أقوله. أما أدريان هاستنغ



غلافا العددين اللذين ضما المقال والتعقيب

الذي اتهمته بالتعصب ضد الإسلام، فهو متهم بتعاطفه مع المسلمين الأفارقة، وهو دليل على إطلاقية أحكامك، وهذا ما فعلته مع هوفيت بواني رئيس كوتديفوار الأسبق، والحال أنه بشهادة المسلمين العاجيين أنه أفضل رئيس في المنطقة، كان يبني مساجد وكنائس على السواء، ولا يفرق بين المسلمين والمسيحيين في وظائف الدولة، محتضنًا كل من جاء إلى بلاده مهاجرًا: من الأفارقة واللبنانيين وغيرهم، بل كان يعطيهم حق ملكية الأراضي والعقارات، وهذا ما لم يقم به الوحدويون الأفارقة ومن لف لفهم من تجار الثورات وسماسرة المبادئ، لذلك كانت بلاده مزدهرة في عهده بحيث تسهم وحدها بما مقداره ٤٥٪ من الناتج القومي الخام في مجموعة الدول الناطقة بالفرنسية، أليست هذه معجزة من المعجزات الاقتصادية؟ انظر إلى ما آلت إليه كوتديفوار بعد بواني من فقر ومن مقابر جماعية، أو إنك مازلت تلومه على فرنكفونيته، كمن يطالب ابن الحوت ألا يكون عوامًا! القوم فرنكفونيون إن حقًا وإن كذبًا، ماذا فعلنا نحن بعروبتنا وبإسلامنا؟ هذا هو السؤال. ولا يعني هذا أنني أبرئه من الأخطاء وقديمًا قالت العرب: «لا تَعْدم الحَسناء ذامًا» لكنه في كل الأحوال ليس كما وصفته أنت من أنه يكره الثقافة المحلية وقيمها، إذ يكفيه فخرًا أنه أوصى بأن تكون جنازته على قسمين: الأول يقوده قس كاثوليكي إلى الكنيسة والثاني إفريقي محلي تقوده عشيرته إلى مثواه الأخير بعيدًا عن البروتوكولات السياسية والرغبات الفضولية، أليس هذا في حد ذاته إنجازًا؟ أم أن الإنجاز عندك لا يأتي إلا من النيوتونيين ومن على شاكلتهم؟

المصطلحات:

اللغة العربية بالقطع ليست عاجزة عن التعبير، لكن فوضى المصطلحات أيضًا لن تكون حلاً، فأنت بوصفك باحثًا في العلوم الشرعية كما قلت، تدري جيدًا خطورة هذا الموضوع، خاصة إذا تعلق الأمر بالمفاهيم الدينية من بيئات دينية أخرى، وجبت الحيطة والحذر، ويستحسن أن يكتب المصطلح بحروفه اللاتينية أمام الترجمة العربية؛ لأننا قد نخطئ في الترجمة، ويبرئ الأصل حسن نوايانا، المثال على ما أقوله، ترجمة بعضهم كلمة «ميث» (Myth) بالأسطورة، فبما أن الغرب لا يرى غضاضة في البحث عن الأساطير في كتابه المقدس، زعم بعض الكتاب العرب الشيء نفسه في القرآن الكريم، والحال أن هذا الكتاب نفى عن نفسه هذه الصفة فقال عز وجل:﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ٭ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ المطففين: ١٣:١٤. فهذا نزر من بحر المصطلحات الذي يغرق يوميًا عشرات من الباحثين وطلبة العلم.

لو اطلعت على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى

الإنجليزية الصادرة عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة التي أجمع المختصون على أنها أحسن ترجمة حتى الآن، فقد اعتمدت على ترجمة عبدالله يوسف علي الهندي، لو اطلعت عليها، لرأيت إلى أي حد كانت حذرة في تعاملها مع المصطلحات الدينية. لا أقول هذا الكلام إمعانا في المبالغات غير الموجبة، وإنما عن قناعة ومعرفة لكوني حامل شهادة علمية من جامعتين مختلفتين: الزيتونة (تونس)، وغريغوريان (روما). عندما يتعلق الأمر بالمفاهيم الدينية، يكون المرء كمن يتنقل في جبهة ملتهبة، لأن المصطلحات ليست محايدة، بل هي جنود في ساحة المعركة.

أم المفارقات الكبرى:

هي أن تأمرني بالاعتماد على الصحف والدوريات الإفريقية قبل غيرها، وفي الوقت نفسه تشكك في أحد الكتاب الأفارقة المعروف بنزاهته وموضوعيته اللتين قادتاه إلى العيش طوال حياته منفيًا، وأنت لا تعرف حتى كيف ينطق اسمه ولقبه مما يثير بإلحاح تساؤلات حول هويتك ذاتها، إذ لا يخطئ الفرنكفونيون عادة في هذه الأسماء، ألا وهو الكاتب الغيني الشهير سراج الدين جالو المعروف اختصارًا بسراج جالو فأنت ترى عوضًا عنه أن اعتمد على كاتب فرنسي جالس على كرسيه الوثير في باريس حيث يدعي معرفة الأفارقة أكثر من الأفارقة أنفسهم، أهذه هي الموضوعية عندك؟

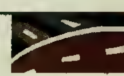
أمريكا والهند والديمقراطية:

كانت القطرة التي أفاضت الكأس، فقد عبرت فيها عما يختلج في صدرك من مشاعر مختلطة تبدأ بفلسطين وكشمير ولا تنتهي أبدًا، هي في الواقع شعور كل مسلم من جاكرتا إلى الدار البيضاء؛ لأننا نشعر بالغبن والحيف تجاه هاتين الدولتين وغيرهما. لكن هذا الشعور يجب ألا يجعلنا نخلط بين الدولتين وإدارتيهما؛ فهما دولتان ديمقراطيتان، لا أحد يمكنه أن ينكر ذلك، حتى من باب التندر، ولكن الدستور فيهما علماني لا علاقة له بالدين، ولذلك فلا مانع عندهما في أن يكون الرئيس مسلمًا أو يهوديًا أوهندوكيًا..

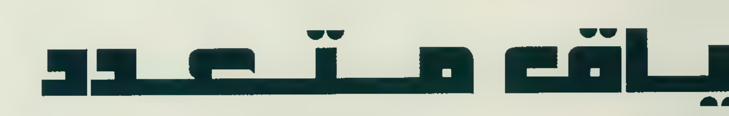
الهند على سبيل المثال رئيسها الحالي مسلم (عبدالكلام)، قد يكون محمد عمر لا يعرف ذلك أو نسيه، أما السلطة الحاكمة فيها، فتتغير باستمرار، وقد تكون سيئة في كثير من الأوقات، مثل السلطة الحاكمة اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة جورج بوش وزمرته اليمينية المتطرفة بشهادة الأمريكيين أنفسهم.أما نحن المثقفين المسلمين، فعلينا أن نلتزم الموضوعية والاعتدال اللذين هما من شيم ديننا الحنيف، بحيث لا ننكر البديهيات، ولا نغمط الناس حقوقهم، مسلمين كانوا أم مسيحيين، بل نقول لمن أحسن: أحسنت، ولمن أساء: أسأت، ونبتعد قدر الإمكان عن خلط المفاهيم؛ لأنه كثيرًا ما يستخدم ضدنا كمصيدة، إما لتلهيتنا عن قضايانا المركزية التي ضاعت في ثنايا النقاش، وإما لإظهارنا كجماعة من السذج الذين ما زالوا يتناقشون حول جدوى الحرية والديمقراطية، وحول ما إذا كانت أمريكا دولة ديمقراطية أو لا ! وما إلى ذلك من الأمور البديهية. نبراسنا مبادئ ديننا الحنيف، ويحدونا في ذلك حب الخير لجميع الناس، والبحث عن الحقيقة أنى وجدت، وهكذا فقط نجبر العدو على احترامنا رغم أنفه، والصديق على مزيد من الحب والإعجاب والإخلاص.

أشكرك مرة أخرى على الاهتمام، فيا حبذا لو كشفت عن هويتك لتعميم الفائدة، كما أشكر مجلة الفيصل الموقرة لإتاحتها لنا فرصة الحوار.

د. الحسن سعيد جالو
باحث في تاريخ الأديان
مساكن - تونس



التـغـــيـرات الدينيـة في سـ



مازن مطبقاني
المدينة المنورة ـ السعودية

يعد معهد ليدن لدراسة الأديان جزءًا من كلية العقيدة بجامعة ليدن يهدف إلى الاهتمام بدراسة الأديان والقيام بالأنشطة الأكاديمية المختلفة. وقد سبق أن عقد عدة مؤتمرات حول الأديان، منها مؤتمر حول المقدس وغير المقدس في الأديان المختلفة. وها هو ذا يعقد مؤتمره الثالث بعنوان "التغيرات الدينية في سياق تعددي". وقد حرص المنظمون على أن يبعث المحاضرون نسخًا من محاضراتهم قبل موعد المؤتمر حتى يتم طبعها في صورتها الأولية وتوزيعها في أثناء المؤتمر، وهذا ما حدث بالفعل. فقد وزعت جميع المحاضرات على الحاضرين قبل بداية الجلسات.

وقد بلغت البحوث المقدمة لهذا المؤتمر أكثر من سبعين بحثًا قدمت خلال يومين ونصف اليوم وكانت هناك ثلاث جلسات متوازية ليتمكن المحاضرون من تقديم محاضراتهم في عدة قاعات في وقت واحد.

ومن الملامح البارزة وجود عدد كبير من البحوث حول اليهودية واليهود قدّمها باحثون قادمون من إسرائيل أو باحثون يهود من جامعات أروبية وأمريكية.

أما الحضور الإسلامي فقد كان محدودًا لولا وجود عدد من طلاب الدراسات العليا وبعض الأساتذة المقيمين في هولندا مثل الدكتور واصف شديد وقاسم السامرائي ونصر حامد أبوزيد وثلاثة طلاب. أما من خارج هولندا فكان هناك باحثان من المغرب وباحث واحد من المملكة العربية السعودية. ويسأل المرء عن سر اهتمام اليهود بحضور مثل هذه المؤتمرات لتقديم البحوث والمشاركة في النقاشات بينما يقل الاهتمام في العالم العربي، مع العلم أن معهد ليدن لدراسة الأديان مركز علمي مرموق، ويتوقع أن تنشر هذه البحوث في كتاب حيث تجري الآن مفاوضات بين المعهد وعدد من دور النشر أبرزها دار برل المشهورة.

دقة في التنظيم

وتميز المؤتمر بالتنظيم الدقيق في جلساته، فقد تم تنفيذ البرنامج وفقًا للجدول المعدّ سلفًا عدا بعض التغيرات الطارئة، كما كانت رئاسة الجلسات في إحدى القاعات لرئيس المعهد البروفيسور كوننجزفيلد الذي تميزت إدارته بالتنظيم الدقيق، وبقدرة مدير الجلسة على حسن إدارة الحوار وحسن الاستماع حتى إنه يطرح الأسئلة على المحاضر حين لا يتقدم أحد للنقاش. وكانت الجلسات الأخرى جيدة التنظيم أيضًا، وإن لم تكن بحيوية الجلسات التي ترأسها كوننجز فيلدي ونشاطها.

وكانت هناك نقاشات مفيدة ومثمرة، منها - على السبيل المثال - البحث الذي قدّمه الدكتور قاسم السامرائي حول الجذور اليهودية لبعض معتقدات الشيعة، فسأل الدكتور كوننجزفيلد عن المصادر التي اعتمد عليها السامرائي مشيرًا إلى أن السامرائي ربما لم يعتمد سوى على مصدر واحد وهو سيف بن عمر الذي حقق السامرائي مروياته في تاريخ الطبري، فرد السامرائي بأنه اعتمد على عدد من المصادر منها مصادر شيعية

وذكر هذه المصادر بالتفصيل.

وفي بحث الصحوة الإسلامية في الحجاز، سأل أحد الحضور: هل الصحوة تعد من المعارضة السياسية في المملكة العربية السعودية؟ فذكرت له أنه ليس لدينا معارضة سياسية بالمعنى الغربي، لكن لا شك أن بعض الأفكار والطروحات التي تقدمها الصحوة تعدّ من المعارضة للأوضاع القائمة؛ لأن فيها نقدًا لهذه الأوضاع، ولا بد من تأكيد أن الإسلام لا يفصل بين السياسة والحياة، فليست الصحوة الإسلامية مقتصرة على الشعائر والعبادات، ولكنها صحوة تدعو إلى العودة إلى تطبيق الإسلام في مجالات الحياة كلها؛ في العقيدة والعبادة، وفي السياسة والاقتصاد، وفي الاجتماع والثقافة.

التأثر بالغرب

كما دار نقاش حول بحث كاتبنا الأستاذ بجامعة ليدن حول الملابس الأوربية والفتوى التي أصدرها محمد رشيد رضا بأنه لا مانع من ارتداء هذه الملابس، وكان الباحث يشير إلى مسألة اللباس والتأثر بالغرب، وأشار إلى رأي للمستشرق الهولندي المشهور بأن العالم كله سيرتدي ذات يوم الملابس الغربية، وحتى الحجاب الإسلامي قد يتعرض للتغير والتأثر بالمرأة الغربية. ونوقش الباحث عن معنى الفتوى ومدى أحقية رشيد رضا في إصدار فتوى، وهل بلغ درجة الاجتهاد أو لا؟كما أشار أحد المناقشين إلى أن انتشار الأزياء الغربية واللباس الغربي هو من أحد مظاهر العولمة الثقافية التي يسعى الغرب إلى نشرها بكل الوسائل، ومنها أفلام الكرتون للأطفال فيقال في تلك الأفلام: إن الملابس الغربية هي الملابس العالمية، وقصة الشعر الغربية هي قصة الشعر العالمية أما ما عدا ذلك فمحلي.

كما دار نقاش حول البحوث التي يجريها الباحثون حول الأقليات المسلمة في أوربا، وهل تتبع المنهج العلمي الصحيح؟ وما مدى مصداقية نتائجها؟. وبين الدكتور واصف شديد، وهو متخصص في علم الاجتماع عيوب هذه البحوث وبعد بعضها عن الموضوعية وعن المنهجية العلمية الصحيحة.

المحتسب في المجتمع الإسلامي

ومن البحوث التي أثارت بعض التساؤلات البحث حول كتاب بيروم التونسي حول مسألة الخلافة والسلطة وكيف أن الباحثة أغفلت دور المحتسب في النظام السياسي والاجتماعي في المجتمع المسلم، وأن المحتسب كان له دور مهم وكبير في حياة الأمة الإسلامية، وهو الدور الذي تقوم البلديات في العصر الحاضر بجوانب منه.

وأشارت الباحثة إلى أن الحكام المسلمين يحاولون أن يلتمسوا في الشريعة الإسلامية وفي الكتب الخاصة بالفكر السياسي منافذ لهم لإدخال التحديثات في الحياة السياسية، وكأن النظام السياسي الإسلامي ليس مرنًا يتقبل التحديث والتطور.

جلسات المؤتمر

فيما يأتي عناوين بعض المحاضرات التي ألقيت في القاعة ١١٧٠ ـ ٠٠٢ أيام المؤتمر:

ـ «مجتمعات الإيمان: الصحة العقلية والمرض بين اليهود المحافظين في بريطانيا في بداية القرن الجديد» قدمتها بروفيسورة سي إم لونثال C. M Loewenthal حاولت الباحثة أن تؤكد أن التمسك بالتعاليم اليهودية يقلل نسبة الإصابة بالأمراض العقلية، وأن المستوى الأخلاقي يكون عاليًا. ولا شك أن مثل هذا البحث نوع من الدعاية للمعتقدات اليهودية. فأين باحثونا عن تقديم نماذج من الحياة الإسلامية وعظمة التشريعات الإسلامية؟

ـ «الإسلام المهاجر: الاحتفالات الدينية المتغيرة بين



الإسلام المهاجر كان من أهم محاور المؤتمر

النساء المغربيات المهاجرات في هولندا» قدمتها كي فان نيوكيرك K. Van Niewwkerk تناولت الباحثة فقدان كثير من هذه المناسبات أهميتها في غمرة الحياة في المغرب، بل ينسى كثير من المهاجرات موعد تلك المناسبات لاختلاف التقويم ومشاغل الحياة الكثيرة.

- «تصادم الولاءات: موقف الجنود المسلمين الأمريكان تجاه مهاجمة بلد إسلامي» قدمها صالح عبدالرزاق. إستعرض الباحث الفتاوى المختلفة في مسألة مشاركة الجنود المسلمين في الجيش الأمريكي إذا كان يهاجم بلدًا مسلمًا، وذكرت حالة محمد علي الملاكم المسلم وامتناعه عن المشاركة في حرب فيتنام لمناقضتها تعاليم دينه.

وإن كان بعض الفتاوى قد سمحت للجنود المسلمين أن يشتركوا فلا يكونوا في خط القتال ولكن في الصفوف الخلفية أو في الأمور الفنية أو غيرها.

- «الإسلام كظاهرة في هولندا: المناظرات العامة والمنهجية البحثية الخاطئة» قدّمها واصف شديد وأوضح فيها كيف أن البحث العلمي حول المسلمين في هولندا قد مرّ بعدة مراحل: أولاها مرحلة الستينيات والسبعينيات التي



أحداث سبتمبر تفرض عملاً إسلاميًا يوضح للعالم حقيقة الإسلام

أطلق عليها الباحث مرحلة الإهمال، وكانت المرحلة الثانية هي مرحلة ربط الإسلام بالعرق على الرغم من أن المهاجرين المسلمين أتوا من بلاد مختلفة: أندونيسيا والمغرب وتركيا وغيرها. أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الطعن والإقصاء وبخاصة بعد الثورة الإيرانية، وقضية سلمان رشدي، وسقوط جدار برلين. وأوضح الباحث أن مع عيوب البحث في مجتمع المسلمين في هولندا أن معظم البحوث تجري على نطاق ضيق، وأن معظم البحوث ترتبط بمجال علمي واحد. أما العيب الثالث فإن النظرة الخارجية لا تزال لها السيطرة في النظر إلى المسلمين في هولندا.

- «الاحتياجات الإسلامية في الشتات وتأسيس الإسلام الأوربي: دراسة حالة فتوى المجلس الأوربي للفتوى والبحوث بخصوص القروض العقارية البنكية» قدمها ألكساندر كايرو. تناول الباحث فتوى المجلس الأوربي بالسماح بشراء البيوت عن طريق القروض العقارية مما أدى إلى جدال فقهي حول هذه الفتوى وانقسم الفقهاء إلى أكثر من رأي. وذكر الباحث قضية الحاجات والضرورات التي يواجهها المسلمون في أوربا. وأثار التساؤل هل يمكن تطبيق مثل هذه الفتوى في البلاد الإسلامية حيث يواجه المسلمون ظروفًا متشابهة أحيانًا؟

- «رد المسلمين على الكتابات التنصيرية في مصر: نوعيات الردود الإسلامية في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين» قدّم البحث عمر رياض، وهو طالب في مرحلة الدكتوراه في جامعة ليدن في قسم الأديان والورقة جزء من بحث الماجستير بعنوان «الإسلام والبعثات التنصيرية: النشاط التنصيري والاستجابة الإسلامية في مصر في الفترة من ١٨٩٥ حتى ١٩٣٥م» وأشار إلى أن العلماء المسلمين قد أفادوا من الدراسات النقدية لكتب العهد القديم والحديث، وما جاء فيها من نقد لمختلف مظاهر العقيدة النصرانية. وذكر من هذه الردود المناظرة التي تمت بين القس فندر والشيخ رحمة الله الكيرواني في الهند في عام١٨٥٤م. ومن الموضوعات التي تناولها الباحث كتابات المنصرين حول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ورد العلماء على ادعاء التحريف في القرآن، وغير ذلك من الشُّبه في السنة المطهرة وتدوينها وحجيتها.

- «الملك والقاضي: دورالأعمال الكلاسيكية في القانون في بداية فترة التحديث: رسالة السياسة الشرعية» للمفتي التونسي محمد بيرم (١٨٠٠) محاولة أولى للتحليل. تتناول ما قام به خير الدين التونسي من محاولة الإفادة من معطيات الحضارة الغربية مع المحافظة على القيم الإسلامية والشريعة الإسلامية، وفي مجال الحكم والعلاقة بين الرعية والحاكم قام التونسي بالرجوع إلى مخطوطة رسالة السياسة الشرعية للمفتي محمد بيرم.

- «ابن سبأ والشيعة» قدمه قاسم السامرائي من معهد دراسة الأديان بجامعة ليدن تناول فيه تعريف الشيعة والتعريف بابن سبأ، ثم كيف دخلت بعض المعتقدات اليهودية إلى معتقدات الشيعة؟ فأشار إلى أن الشيعة بدأت كفرقة سياسية ثم تكونت لها معتقدات مختلفة كان لابن سبأ اليهودي دور في تأسيسها. وأكد السامرائي

حقيقة وجود ابن سبأ من عدة مصادر منها سيف بن عمر أحد الرواة الذين اعتمد عليهم الطبري في تاريخه، كما ذكر بعض المراجع الشيعية والسنية في هذا المجال. أما العقائد التي أخذها الشيعة من اليهودية فهي: عقيدة الإمامية المرتبطة بفكرة الوصي التي يقول بها اليهود، وأن لكل نبي وصيًا، وأنه كان لموسى عليه السلام وصي، وكذلك كان علي رضي الله عنه بالنسبة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

- «الصحوة الإسلامية في الحجاز ١٩٧٥ - ١٩٩٠م» قدّم البحث مازن مطبقاني من مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق فتناول كيف كان الحجاز يسير بخطا سريعة نحو التغريب والعلمنة بسبب الأعداد الكبيرة من الطلاب الحجازيين الذين درسوا في أوربا وأمريكا، وكذلك عندما بدأت الطفرة الاقتصادية في السبعينيات، ووفد إلى المملكة عدد كبير من العاملين في شتى المجالات. وكان الحديث عن الصحوة من خلال

تساؤلات عن مشاركة المسلمين في الجيش الأمريكي



الحديث عن أبرز الشخصيات التي كان لها دور مهم في الدعوة، ومن هؤلاء الشيخ عبدالحميد كشك، ومحمد قطب، وسعيد حوّى، ومحمد أحمد جمال، ومجلة المجتمع، وعدد كبير من العلماء والدعاة. وتوقف البحث عند ظهور جهيمان العتيبي، وموقف الدولة منه، ومن النشاط الإسلامي عمومًا، وإدخال كثير من الضوابط والتنظيمات للنشاط الدعوي، ولكن في الوقت نفسه كان هناك تطبيق لبعض الأمور التي انتقدها جهيمان.

وشهدت القاعة ١١٧٠ - ٠٠٤ أيضًا الكثير من البحوث ومنها ما يأتي:

- «الله واليهود في العصر الفارسي» قدمه إس. ديفيد سبرلنق، S. David Sperling. من كلية الاتحاد العبري، بنيويورك. تناول فيه ظهور التوحيد عند اليهود قبل العهد الفارسي، وتطور المعتقدات اليهودية في هذا العصر.

- «ارتباط السبت والهوية والعالمية بعد العودة من المنفى». قدّمه برنارد قوس Bernard Gosse تحدث فيه عن العلاقة بين احترام السبت والتمسك بالهوية اليهودية، والاختلاط بالأجانب وغير اليهود.

- «خلق الله الدائم» قدمه إم. بيوتنورف فان در مولن M. Buitenwerfvan der Molen تناول الباحث في ورقته ظهور مجموعة من القساوسة البروتستانتيين الليبراليين في القرن التاسع عشر في هولندا حاولوا أن يحلوا التصادم بين عالمين مختلفين عالم الدين وعالم العلم من خلال دمج بعض العناصر من كل قسم، وحاول الباحث كذلك أن يعرض لموقف علماء العقيدة النصارى المعاصرين حول الإشكالية التي تقدمها نظرية داروين للمعتقدات النصرانية.

- «المحفل الماسوني الهولندي» قدمه أنات هارك Anat Harel تناول الباحث المحفل الماسوني في هولندا في بداية القرن العشرين، وسأل: هل الماسونية دين أو حزب سياسي أو جمعية خيرية أو نادٍ للرجال المحترمين؟ وأكد



التأثير الغربي شمل كل شيء

صعوبة تعريف الماسونية.

- «لأننا كاثوليك فنحن متمدنون: ملاءمة الكثلكة الهولندية للمجتمع الهولندي الحديث ١٩٢٠م، ١٩٦٠م» قدمه إي سنجرز E. Sengers تناول الباحث العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية الهولندية والتحديث، وكيف أن التحديث أو التمدن أتى بكثير من الكوارث الاجتماعية، ولكن كان على الكنيسة أن تتلاءم مع الواقع.

- «التصوف الشرقي في العالم الغربي: رسالة الحب الصوفية والانسجام والجمال» للباحث كارين جيرونت Karin Jeronet. تناول الباحث دخول التصوف إلى العالم الغربي، واهتمام التصوف بالربط بين الشرق والغرب. وكان الشيخ عناية خان (١٨٨٢ - ١٩٢٧م) وصل إلى أعلى درجة في التصوف أو ما يطلق عليه الصمدية، وجاء إلى الغرب عام ١٩٢٠م، ويتابعه الباحث منذ ذلك الحين، وكيف كان قبول الغرب لفكرة التصوف.

قدم في القاعة ١١٧٣ - ٠٠٨ الكثير من البحوث، وفيما يأتي بعضها:

- «الثقافة الحديثة في مرحلة تحول»، قدمه تي إل.

هتاما T.L Hettema تناول البحث مسألة تقسيم العصور إلى عصر حديث وعصر قديم، وأشار إلى أن عام ١٨٠٠م، يمكن أن يكون انطلاقة التحديث، وكان لهذا التحديث جذور في كتابات ديكارت وفولتير وروسو وكتابة وغيرهم. وتناول البحث أيضًا الحديث عن كتابات شليماخر عالم اللاهوت الهولندي الذي حاول أن يربط بين التحديث والروح.

- «عودة الاستشهاد: الشرف والموت والخلود» قدمه بنيامين. بيت هللامي من جامعة حيفا Benjamin Beit Hallahmi تناول الباحث قضية مهمة في العصر الحاضر، وهي الاستشهاد، فأشار إلى أهمية التساؤل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عن متى وكيف تكون المخيلة الدينية والممارسات تهديدًا للديموقراطية الليبرالية؟ وتناول في بحثه موقف الأصولية من الديموقراطية ومن التحديث، ويرى فيها أنها فاشية القرن العشرين، وأن الأنظمة الأصولية أنظمة ديكتاتورية. وأشار إلى أن الاستشهادية تعد تحديًا للتحديث والديموقراطية الليبرالية، وأن النصر النهائي سيكون للنظم الديمقراطية الليبرالية ضد الحركات المحاربة لها.

- «سيف عبدالحق المسلول» تقديم بي رس فان كوننجزفيلد P. S. van Koningsveld رئيس معهد ليدن لدراسة الأديان. تناول في بحثه نصين كتبها مسلمان كانا على الديانة اليهودية، ولما أسلما كتبا يردان على اليهود، فكان أحد النصين بعنوان «السيف الممدود في الرد على اليهود». ويتحدث الباحث عن الظروف التي ظهرت فيها مثل هذه الكتابات ودورها في الجدال الذي كان يدور بين المسلمين واليهود.

- «النمل والمعجزات والمخلوقات الضخمة»: دراسة أدبية في رواية النملة بين الجو الجاحظي ومناجاة موسى.

- «تحديات يوحنا الدمشقي وظهور علم الكلام». نصر حامد أبو زيد.

- «الأطراف الحادة للهندوسية: استكشاف معاداة الإسلام في جميع أنحاء العالم» بحث مقدم من ألبرتينا نوقترين Albertina Nugteren من جامعة تلبورج بهولندا تناولت فيها ازدياد موجة الكراهية للإسلام والمسلمين بين الهندوس، وتحولها من حركة هندية داخلية إلى حركة عالمية.

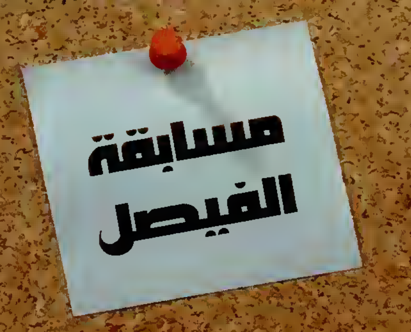
- «تغير مواقف النصارى العرب تجاه الإسلام»، بحث قدمه ديفيد توماس David Thomas موقف النصارى من الإسلام منذ انطلاقة الفتوحات الإسلامية إلى الحروب الصليبية إلى العصر الحاضر. وكيف تعايش العرب النصارى مع الإسلام من عدم الاعتراف به كدين إلى القبول به حتى النظر إليه بطريقة إيجابية.

توصيات

إن أهم توصية أود تقديمها أن يحرص الباحثون العرب والمسلمون على حضور مثل هذه الندوات والمؤتمرات، وأن يكون ثمة تنسيق في الجامعات العربية والإسلامية لتقديم صورة الإسلام الصحيحة للعالم من خلال الدراسات العلمية والميدانية لحياة المسلمين.

كما ينبغي على الجامعات أن تحرص على تشجيع الباحثين فيها على الحضور بكثافة، ففي مؤتمر وصلت بحوثه السبعين يكون أكثر من ثلثها حول اليهود واليهودية لأمر يدعو إلى العجب والتعجب وألاّ يحضر من العالم العربي الإسلامي أكثر من أربعة باحثين أو خمسة لأمر يدعو إلى الحزن والكآبة والغيظ.

كما أوصي بأن تتم ترجمة بعض هذه البحوث، وبخاصة تلك التي قدمت نقدًا للدراسات الغربية حول الأقليات الإسلامية في الغرب؛ لأن هذه الأقليات أصبحت تقلق المجتمعات الغربية أو على الأقل تثير الاهتمام. كما أن الدراسات الغربية تشير إلى بعد الأجيال الجديدة من المسلمين في الغرب عن الشعائر الإسلامية. ومن ثم بعدهم عن كثير من التقاليد التي تستند إلى الشريعة.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٢٣) جمادى الأولى ١٤٢٤هـ/ يوليو / ٢٠٠٣م.

الفائز الأول: عبير محمد عماد ـ القاهرة ـ مصر.

الفائز الثاني: هادية أحمد الخراط ـ المدينة المنورة ـ السعودية.

الفائز الثالث: مي فهد أيوب ـ عمان ـ الأردن.

الفائز الرابع: عبدالرحمن يوسف جقلان ـ حريتان ـ سورية.

الفائز الخامس: سلطان خالد حسن ـ الدوحة ـ قطر.

الفائز السادس: د. نور الدين فرحان أحمد ـ أبو ظبي ـ الإمارات.

الفائز السابع: السيد حسن عبدالعظيم ـ الإسكندرية ـ مصر.

الفائز الثامن: ظبية محمد الصالح ـ حمص ـ سورية.

حل مسابقة العدد (٣٢٣)

١ـ ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الأجربِ

قائل البيت هو : لبيد بن أبي ربيعة.

٢ـ ناناك: زعيم ديني هندي. أسس الديانة السيخية.

٣ـ عضد الدولة: سلطان بويهي. يعد أعظم سلاطين الدولة البويهية.

٤ـ أحمد شاه: مؤسس دولة أفغانستان وأول ملوكها.

٥ـ خليل مطران: شاعر عربي. عرف بطول النَّفَس وبراعة التصوير.

٦ـ طاليس: فيلسوف يوناني. قال بأن الماء أصل الأشياء كلها.

أسئلة مسابقة العدد (٣٢٦)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا؟

☐ أبو دَهبل الجُمَحي.

☐ الأفوه الأوديّ

(٢) التِّرمالين:

☐ حجر نصف كريم

☐ طائر إفريقي كبير.

(٣) مَعْبَد:

☐ مغنٍ عربي سطع نجمه في عهد بني أمية (ت: ٧٤٣م)

☐ وزير أندلسي اشتهر بالقدرة على حياكة المؤامرات.

(٤) المذهب اللّامادي:

☐ مذهب يقول: إن الأجسام الخارجية هي في جوهرها عقلية.

☐ مذهب يدعو إلى نفي المادة بحجة أنها متغيرة ولا أصل لها.

(٥) الفاراد:

☐ وحدة السعة الكهربائية

☐ قرد رشيق الحركة.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الانجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٦٠ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

www.ahlaltareekh.com

الملف الثقافي

- المؤتمر الثاني للفكر العربي
- قصة ياقولوف في الجزيرة العربية
- الموسم الثقافي لمركز الملك فيصل في كتاب
- الآثار السورية في أرشيف إلكتروني
- خاتمة المطاف: المنهج العلمي التطبيقي للجغرافيين العرب





قصة ياقولوف في الجزيرة العربية

من المقرر أن يصدر في شهر ديسمبر/كانون الأول المقبل كتاب بعنوان «القصة التاريخية للسفير نذير تيور ياقولوف في الجزيرة العربية»، من تأليف طائرمنصورروف سفير كازاخستان الحالي في موسكو.

والكتاب يؤرخ للعلاقة الدبلوماسية بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفييتي السابق خلال الفترة بين عامي ١٩٢٨م و ١٩٣٥م، وقد أهدي الكتاب إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والرئيس الكازاخستاني نور سلطان نازار باييف، كما يتزامن توزيع الكتاب مع احتفالات كازاخستان بمناسبة مرور عشر سنوات على استقلالها.

وتتصدر هذا الكتاب، الذي يعد سجلاً وثائقيًا متكاملاً لتاريخ العلاقة بين هذين البلدين في هذه الفترة، كلمة الرئيس الكازاخستاني الذي وصف الكتاب بأنه مساهمة «لإدراك عمق الجذور التاريخية، والافتخار بأعمال الأجداد الضخمة والتغلب على أمراض العهد التوتاليتاري، واستعادة الوعي التاريخي».

وجاء في بداية الكتاب نبذة من حياة السفير تيور ياقولوف الذي ينتمي إلى إحدى العائلات الغنية، وهذا ما مكنه من إكمال تعليمه الجامعي في كلية الاقتصاد بمعهد التجارة في موسكو، ثم تناول نشاطه السياسي الذي بدأ منذ عام ١٩١٦م، والمناصب السياسية التي تقلدها قبل أن يتم تعيينه في ١٥ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٢٧م ممثلاً مفوضًا لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في جدة، وقد سلم أوراق اعتماده إلى الأمير فيصل بن عبدالعزيز نيابة عن والده الملك عبدالعزيز آل سعود.

وقد وجد السفير ياقولوف ترحيبًا كبيرًا في السعودية؛ لأن الملك عبدالعزيز كما يقول المؤلف: «كان يحاول الانفلات من دسائس لندن التي كانت في أوج جبروتها آنذاك، مما جعله حريصًا على إيجاد معادلة قوى جديدة في المنطقة بمساعدة موسكو»، وقد تزامن وصول ياقولوف إلى السعودية مع تردي العلاقات بينها وبين بريطانيا مما دفع الملك عبدالعزيز إلى البحث عن حلفاء في الخارج، وتمتع الاتحاد السوفييتي بالأفضلية، إلا أن الملك عبدالعزيز لم يوقع معاهدة سياسية مع الاتحاد السوفييتي إلا بعد ثلاث سنوات من وصول السفير خشية من استفزاز بريطانيا ودفعها للقيام بعمل حاسم ضد المملكة العربية السعودية.

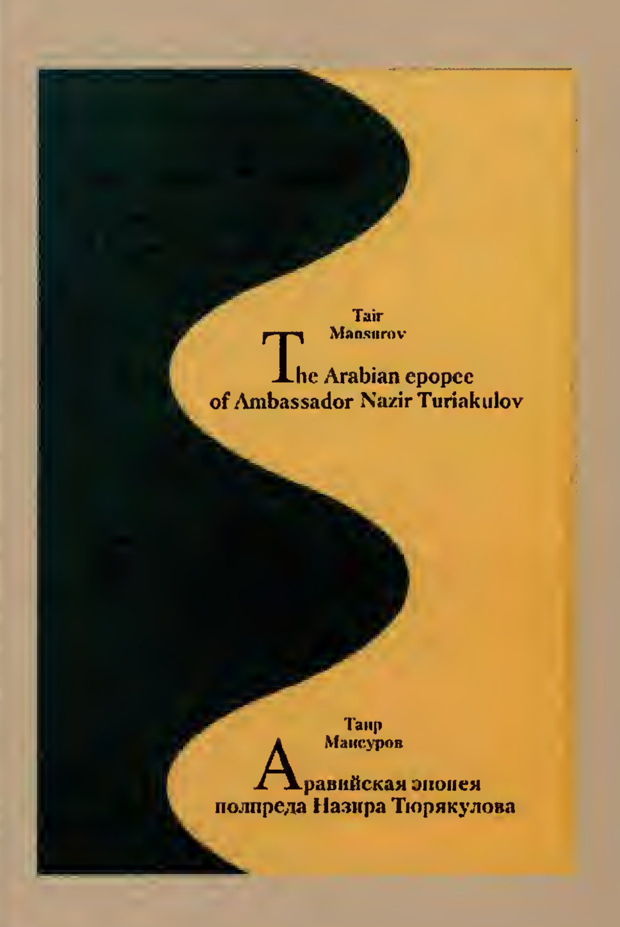
ثم تناول المؤلف الصراع الذي دار بين السفير السوفييتي ووليم فيلبي الذي حول اسمه إلى عبدالله فيلبي واعتنق الإسلام، وقد وصفه ياقولوف في أحد تقاريره بأنه (رجل طريف وخطير)، وتناول المؤلف الجهد الذي بذله تيور ياقولوف لتعلم اللغة العربية وإجادتها حتى إنه استغنى عن المترجمين، وقد مكنته معرفته الواسعة واتصالاته المكثفة من معرفة القضايا السياسية الداخلية والخارجية كافة للسعودية، مما ساعده على تقويم الأوضاع القائمة والآفاق المستقبلية لعلاقات الدولة السعودية بالاتحاد السوفييتي تقويمًا صحيحًا.

وتحدث المؤلف عن الدور الذي أدّاه السفير تيور ياقولوف من أجل تنشيط التجارة بين البلدين، وذكر أن فؤاد حمزة وزير الخارجية بالنيابة وعبدالله فيلبي كانا يقودان مجموعة تؤيد الاتفاق مع الإنجليز، في حين كان وزير المالية آنذاك عبدالله السليمان يقود مجموعة تبحث عن مخرج بعيد عن الإنجليز، وقد نجحت المجموعة الأخيرة في الوصول إلى اتفاق مع الاتحاد السوفييتي تم بموجبه تزويد السعودية بما قيمته ١٥٠ ألف دولار من البنزين والكيروسين، ووقع على هذه الاتفاقية التي تعد تمردًا على الإنجليز كل من الأمير فيصل بن عبدالعزيز والسفير تيور ياقولوف.

وتناول المؤلف كذلك رحلة الأمير فيصل إلى موسكو في مايو/أيار عام ١٩٣٢م، التي استمرت ٩ أيام استقبله خلالها الرئيس السوفييتي في ذلك الوقت ميخائيل كالينين. كما استقبله أيضًا نيقولا كريستينسكي وزير الخارجية بالنيابة، وقد سعى الأمير فيصل خلال هذه الزيارة إلى الحصول على قرض، ولكن الحكومة السوفييتية أخبرته - كما يقول المؤلف - «أنه بدون إكساب العلاقات مجرىً طبيعيًا، أي التوقيع على المعاهدتين السياسية والتجارية لا يعد الحديث عن موضوع القروض مناسبًا».

وقدم المؤلف ملخصًا للوثائق والمراسلات التاريخية التي حفل بها الكتاب، ومن ضمنها رسالة الملك عبدالعزيز آل سعود إلى القيادة السوفييتية والمتضمنة ترحيبه بوصول

السفير نذير تيور ياقولوف إلى جدة بصفته الوكيل الدبلوماسي والقنصل العام للاتحاد السوفييتي، وترجمة لرسالة وجهها الملك عبدالعزيز في ١٥ذي الحجة سنة ١٣٥٤هـ إلى رئيس هيئة الرئاسة السوفييتية ميخائيل كالينين يعبر فيها عن رضاه بالدور الذي يؤديه نذير تيور ياقولوف وغيره، ورسالة الأمير فيصل عام ١٩٣٠م باستعداد الحكومة السعودية لاعتماد تيور ياقولوف مندوبًا فوق العادة ووزيرًا مفوضًا، كما ورد في الكتاب عدد من الصور التاريخية من أبرزها تلك التي وثقت للزيارة التي قام بها الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود إلى موسكو، وكذلك صور شخصية للسفير تيور ياقولوف.



المؤتمر الثاني للفكر العربي

أعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير رئيس مؤسسة الفكر العربي في بيروت في الرابع من سبتمبر/أيلول الماضي عن إقامة «المؤتمر الثاني للفكر العربي» في مطلع ديسمبر/كانون الأول القادم.

جاء ذلك في الحفل الذي أقيم على شرف الإعلاميين في فندق فينيسيا في بيروت، الذي شهده عدد كبير من المفكرين يتقدمهم وزير الإعلام اللبناني ميشال سماحة، ووزير الإعلام السوري عدنان عمران، ووزير السياحة اللبناني علي حسن خليل، والسفير السعودي لدى لبنان فؤاد صادق مفتي، والأمين العام لمؤسسة الفكر العربي علي ماهر السيد.

وقد ألقى الأمير خالد كلمة بهذه المناسبة شكر فيها لبنان على استضافته المؤسسة، وعلى ما قدمه المسؤولون من دعم ومساندة.

ووجه سموه الدعوة إلى الجميع لحضور المؤتمر الثاني للفكر العربي الذي سوف يعقد في مدينة بيروت في الرابع من ديسمبر/كانون الأول المقبل تحت عنوان «استشراف المستقبل العربي»، وأوضح سموه أنه تم اختيار بعض محاور هذا المؤتمر ومنها: المستقبل السياسي العربي، والمستقبل الاقتصادي العربي، والمستقبل الإنمائي الثقافي العربي، والمستقبل الاجتماعي العربي، بالإضافة إلى محاور أخرى مثل: علاقة العرب بأمريكا، والعلاقات العربية الآسيوية، والعلاقات العربية الأوربية، والعلاقات العربية الإفريقية.

وبيّن سموه أنه سيتم خلال المؤتمر تقديم بحوث أعدت من بعض الإخوة العرب الباحثين والمختصين في هذه العلوم وهذه المجالات الفكرية، مفيدًا أنه سوف يرافق هؤلاء بعض المختصين في المجال نفسه من المحاورين من أربعة إلى ستة في كل محور، وبعض الشباب والشابات من المتفوقين علميًا في مجالاتهم وفي جامعاتهم وفي مراكزهم، وسوف يكون هناك على الأقل فتىً وفتاة في كل محور يجلسان مع المحاورين ويناقشانهم ويبديان آراءهما في هذه المحاور بعد ذلك. وأكد سموه أنه سيكون في نهاية المؤتمر جلسة خاصة لهؤلاء الشباب ليقدموا آراءهم ومرئياتهم عن المستقبل العربي ومستقبلهم.

من ناحية أخرى وقع الأمير خالد الفيصل في الثامن من سبتمبر/أيلول مع وزير الإعلام اللبناني ميشال سماحة اتفاقية تعاون وتنسيق في ما بينهما في إطار الإعداد لهذا المؤتمر، وتقدم وزارة الإعلام اللبنانية وفقًا للاتفاقية الخدمات الإعلامية عبر الوسائل التابعة للوزارة وهي: الوكالة الوطنية للإعلام، وإذاعة لبنان، وتلفاز لبنان، فيما تؤمن مؤسسة الفكر العربي المواد الإعلامية اللازمة من ندوات وأخبار وأعمال تخص المؤتمر.

الموسم الثقافي لمركز الملك فيصل في كتاب

ضمن سلسلة «محاضرات عامة» التي ألقيت في المواسم الثقافية لمركز الملك فيصل قامت إدارة البحوث والدراسات بإصدار عدد من هذه المحاضرات وهي:

- «الأوضاع السياسية الراهنة في آسيا الوسطى» للدكتور صالح الخثلان، أستاذ العلوم السياسية المشارك بكلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود.
- «أهمية البرديات في كتابة التاريخ الإسلامي» للدكتور جاسر أبو صفية، أستاذ اللغة العربية وعلومها المشارك بكلية الآداب بالجامعة الأردنية.
- «الطباعة العربية في الهند ـ دائرة المعارف العثمانية، ودورها في إحياء التراث العربي الإسلامي»، للدكتور عباس طاشكندي، أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

٤. «التأمين بين الحلال والحرام» لفضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

- «حوار الحضارات ـ رؤية إسلامية» للدكتور أحمد العسال، أستاذ الثقافة الإسلامية في الجامعة العالمية بالباكستان.
- «الإعلام الخارجي في عهد الملك عبدالعزيز» للدكتور عبدالرحمن الشبيلي، عضو مجلس الشوري في المملكة العربية السعودية.
- «الدراسات الموريسكية ـ الأندلسية بين الواقع والمأمول» للدكتور عبدالجليل التميمي، مدير مؤسسة التميمي للبحث العلمي بتونس.

والجدير بالذكر أن المركز قد أصدر محاضرات الموسم الثقافي لعامي (١٤٠٦ ـ ١٤٠٧هـ)، ومحاضرات الموسم الثقافي لعامي (١٤٠٨ ـ ١٤٠٩هـ) في كتابين، إضافة إلى توافرها على شكل أوعية معلومات مسموعة ومرئية، والغاية من إصدارها سهولة وصولها إلى القراء، وللحصول على هذه المحاضرات والندوات يمكن الكتابة إلى إدارة التسويق على العنوان: ص.ب ٥١٠٤٩ ـ الرياض ١١٥٤٣.



أين اغتيل لوركا؟

مازال المكان الذي اغتيل فيه الشاعر الإسباني الشهير لوركا مجهولاً، كما أن رفاته لا يعلم أين دفن، على الرغم من مرور سبعة وستين عامًا على هذه الحادثة التي حدثت في فجر الثامن عشر أو التاسع عشر من شهر أغسطس / آب عام ١٩٣٦م على أيدي قوات الجنرال فرانكو بعيد اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية، وذلك بسبب تعاطف لوركا مع أفكار اليساريين، ولكن هذا اللغز المحير يبدو أنه الآن في طريقه إلى الحل، فقد حصل فرانشيسكو غونثاليث رئيس (جمعية استعادة الذكرى التاريخية) مؤخرًا من بلدية الفخار التابعة لمحافظة غرناطة الأندلسية على إذن بنبش إحدى المقابر الجماعية التي يشتبه وجود رفات الشاعر فيها، على الرغم من رفض العائلة لهذا الإجراء، ويؤكد غونثاليث: أن (خبراء نبش المقابر الجماعية) لا يخطئون تقريبًا، فقد نبشوا ٣٥ قبرًا كان فيها ٢١٠ أشخاص أخطؤوا خلالها في تحديد هوية شخص واحد.

ومع كثرة البحوث والكتب التي نشرت عن هذا الشاعر الذي يوصف بأنه «أشهر الغائبين في العالم على الرغم من إرادتهم» حسب التسمية المعتمدة في مستندات الأمم المتحدة الخاصة بالحرب الأهلية.

وسيتولى عملية سحب الرفات الأستاذ في جامعة غرناطة ميغال بوتيا ومدير المعهد الأندلسي للطب القانوني ميغال لورانتي اللذان سبق لهما القيام بالمهمة نفسها في رفات مكتشف أمريكا كريستوف كولومبس.

مقتنيات جديدة في مركز الملك فيصل

أقتنى المركز مؤخرًا، مجموعة من القطع التراثية من بينها:

- جرة من الخزف المزجج بأرضية بيضاء مائلة للاخضرار تظهر بها رسوم زخرفية باللون الأسود تحت طبقة التزجيج، تعود هذه الجرة إلى العصر المملوكي ـ القرن الرابع عشر الميلادي تقديرًا ـ [المصدر: دمشق ـ سورية].

- صحن وإبريق من الفخار المزجج بأرضية بيضاء وزخارف هندسية باللونين الأحمر والأزرق عبارة عن خمس دوائر، تحوي أربع منها كتابات بالخط الكوفي «الله أحد الله الصمد»، يعودان إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري تقديرًا. [المصدر: سورية].

- دفتا كتاب من الورق المقوى تضمان زخارف مذهبة، رسم عليهما بطريقة الطلاء (اللاكية) صورة تظهر معارك حربية ضارية وعددًا كبيرًا من الفرسان والخيول داخل إطار مزخرف بماء الذهب من طرفيه وأرضية خضراء تحمل كتابات فارسية باللون الأبيض. تعود إلى بدايات القرن التاسع عشر الميلادي تقديرًا وتعد من الفن القاجاري. [المصدر: إيران].

- قطعتان من البرونز لمزينتيّ باب من العصر السلجوقي، كل قطعة تحمل ثلاثة أشرطة زخرفية، الشريط الخارجي به كتابات كوفية تفصلها دوائر هندسية، والشريط الثاني به كتابات نسخية تفصلها دوائر لرسوم حيوانية، فيما حمل الشريط الثالث الأعلى كتابات كوفية تفصلها وحدات زخرفية، وهناك فتحة بأعلى كل قطعة لتثبيتها في الباب، تعود المزينتان إلى القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي تقديرًا. [المصدر خراسان: «بلاد فارس»].



دفتا كتاب
إيران - ق١٩م

إبريق من الفخار المزجج
سورية - ق١٣م

أعمال بريتشا في معرض

أقيم في الرابع عشر من سبتمبر/أيلول الماضي معرض فني لأعمال عالم الآثار الإيطالي إيبالي إيفاريتسو بريتشا الذي شغل منصب مدير المتحف اليوناني في الإسكندرية مدة عشر سنوات. وقد أقيم المعرض على ظهر السفينة الإيطالية الشهيرة أميرغو فيسيبوتشي في مياه البحر الأبيض المتوسط في الإسكندرية، وتضمن المعرض أيضًا عرضًا لفيلم «إلى واحة سيوة مع الملك فؤاد» الذي قام بتصويره بريتشا نفسه في مناسبة رحلته إلى واحة سيوة عام ١٩٢٨م.

وتعد سفينة أميرغو فيسيبوتشي التي أقيم المعرض على ظهرها إحدى أشهر السفن الإيطالية، وقد قام بتصميمها فرانشسكو روتوندي أحد أفراد سلاح الهندسة البحرية الإيطالية، وتم الفراغ من تصميمها وتجهيزها عام ١٩٣٠م في الترسانة الملكية الإيطالية في كاستيلا ماريه دي ستابيا، وأصبحت جاهزة للإبحار عام ١٩٣١م، وقد زودت السفينة بعدد كبير من الأشرعة المختلفة بلغت نحو عشرين شراعًا، وبلغت مساحة أسطحها نحو ٣٠٠٠متر مربع، كما أن السفينة قد جددت عدة مرات، ويبلغ طاقمها الحالي نحو ٤٥٠ فردًا.

فنارات عراقية

شهدت مدينة البصرة العراقية صدور العدد الأول من مجلة «فنارات» التي يصدرها الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في البصرة، ليكون أول إبداع أدبي في عراق ما بعد صدام.

وجاء في أولى صفحات المجلة «فنارات من المنفى» وهي قصيدة لسعدي يوسف عنوانها «الطواف بالمقاهي الثلاثة»، ثم كتب رئيس تحرير المجلة حاتم العقيلي افتتاحية العدد وجاءت بعنوان «أول الفنارات»، تحدث فيها عن هذه «اللحظة التاريخية القاسية والحرجة» التي يمر بها عراق اليوم، التي «راح يتأبد فيها الزمن كله ويعاد تشكيله ثانية» حيث «الوطن مدمر.. والأرواح شقية مستلبة.. والسواد يلف العراق ويغطيه مثل غيمة شتائية غريبة وقاسية، تنذر بمطر آت لا يمكن التكهن بلون قطراته».

وتوالت بعد الافتتاحية موضوعات العدد الشعرية والقصصية والنقدية التي جاءت تحت عدة أبواب: ففي باب «رؤى» كتب د. لؤي حمزة عباس دراسة بعنوان: «الانشغال باللحظة المستحيلة» تابع فيها إنجازات الفنان التشكيلي هاشم تايه، كما ترجم علي عبدالصمد مادة بعنوان «فهم الثقافة الشعبية» وهي فصل من كتاب «قراءة الشعبي» للبروفيسير فسك.

وفي مجال السينما تناول خالد السلطان «مجازات إيزنتشين الفلمية»، وجاء موضوع الدكتور حامد الظالمي عن الاستشراق والعالم الإسلامي، قدم فيه تعريفًا بالمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، وقال: إنه وظف جل معارفه الاستشراقية لخدمة الأهداف الاستعمارية.

وجاء في باب «سرود» عدد من القصص القصيرة منها: «الستون» لمحمد خضير، و«نبوءة الجبل الأسود» لفاروق السامر، و«شرائط وشهداء» لجابر خليفة الجابر، و«الضيوف» لوحيد غانم، و«تحولات في طبائع الأشياء» لرمزي حسين، و«عربة تحرسها الأجنحة» لفرات صالح، بالإضافة إلى بعض القصص القصيرة الأخرى لكامل فرعون، وصلاح عيال، وقاسم علوان.

وكانت الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء والكتاب في البصرة قد عقدت اجتماعها الموسع الأول في الثاني والعشرين من مايو/أيار الماضي لمناقشة ورقة العمل المقترحة، وأكدت الهيئة في ورقة العمل «أنها لا تملك حق سحب الهوية وإسقاط العضوية على الأعضاء الذين حصلوا على هويات الانتماء بوسائل لا علاقة لها بالكتابة والإبداع، كما أنها لا تملك الصلاحية لمنح الهوية للأعضاء الجدد».

ودعت (فنار) جميع الأدباء والكتاب العراقيين للمساهمة في أعدادها القادمة.

الآثار السورية في أرشيف إلكتروني

بدأ العمل في سورية قبل أربعة أشهر في تنفيذ مشروع علمي لأرشفة ملايين القطع الأثرية وتأسيس قاعدة بيانات لها، ويتم تنفيذ المشروع، الذي انطلق من متحف دمشق الوطني المعروف بأبي المتاحف، ومتاحف ريف دمشق والمنطقة الجنوبية بمعاونة وفد أوربي.

وقال الدكتور مأمون عبدالكريم مدير الجانب السوري في المشروع: «أجريت أخيرًا فرق عمل حول هذا المشروع العلمي وتوفير معلومات للمتدربين في المجالات الآتية: إدخال معلومات ضمن قاعدة بيانات باللغة العربية بخصوص القطع الأثرية المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق، والمعلومات التي تتضمنها قاعدة البيانات: الموقع، والرقم المتحفي، والمادة، والمصدر، ومعلومات تفصيلية، وقياسات، وتوصيف مجموعة الأوابد الأثرية: المنحوتات، والنحت البارز، والأدوات، والزخارف المعمارية، وقياس الأبعاد (الطول - العرض - العمق)، وأخذ مشاهد الصور من جميع الجوانب ومعالجتها بواسطة الكمبيوتر، وتم وضع مخطط جديد لعرض القطع الأثرية لمتاحف دمشق ودرعا».

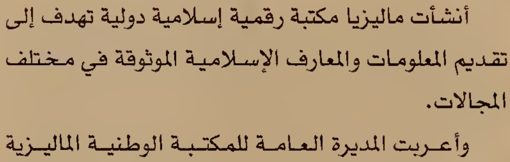
وأضاف عبدالكريم: «أن العمل في المشروع سيستمر حتى

ربيع ٢٠٠٤م، ليكتمل في يونيو/حزيران ٢٠٠٤م، وبعد هذا التاريخ سيتم إتمام السجل التوثيقي للمتحف الوطني من قبل عناصر المديرية العامة للآثار السورية».

الجدير بالذكر أن قاعدة المعلومات الجديدة قد أنشئت باللغة العربية BIA للاستثمار في المتحف الوطني بدمشق وفروعه المختلفة، كما يمكن العمل مع قاعدة البيانات الرئيسة للإدارة العامة.

من ناحية أخرى تقوم الجهات السورية بتنفيذ عدد من المشروعات للمحافظة على النسيج العمراني لبعض المدن السورية القديمة في كل من حلب واللاذقية وطرطوس وحمص وغيرها من المدن السورية، وقد أقيم عدد من فرق العمل والمعارض حول هذه المشروعات للوقوف على ما تم الوصول إليه في مجال حماية العمارة القديمة في هذه المدن.

مكتبة رقمية إسلامية عالمية



أنشأت ماليزيا مكتبة رقمية إسلامية دولية تهدف إلى تقديم المعلومات والمعارف الإسلامية الموثوقة في مختلف المجالات.

وأعربت المديرة العامة للمكتبة الوطنية الماليزية السيدة زاوية بابا عن أملها في عرض دليل (فهارس عامة) للمكتبة خلال مؤتمر القمة الإسلامي العاشر المزمع عقده في أكتوبر المقبل في ماليزيا.

وأوضحت السيدة زاوية بابا أنه سيتم إدخال معلومات موثقة في الدليل الذي يبرز علاقته الوطيدة مع العلم، وهو متطابق مع شعار مؤتمر القمة الإسلامي القادم (العلم والأخلاق نحو تقدم الأمة).

وأضافت: أن المكتبة الوطنية الماليزية حصلت على الدعم والتعاون من جميع المكتبات في العالم التي مكنتها من تقديم أفضل المعلومات لقادة الدول الأعضاء حول الإسلام والتي تم أخذها من مصادرها الأصلية، مؤكدة أن تلك المكتبة ستصبح مصدرًا مهمًا للمعلومات والمعارف لا للمسلمين فحسب بل للجميع.

وتجدر الإشارة إلى أن الدليل ستتجدد المعلومات فيه من حين إلى آخر، كما يستطيع الزائرون التفاعل معه بطرح الأسئلة أو إبداء الرأي حول الإسلام.



كتاب بدرهم

بمناسبة احتفالات دولة الإمارات العربية المتحدة بالذكرى السابعة والثلاثين لعيد الجلوس، طرح المجمع الثقافي في أبو ظبي إصداراته للبيع للجمهور بدرهم واحد فقط لكل كتاب. حيث عرض المجمع ١٠٣عناوين من مختلف الإصدارات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتاريخية والفنية وغيرها من كتب أصدرها المجمع منذ تأسيسه حتى الآن. وفتح المجمع أبواب القاعة الكبرى للجمهور لاقتناء إصداراته من كتب مسموعة وموسوعات شعرية بأسعار رمزية.

وقد لقيت هذه الخطوة استجابة كبيرة من قبل عدد من المواطنين والمقيمين في دولة الإمارات وبشكل خاص في أبو ظبي.. وتتكرر هذه الخطوة للمرة الثانية خلال هذا العام بعد أن تم عرض إصدارات المجمع مدة يومين متتالين بمناسبة اليوم العالمي للكتاب حيث بلغ عدد المبيعات حينها ٤٠ ألف نسخة (نحو ٦٠٠ ـ ٧٠٠ نسخة من كل عنوان) بيعت بأربعين ألف درهم، أي بدرهم واحد فقط لكل نسخة.

ويعدّ المجمع الثقافي هيئة وطنية عامة مستقلة أنشئت في بداية الثمانينيات تلبية لنشر الثقافة المحلية بخصائصها العربية الإسلامية، والتعريف بالثقافات العالمية والانفتاح عليها إغناءً وتطويرًا للحركة الثقافية بشكل عام.

ويهدف المجمع الثقافي إلى رعاية النشاط الفكري والإبداعي واستخدام كل الوسائل المتاحة والمناسبة، لتشجيع الحركة الثقافية أدبيًا وفنيًا وعلميًا على الصعيد المحلي والعربي وإقامة صلات وروابط ثقافية مع الجهات العالمية المعنية.

ويضم المجمع حاليًا ثلاث مؤسسات رئيسة تتفرع عنها وحدات تابعة لها، وهذه المؤسسات هي دار الكتب الوطنية ومؤسسة الثقافة والفنون والأرشيف الوطني.

من ناحية أخرى تعرض دار الكتب الوطنية في المجمع الثقافي للجمهور ـ كما جاء على موقع المجمع على الإنترنت ـ مكتبة الشيخ القطري فالح بن ناصر التي باعها ورثته (للمجمع)، وهي تضم مجموعة من أمات الكتب في مناحي الحياة كافة.

وتعد موجودات مكتبة الشيخ فالح بن ناصر آل ثاني من أهم المصادر التي تحتويها دار الكتب، ويبلغ عدد العناوين فيها نحو خمسة آلاف عنوان من نوادر الكتب في مناحي المعرفة المختلفة، ولها فهارس خاصة بها، وتقدم خدماتها للباحثين وطلبة الدراسات العليا، وفي عرضها للجمهور بشكل عام يقدم المجمع خدمة جليلة بالتعريف بهذه المكتبة التي لا تقدر بثمن، كما يتيح عرضها للمهتمين فرصة الاطلاع على محتوياتها وإضاءة الموضوعات التي تناولتها وخاصة لجهة بعض المؤلفات التراثية والمخطوطات التي قد لا يحصل عليها الباحث في أي مكان آخر، والجدير بالذكر أن هذه المكتبة هي جزء من دار الكتب الوطنية بالمجمع التي تضم عددًا من القاعات العامة والمتخصصة.

المرأة العربية والإنترنت

أشارت دراسة أجراها موقع «الوراق» الإلكتروني العربي «الذي يتخذ من أبوظبي مقرًا له» إلى تدني نسبة استخدام المرأة العربية للشبكة الإلكترونية، وتدني إقبال الشبان العرب «تحت سن ٢٠ عامًا» على المواقع العلمية والثقافية، كما أظهرت الدراسة أن نسبة إقبال المرأة العربية على الإنترنت بلغت نحو ١٨ ٪ من مستخدمي الشبكة العرب.

وكشفت الدراسة ارتفاع نسبة إقبال العرب تحت سن ٢٠ عامًا على ألعاب الكومبيوتر ومواقع المحادثة بدلاً من التوجه إلى المواقع العلمية.

ويرى معتصم زكار الذي أجرى الاستطلاع، والذي يشرف على الموقع تقنيًا، أن تدني إقبال الفتيان العرب على المواقع العلمية «أمر يدعو إلى القلق»، ودعا إلى إطلاق مواقع عربية ذات محتوى علمي وثقافي ملائم للشبان، وتيسير استخدام المرأة العربية لتكنولوجيا المعلومات «من خلال التخفيف من القيود الاجتماعية المفروضة عليها، والعمل على تطوير محتوى عربي ملائم للمرأة العربية، وإشراكها أكثر في عملية صناعة المحتوى الرقمي».

فرانسواز ساغان في العناية الفائقة

ذكرت وسائل الإعلام الفرنسية مؤخرًا أن الروائية الفرنسية المعروفة فرنسواز ساغان التي تبلغ من العمر ٦٨ عامًا، دخلت في الخامس من أيلول/سبتمبر الماضي قسم العناية الفائقة في مستشفى جورج بومبيدو الباريسي، وهي منذ ذلك اليوم في حالة غيبوبة. وأفادت مصادر طبية أن صاحبة «صباح الخير أيها الحزن» أصيبت بالغيبوبة بسبب تناولها جرعة كبيرة من الأدوية. لكن حالتها بدأت في التحسن، وخرجت جزئيًا من الغيبوبة، إلا أن الأطباء لا يزالون قلقين في شكل جدي على صحتها.

ويذكر أنها المرة الثانية التي تدخل فيها ساغان في غيبوبة، بسبب تناولها جرعات كبيرة من الأدوية. وكان سبق أن عثر عليها في غيبوبة عام ١٩٨٥م في غرفتها في الفندق خلال جولة رسمية كانت ترافق فيها الرئيس الفرنسي فرانسو ميتران آنذاك شملت عددًا من دول أمريكا اللاتينية.

ولدت فرانسواز ساغان عام ١٩٣٥م في كارجاك في مقاطعة لوت الفرنسية. وعرفت الشهرة دفعة واحدة، وهي في سن الثامنة عشرة بعد صدور روايتها الأولى «صباح الخير أيها الحزن» عام١٩٥٤م، وتوالت بعد ذلك أعمالها الأدبية في الرواية والمسرح والسيناريو السينمائي، وهذا ما جعلها واحدة من أبرز كتّاب القرن العشرين.

وقد عانت ساغان مشكلة الإدمان في منتصف الثمانينيات مما أبعدها عن الكتابة سنوات. ثم عادت إلى الواجهة منتصف التسعينيات.

وكانت ساغان قد واجهت متاعب قضائية بتهمة التهرب من الضرائب، وأدينت وحكم عليها بالسجن سنة مع وقف التنفيذ، وبدفع غرامة قدرها ٨٠٠ ألف يورو، مما تسبب في مصادرة بيتها الريفي، وبيعت ممتلكاتها في المزاد، ووجدت الروائية المشهورة نفسها محاصرة بالمرض والشيخوخة والمشكلات المالية مما دفع عددًا من المثقفين الفرنسيين إلى توجيه عريضة احتجاج إلى الرئيس الفرنسي شيراك طالبين منه وضع حد لهذا الوضع المؤسف.



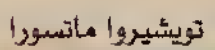
جائزة الشارقة للثقافة العربية

سلم تويشيروا ماتسورا المدير العام لمنظمة اليونسكو جائزة الشارقة للثقافة العربية للعام ٢٠٠٣م إلى الكاتب المغربي سالم حميّش والأكاديمي البوسني البروفيسور أسعد دوراكوفيتش بناء على توصية لجنة تحكيم دولية اجتمعت في مقر المنظمة في الثامن والتاسع من الشهر الماضي.

وسالم حميّش هو روائي وشاعر وباحث أصدر ٢٦ كتابًا باللغتين العربية والفرنسية، ومن أعماله الأدبية كتاب «الحمى والحكمة،» ومن أبحاثه التفكير في الانحطاط انطلاقًا من ابن خلدون، ومعرفة الآخر.

أما أسعد دوراكوفيتش فهو أستاذ جامعي ومستشرق قام بترجمة النتاج الأدبي من مختلف مراحل الثقافة العربية الكلاسيكية والمعاصرة، وأصدر أعمالاً حول أدب طه حسين وجبران خليل جبران ونجيب محفوظ، وفي عام ١٩٩٤م قام بترجمة كتاب «ألف ليلة وليلة»، كما ترجم المعلقات السبع.

وتبلغ قيمة جائزة الشارقة ٢٥ ألف دولار لكل فائز، وقد أنشئت بقرار من المجلس التنفيذي لليونسكو عام ١٩٩٨م، بناء على هبة من حاكم الشارقة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، وهي تمنح كل عامين إلى (شخصيات أو جماعات أو مؤسسات أسهمت على نحو مهم في تنمية الثقافة العربية ونشرها في العالم).


تويشيروا ماتسورا



سرقة كنوز العراق

صاحب الكارثة التي تعرضت لها الآثار التاريخية العراقية على أثر اجتياح قوات الاحتلال الأمريكية بغداد كثير من التساؤلات: من هم السارقون؟ وكيف دخلوا المتحف؟ ولماذا تخلى الحراس عن مهمتهم في حماية المتحف؟ ولماذا لم تتدخل القوات الأمريكية المحتلة لمنع هذه الجريمة البشعة؟ أسئلة كثيرة حائرة حاولت وسائل الإعلام العربية والأجنبية الإجابة عنها منذ دخول القوات المحتلة بغداد، وقد استطاع أحد صحفي صحيفة الشرق الأوسط الدخول إلى متحف بغداد، وقابل مسؤولين وغيرهم، وأجاب في تقريره عن كثير من هذه الأسئلة.

فقد سأل الصحفي، مدير قسم التوثيق والمسح التراثي في المتحف العراقي الدكتور حميد محمد حسن الدراجي، عن عدد القطع المسروقة من المتحف؟ فقال: إن عددها يبلغ سبعة آلاف قطعة أثرية، من بينها ٣٨ قطعة أثرية شديدة الأهمية، وكل القطع التي استعيدت ليست ذات أهمية عدا (الإناء النذري)، وأضاف الدكتور الدراجي أن مجموعة المخطوطات الخاصة بالمتحف كلها سليمة، إذ تم نقلها قبل الحرب بمدة إلى ملجأ اليرموك الذري، وتولى أهالي المنطقة حمايتها.

وحدد الدكتور الدراجي أربع جهات كان لها دور في سرقة المتحف هي: القوات الأمريكية التي لم تضطلع بواجبها بوصفها جيش احتلال، على الرغم من علمها المسبق بالأهمية القصوى لمحتويات المتحف للحضارة الإنسانية، وتجار الآثار من العراقيين والأجانب المعروفين بخبرتهم في بيع الآثار وتداولها، وكانت لهم علاقات وطيدة مع المتحف من خلال بيع الآثاروشرائها ، وعدد من الموظفين السابقين والحاليين الذين قاموا بدور الأدلاء، وأخيرًا اللصوص وكان همهم الحصول على الآثار وعلى المكيفات.

وقدر الدكتور ربيع القيسي مدير هيئة الآثار العامة بالوكالة القطع الأثرية المفقودة بالآلاف، وقال من المتعذر تقديرها، فلا يزال هناك ركام من الصناديق المبعثرة والمحطمة، بالإضافة إلى تلك التي اختفت، وقد بلغ عدد القطع المفقودة من المعروضات ٤٧ قطعة معظمها من الجص، وأهم القطع المسروقة من هذه المجموعة تمثال الملك الآشوري شلمنصر الثاني. وشرح القيسي الجهود التي يقومون بها من أجل إرجاع هذه الكنوز إلى بلدها.

أما الدكتورة نوال المتوكل مديرة المتحف فلم تعط رقمًا محددًا للقطع الأثرية التي سرقت من المخازن، ولكنها قالت: إن الموظفين صنفوا نحو ٢٠ ألف قطعة من المفقوات، وعن هوية اللصوص قالت المتوكل: «إن الذين سرقوا المتحف يعرفونه جيدًا».

وتدور أحاديث كثيرة بين العاملين في الهيئة عن قصص مواطنين عراقيين عثروا أو اشتروا أو وقعوا بطريقة من الطرائق على قطع أثرية مسروقة، وقاموا بإعادتها إلى المتحف دون مقابل، لعل أشهرهم عبداللطيف حسن الكعبي الذي أعاد نحو ١٧٠ قطعة أثرية منهوبة دفعة واحدة، بالإضافة إلى الدور الكبير الذي أدّاه في إنقاذ المتحف الذي كان يسمى بمركز صدام للفنون من انفجار وحريق كانا يهددانه.



بلدي المخترع

أصدرت الكاتبة التشيلية الأصل الأمريكية الجنسية إيزابيل الليندي مؤخرًا كتابها الحادي عشر «بلدي المخترع»، والكتاب الجديد أشبه برحلة ملؤها الحنين والشوق إلى أعماق تشيلي، تبدو فيه الكاتبة كأنها تتعقب موطنها الأصلي أرضًا وحضارة وشعبًا يعيش على الأساطير، وقد مازجت الكاتبة في أسلوبها بين الوقائع والنوادر والذكريات والحكايات التي كانت تسمعها وهي طفلة، ووصف النقاد كتابها الجديد هذا بأنه يدخل في نطاق الواقعية السحرية التي عرف بها أدب أمريكا اللاتينية.

وكانت إيزابيل قد قامت بعدة رحلات إلى عدد من أقطار العالم منها: لبنان، وبلجيكا، وبيرو، واستقر بها المقام أخيرًا في كاليفورنيا، وحصلت على الجنسية الأمريكية قبل عشر سنوات، وهي حاليًا تشعر وكأنها فعلاً مواطنة من كاليفورنيا، وقد سوغت شعورها الأمريكي الجديد هذا بأنه لم يشطر قلبها، وإنما فقط حصل له اتساع، «فحاليًا كاليفورنيا هي بلدي وتشيلي هي أرض حنيني».

وقد تعرضت إيزابيل لاعتراضات من عدد من النقاد التشيليين الذين قالوا بأنها تنصلت عن أصلها التشيلي ممجدة بلدها الجديد أمريكا، ولكن إيزابيل ردت على هذه الاعتراضات بأنها مازالت تحب تشيلي، ومازالت تحمل جواز سفرها التشيلي، وأكدت أن تشيلي هي البلد الذي كثيرًا ما تستحضره في عزلتها: «إنه الوطن الذي يُشكل الستارة الخلفية في كل قصصي، والذي غالبًا ما يتراءى في أحلامي».





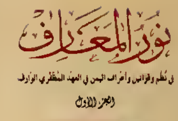
مهرجان مسرح الدمى الفلسطيني

أعلن مدير المسرح الوطني الفلسطيني جمال غوشة في القدس مؤخرًا أن «خمس دول إلى جانب فلسطين ستشارك في الدورة الثالثة عشرة لمهرجان مسرح الدمى الذي يبدأ في ١٠ أكتوبر/ تشرين الأول، ويستمر ١٥ يومًا».

وأضاف بقوله: «إن فرقًا من إيطاليا وكندا وفرنسا وتشيكيا وفنلندا، إلى جانب فرق فلسطينية، ستقدم أعمالها في المحافظات الفلسطينية انطلاقًا من القدس».

وأشار غوشة إلى مشاركة المسرح الوطني بعدد من الأنشطة خارج المناطق الفلسطينية، من بينها المشاركة في «مهرجان الطفل العربي السادس» في عمان بمسرحية «القدس والأمير الصغير» التي تستعرض مدينة القدس بصور ودمى، وأخرجها للمسرح عبدالسلام عبدو، وأشرف عليها الفرنسيان آني وآلان لاكوك.

وختم غوشة أن «المسرح الوطني الفلسطيني يواصل تقديم رسالته عبر فعاليات فنية على خشبة مسرحه وفي المحافظات الفلسطينية وفي العالم لإبراز القدس ومعاناة مواطنيها».





جازم، محمد عبدالرحيم (محقق)/ نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف. صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، ٢٠٠٣م، ٦٩٤ص.

هذا الكتاب هو الجزء الأول من مخطوطة (نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف) وتقع في ١٥٤ ورقة من جملة أوراق المخطوط الكاملة التي تبلغ ٢٢٤ ورقة.

وتحتوي مخطوطة الجزء الأول التي يضمها هذا الكتاب على وثائق قانونية ومالية تم تجميعها في آخر عهد السلطان المظفر (١٢٩٤ ـ ١٢٩٥م)، وتمثل هذه المخطوطة الأداة التي استخدمتها إدارة الدولة الرسولية من أجل إرساء سلطاتها الضريبية على سائر القطاعات الاقتصادية، وبهذا فإنها تلقي الضوء بصورة فريدة على جوانب متعددة من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اليمن في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، إذ تصف المخطوطة بدقة نظم الإنتاج والتبادلات التجارية، وكذلك آليات ضبطها من قبل الإدارة المالية، وتقدم بعناية شديدة قوائم بالمواقع الحرفية وتقنيات الصنع، وطبيعة المواد الأولية ومصادرها، وكل المنتجات الحرفية في تلك الفترة: الملابس، والأسلحة، والمجوهرات، والمصنوعات الجلدية، والأحذية، والسجاد، والخزف، والأدوات المنزلية المصنوعة من الزجاج والخزف الصيني والخشب والحجر، وكذلك الآلات الموسيقية، وأدوات القياس والمكاييل، كما نجد تصنيفًا للموارد الزراعية، وإنتاج الفاكهة، والأقوات، والغلال، وقطعان الأبقار والأغنام، وغير ذلك. وتحتوي المخطوطة أيضًا على الموجهات الاقتصادية والمالية للسلطة المركزية ابتداءً من لوائح الأسعار وتعرفة النقل البحري، مرورًا بنقل البضائع ورواتب العسكريين من مختلف الرتب، حتى بدلات السفر لموظف يذهب في مهمة من تعز إلى صنعاء وغيرها.

والمخطوط مبتور من أوله مع أن تجليده يدل على أن أسباب البتر أو سقوط بعض أوراقه ربما حدثت في الزمن نفسه الذي تم تدوينه فيه لأسباب غير معلومة، وما وصل من المخطوط لا يحمل عنوانًا يدل عليه، فسماه المحقق (نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف) اعتمادًا على بعض الاستنتاجات نتيجة خبرته الطويلة بتاريخ تلك الفترة.

وأبدى المحقق آراءه وملاحظاته في عدد من القضايا في الهوامش لضخامة المخطوط ولكثرة الموضوعات التي تطرق إليها، وقد اعتمد المحقق في تحقيقه للمخطوط على عدد كبير من المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة، بالإضافة إلى قيامه بدراسات ومسوحات ميدانية شملت عددًا من الحرف اليدوية والمهن المختلفة المذكورة في المخطوط في مختلف أرجاء اليمن وبعض أسواق مدينة القاهرة.

وذكر المحقق أنه قام بمساعدة عدد من طلبة العلم والباحثين في مرحلة الماجستير والدكتوراه وأمدهم بالمواد التي يطلبونها من هذا الكتاب في أثناء عملية التحقيق

مشترطًا عليهم الإشارة في رسائلهم إلى قيامه بتحقيق المخطوط، كما ناشد المحقق أيضًا من يتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل أن يشيروا إليه كمصدر ولا يسعون إلى إدخال تغيير أو تبديل على ما خطه يراعه، «ولا بأس من نقد ناقد منصف ضرب في ميدان العلم بنصيب».

وكتب مقدمة الكتاب فرانسوا بورجا مدير المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، إضافة إلى مقدمة المحقق التي تناولت المخطوط من كل جوانبه.



ابن سبعان، صالح بن عبدالرحمن/ مغامرة التنمية والتحديث: مقدمات لرؤى إستراتيجية حول قضايانا ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ ٢٥٤ص.

يحاول مؤلف هذا الكتاب، أن يؤسس لرؤية فكرية شاملة عبر مساهماته الفكرية، سواء على المستوى الأكاديمي من خلال أبحاثه وأوراقه العلمية، أو على المستوى العام، من خلال كتبه ومقالاته الصحفية.

وتشهد هذه الرؤية بشكل أساسي على وعي هو واقعي يقدم على تشريح معطيات الواقع الماثل، ثم يلقي بناظريه إلى الأمام، متطلعًا إلى آفاق تحاول أن تستشرف المستقبل، وتبحث جاهدة عن مسار لتجاوز هذا الواقع.

والمؤكد أن الدولة والمجتمعات ـ حتى الأفراد ـ حين يتعرضون لهزات التنمية والتحديث، فإن زلزالاً ما يخلخل كيانهم، والتطور والتحديث والتنمية ضرورة لا يمكن لأحد أن ينكرها أو يرفضها، أيًا كان شكلها، إلا أن لها مشكلاتها، وتحدياتها، التي تتجلى في مختلف مناحي حياة المجتمع، كما أنها تظهر في مناحي حياة الأفراد كافة.

وتحاول مقالات هذا الكتاب، التي نشرت من قبل على صفحات صحف «الحياة» و«الاقتصادية»، و«عكاظ» وغيرها من الصحف، ملامسة آفاق هذه المشكلات والقضايا، والتعرف إلى طبيعتها، وتشريحها.

وتمتاز هذه المقالات والأطروحات بطرح فكري يحاول إيجاد صيغ وحلول ومعالجات، وطرح أجوبة تظل عالقة في أفق المجتمع السعودي، إذ لا يكتفي المؤلف بتشخيص المشكلات وتشريع القضايا، ولكنه يسعى جاهدًا إلى البحث عن أجوبة، واقتراح حلول، وطرح أبدال تتجه في بعض الأحيان اتجاهًا علميًا.



غصوب، مي وإيما سنكليرويب (إعداد) / الرجولة المتخيلة: الهوية الذكرية والثقافة في الشرق الأوسط الحديث ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢م، ٣٠٣ص.

نقطة انطلاق هذا الكتاب أن الذكرية لا تقل عن النسائية بوصفها نتاج انبناء اجتماعي ومصدر تعدد كبير في الأشكال والتجليات. فهناك عدة طرائق كيما يكون المرء رجلاً، ويفهم العملية التي تُبنى بموجبها الهويات الذكرية المنمّطة، أو يعاد إنتاجها أو تُمتحن.

وينطلق هذا الكتاب من بحوث أكاديمية ودراسات وقراءات في الثقافة الشعبية، ومن نصوص أدبية وشهادات تتجنب المزاعم المعمّمة لترتكز على ما هو خاص في العمليات الاجتماعية للذكورة، فإنها تتناول التقاليد التي يبدأ بها تدشين الرجولة: كالختان،



وقصة الشعر الأولى، والخدمة العسكرية، كذلك تستوقفها الصور التي تتخذها لنفسها الطاقة والجنسية الذَّكَريتان كما تظهران في شتى مجالات الإنتاج الثقافي كالفيلم والرواية والموسيقا الشعبية.

وقد جاء الكتاب في ثلاثة أقسام: جاء القسم الأول بعنوان «صنع الرجال: المؤسسات والممارسات الاجتماعية»، والثاني بعنوان «الذكر حكاية: السرود والصور والأيقونات»، والثالث «الشهادات والهوية الذكورية».

ومعدتا الكتاب هما: مي غصوب: كاتبة ونحاتة تقيم في لندن، نشأت وترعرعت في بيروت وكتبت عدة مقالات في الثقافة والجماليات وقضايا الشرق الأوسط لصحف ومجلات عربية ودولية. مجموعتها الأخيرة «مغادرة بيروت: النساء والحروب من الداخل» (بالإنجليزية) سبق أن صدرت أيضًا عن (دار الساقي)، وإيما سنكليرويب، وهي تعمل حاليًا في إجازة بحثية من (جامعة ميدل سيكس) بإنجلترا حيث تدرِّس في (مدرسة الإنسانيات والدراسات الثقافية)، وعملها الحالي يدور حول الدين والسياسة في تركيا.



موسوعة بيت الحكمة لأعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين، مجموعة باحثين- بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٠م/ ١٤٢٠هـ، ٦٤٥ص.

عني العرب منذ عهد مبكر من تاريخهم بتدوين تراجم أعلام الرجال والنساء من الذين أسهموا في علم أو أدب، أو برزوا في جانب من جوانب المعرفة، وتنوعت بتنوع تلك المدونات ومناهج مؤلفيها، فكان منهم من رتب تلك التراجم وفق وفياتهم، ومنهم من رتبها على اطراد القرون التي عاشوا فيها، وثمة من رتبها بحسب المدن التي عاشوا فيها، أو قصدوها أو على وفق مقدار دقتهم في رواية الحديث الشريف، إن كانوا من المحدثين، أو وفق طبقتهم في الشعر إن كانوا من الشعراء، أو أنهم وضعوها في إطار المدرسة الفقهية التي ينتمون إليها إن كانوا من الفقهاء، ومنهم من رتب التراجم على أساس ما ألفه أصحابها في علم من العلوم، فإن لم يكن ثمة منهج من هذه المناهج، رتبوها وفق حروف المعجم ،فيسروا أمر مراجعتها للطالبين، فضلاً عمن كتب تراجم أعلام عصره دون ترتيب محدد. وتشترط هذه الموسوعة فيمن تترجم لهم أن يتحقق في مسيرته شرطين رئيسين: هما:

- شرط العلمية: «بفتح العين واللام» أي أن يكون في سيرته ما يستحق أن يسمى علمًا بين أقرانه، فإن كان قائدًا اقتضى ذلك الشرط أن يكون دوره واضحًا في قيادة قومه في الظروف الصعبة، وإن كان عالمًا توجب أن يتمثل شرط العلمية في إنجازات بارزة حققها، أو كان مؤلفًا فتكون نوعية مؤلفاته وجدتها، ومستواها بين المؤلفات الأخرى في موضوعها سبباً في ذلك الشرط.
- شرط الولاء القومي: وهو أن يكون العَلم قوميًا في اتجاهاته العامة، أي أن يكون مؤمنًا بأمته مواليًا لها داعيًا لدورها التاريخي.

ولم تقتصر الموسوعة في ترجمتها على الأعلام المتوفين فقط، بل شملت حتى الأحياء منهم.



الحسن، عبدالعزيز حمد/ المسلسلات الدرامية التلفزيونية في ميزان المشاهدين والخبراء والمنتجين: دراسة وصفية تحليلية ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٣هـ، ٢٢٨ص.

تعد هذه الدراسة محاولة علمية للوصول إلى الأسباب الحقيقية التي تكمن خلف ضعف الإنتاج السعودي من البرامج الدرامية وقلته، من وجهة نظر القائمين على إنتاج هذه البرامج من مؤسسات الإنتاج الخاصة، والتلفزيون السعودي، ومن جهة نظر المشاهدين، والخبراء.. وهو ما يساعد على توفير نتائج علمية تستخدم في عملية تطوير الأعمال الدرامية التلفزيونية المحلية.

وترتكز هذه الدراسة على واقع البرامج الدرامية التلفزيونية المحلية التي يعرضها التلفزيون السعودي، من أجل إلقاء الضوء على هذه النوعية من الدراما، والكشف عن مستوى ملاءمتها وقبولها لدى المشاهدين والمختصين وتقييمهم لها، وهو ما يساعد على تعميق دور التلفزيون السعودي في المحافظة على الثقافة والقيم الخاصة بالمجتمع الإسلامي العربي السعودي.

وقد جاءت الدراسة في ستة فصول، جاء الفصل الأول بعنوان: (المدخل والدراسات السابقة)، والثاني عن (الإطار النظري للدراسة)، وتناول الثالث (الدراما التلفزيونية والتلفزيون السعودي)، والرابع عن (الإجراءات المنهجية والمعلومات الديموغرافية للمبعوثين)، وسجل الخامس (نتائج الدراسة الميدانية)، واقتصر السادس على (النتائج العامة والتوصيات).



القشعمي، محمد/ ترحال الطائر النبيل ـ بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ١٧٤ص.

جاء هذا الكتاب احتفاءً ببلوغ الكاتب عبدالرحمن منيف سن السبعين من عمره، وتقديرًا لجهوده المميزة في خدمة الأدب والثقافة العربية المعاصرة.

والكتاب سيرة ذاتية تؤرخ لحياة الكاتب وآثاره الأدبية، أوردها المؤلف تحت عدة عناوين: بدأت «بنشأة عبدالرحمن منيف»، وفيها تناول المؤلف (البدايات السياسية) للروائي و(بدايات الأدب)، ثم شرح «كيف يكتب عبدالرحمن منيف رواياته»، و«كيف اشترك مع جبرا في (عالم بلا خرائط)»، وأورد (الشهادات) التي قيلت في حقه في كل الصحف والمجلات العربية حينما فاز بجائزة القاهرة للإبداع.

وأفرد المؤلف بابًا للحديث عن آثاره شملت مؤلفاته في الاقتصاد والسياسة، والرواية، والكتب الأدبية الأخرى، والمقالات والدراسات التي نشرت في الصحف والدوريات العربية والأجنبية، والحوارات واللقاءات التي أجريت معه في الصحف والمجلات والقنوات التلفازية العربية والأجنبية.

وتحت عنوان «عبدالرحمن منيف في آثار الدارسين» تناول المؤلف (الكتب التي ألفت



بكاملها عنه)، و(الكتب التي قدم لها)، و(الكتب التي شارك فيها)، و(المقالات والدراسات الواردة في الكتب)، و(المقالات والدراسات في الصحف والدوريات).
وختم الكتاب بـ (الجوائز الأدبية) التي نالها الروائي منيف والتي منها: جائزة سلطان العويس الثقافية، وجائزة القاهرة للإبداع الروائي الأول.
كذلك أورد المؤلف أقوال بعض الروائيين العرب عن عبدالرحمن منيف منهم: سعدالله ونوس، وجبرا إبراهيم جبرا، ورضا بن حميد، وعبدالله عبدالرحمن الزيد، ومحمد الدبيسي، وعبده خال.



النملة، علي بن إبراهيم الحمد/ التنصير في المراجع العربية. ط٢: دراسة ورصد وراقي للمطبوع. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ، ٤١٨ص.
يعد التنصير أحد التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية والتي تهدف إلى تفتيت وحدتها، وقد توسع مفهوم التنصير فلم يعد قاصرًا على الدعوة إلى الدخول في النصرانية، بل إنه الآن يطوَّع بحسب البيئات الثقافية التي يعمل فيها. وقد تنبه المسلمون لهذه الحملات منذ القدم، ووقف لها العلماء والخلفاء والأمراء والولاة والمفكرون وعامة الناس بحسب قدراتهم، فظهرت أعداد كبيرة من الرسائل والدراسات والمقالات والأبحاث صدرت في الكتب والدوريات العلمية والمجلات والصحف السيارة.
وبسبب تناثر هذه المعلومات حول التنصير وتشتتها واختلاف البيانات الإحصائية وتغيرها مع الزمن، وجد المؤلف أنه من المفيد الوقوف مع الفكرة التنصيرية من حيث مفهومها، وأهدافها، ووسائلها المباشرة والمساندة، وسبل مواجهتها، فجاء هذا الكتاب الذي يشمل عرضًا عامًا لما كتب عن هذه الظاهرة باللغة العربية، ومحاولة الخروج بوقفة علمية موضوعية تختصر المسافة على القارئ بوضعها في مرجع واحد. وقد قام المؤلف برصد ما كتب عن التنصير في الأدبيات(المراجعَ العربية) وبخاصة ما جاء في الكتب والدوريات والمجلات الثقافية، وجعل هذه الوقفة مقدمة للرصد الوراقي (الببليوجرافي).
وقد تعمد المؤلف الابتعاد عن البيانات والإحصاءات لأنها - في الغالب - غير دقيقة لأسباب كثيرة، كما يعترف بعدم الرجوع إلى الإسهامات الأجنبية - مع القدرة على ذلك - والاقتصار على ما كتب بالعربية عدا العرض السريع لبعض ما كتب عن الوسائل، والنظرة إلى المستقبل والمكان، ويرد ذلك بعدم توافر المصادر والمراجع الأجنبية عند إعداد هذا الكتاب، على أمل أن يتم ذلك في طبعة تالية.



الحزيمي، سعود بن عبدالله/ خدمات الإعارة في المكتبة الحديثة. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢م، ١٥٦ص (السلسلة الثانية؛ ٣٩).
تعد الإعارة إحدى القنوات المهمة لتوسيع مجال استخدام مصادر المعلومات وإتاحة الخدمة لعدد أكبر من المستفيدين، كما تشكل الإعارة مؤشرًا مهمًا لقياس فعالية الخدمات بالمكتبة وتحديد الإيجابيات والسلبيات المصاحبة لتلك الخدمات.

هذا الكتاب هو الطبعة الثانية التي جاءت لتواكب جميع التطورات في مجال تقنيات الإعارة، وحملت ما استجد من الكتابات في مجالها وما حدث من التعديلات والإضافات على أدبياتها وإجراءاتها.

ومن الإضافات والتعديلات التي تضمنتها هذه الطبعة:

- تطوير القسم الخاص بدوافع الإعارة وتقسيمه قسمين: أحدهما يختص بدوافع المكتبات، والآخر بدوافع المستفيدين.
- مواكبة الجديد في مجال الإعارة المحسبة خاصة فيما يتعلق بالبرمجيات العربية والأجنبية، إذ تمت إضافة بعض البرمجيات الجديدة ومواكبة ما استجد من تطورات وتعديلات على الأنظمة السابقة.
- مواكبة الجديد في مجال الإعارة بين المكتبات وتخصيص قسم مستقل لتاريخ تطورها.
- في ملاحق الكتاب، تمت إضافة بعض اللوائح والقواعد الخاصة بالإعارة في المكتبات الجامعية والمدرسية، كما أضيف بعض شاشات برنامج الأفق الذي انتشر تطبيقه موخرًا في المكتبات العربية.

وكان الكتاب في طبعته الأولى قد تناول بالتفصيل أهم نظم الإعارة التقليدية والمحسبة مع ذكر النماذج والأشكال التي توضح الإجراءات العلمية الخاصة بكل نظام، وبيّن الأسس الرئيسة للإعارة المتبادلة بشكل عام، وفي المملكة العربية السعودية بوجه خاص، مع إعطاء نبذة مختصرة من خدمة حجز الكتب في المكتبات الجامعية والمعهدية، كما تضمن خمسة ملاحق لتكون أساسًا يستعان به في تدريس مادة الإعارة، أو تنظيم العمل في أقسام الإعارة.



مراد، صلاح وفوزية هادي / طرائق البحث العلمي: تصميماتها وإجراءاتها ـ القاهرة: دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٢م، ٥٣٩ص.

تعد البحوث أهم وأخطر ما ينتجه العلماء والباحثون في شتى فروع العلم والمعرفة من خلال المؤسسات العلمية ومراكز البحث العلمي، فهي التي تدفع عجلة تقدم الأمم، وتنمي المعرفة العلمية، ويعتمد تقدم الدول بدرجة كبيرة على ما تنجزه مؤسساتها العلمية من بحوث تعالج القضايا والمشكلات في مجالات العلوم المختلفة.

ولفقر كتب مناهج البحث باللغة العربية اعتمد المؤلفان في إعداد هذا الكتاب على مراجع مناهج البحث باللغة الإنجليزية خاصة كتابات جاك فرانكل، ونورمان والن وأفكارهما المدرجة في كتابهما (How to Design and Evaluate Research in Education)، بالإضافة إلى توظيف خبرتهما البحثية على مدى سنوات طوال، والاستشارات البحثية التي يقدمانها للباحثين في مجالات العلوم الإنسانية، ومراجعتها للبحوث العلمية وتحكيمها، والإشراف على عدد من الرسائل العلمية ومناقشتها.

ويحتوي هذا الكتاب على سبعة عشر فصلاً هي: «طبيعة البحث التربوي والاجتماعي»، و«مشكلة البحث»، و«المتغيرات والفروض»، و«مراجعة البحوث السابقة»، و«المعاينة»، و«أدوات البحث»، و«الصدق والثبات»، و«تحليل البيانات»، و«حجم التأثير والدلالة الإحصائية»، و«الصدق الداخلي»، و«البحوث التجريبية»، و«البحوث التاريخية»، و«كتابة خطط وتقارير البحوث».



الإذاعات العربية (ع١، ٢٠٠٣م)

مجلة يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية.

صدر العدد الأول من مجلة الإذاعات العربية، وهي متخصصة تعنى بشؤون الإذاعة والتلفاز في الوطن العربي، غايتها التعريف بالواقع الإذاعي والتلفازي العربي وتطويره نحو الأفضل، كما تعمل المجلة على إرساء الأسس النظرية والعلمية للعمل الإذاعي والتلفازي العربي، وبلورة تصور نظري مشترك ومتكامل، وغير ذلك من الأهداف التي تصب في مصلحة هذه الوسائط الإعلامية المهمة والمؤثرة.

وجاءت موضوعات العدد الأول من الدورية متنوعة تغطي عدة قضايا تهم هذه الأجهزة الإعلامية وقد جاءت الموضوعات في عدة أبواب: تناول الدكتور حسن عماد المكاوي في باب (قضايا للطرح والحوار) موضوع «الفضائية العربية الخاصة ومردودها الإعلامي»، وكان ملف هذا العدد عن «البرمجة الرمضانية العربية»، وقد شمل عدة موضوعات منها: «البرمجة الرمضانية: الكمي والنوعي» للدكتور عبدالقادر بن الشيخ، و«شبكة البرامج الرمضانية في التلفزيونات العربية:

تجاذب الدين والدنيا» للدكتور عبدالوهاب الرامي، و«البرمجة التلفزيونية الرمضانية في القنوات العربية» للدكتور عبدالعزيز بن حمد الحسن، و«حول الدراما الرمضانية العربية» للكاتب نادر أبو الفتوح، و«رأي... في ملامح الدراما التلفزيونية: من خلال السيناريو للكاتب عبدالقادر بن الحاج نصر، و«صورة المرأة في المسلسلات التلفزيونية: قراءة نقدية» للدكتورة منى الحديدي والدكتورة سلوى إمام، و«قراءة في مضامين المسلسلات: مسلسل فارس بلا جواد مثالاً» للدكتور المنصف العياري، و«تأملات في الخطاب الديني بالفضائيات العربية» للأستاذ محمد عبدالكافي، وغيرها من القضايا الأخرى.

وجاء في ركن الطفل العربي: «كلمة: سينما الطفل العربي وصمت المبدعين والمنتجين» للدكتور عبدالقادر بن الشيخ، و«صورة الطفل في الدراما العربية، للكاتب محمود قاسم.

وجاءت آخر أبواب المجلة بعنوان: «قراءات ومطالعات»، وقد تناولت فيها الأستاذة رفيعة الملوح «المسلسلات الدرامية والتلفزيونية المحلية في ميزان المشاهدين».

العنوان:

ص.ب: ٢٥٠ تونس

هاتف: ٨٥٥-٣-٧٠٣ ٧١ - ٨٥٤ - ٧٠٣ ٧١

ناسوخ: ٢٠٣ - ٧٠٤ ٧١ - ٧٠٥ - ٧٠٤ ٧١

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية (ع٢٥، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/يونيو ٢٠٠٣م)

مجلة إسلامية، فكرية، محكَّمة نصف سنوية، تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية في دبي.

اتسمت بحوث هذا العدد من الدورية بالتنوّع لتساهم في تحقيق أهداف المجلة المتمثلة في نشر الثقافة الإسلامية، والإسهام في الحفاظ على التراث الحضاري لهذه الأمة. وقد كتب افتتاحية العدد رئيس التحرير الدكتور محمد خليفة الدّنّاع، وكان أول بحث بعنوان: «مناسبات الآيات والسور: (نشأة علم المناسبة، ومحلها، ودلالتها، وأثرها في التفسير)»

قدمه الدكتور علي عبدالعزيز سيور، وتناول الدكتور أبوسعيد محمد عبدالمجيد «المصدر ودلالته البلاغية في القرآن الكريم»، وحدّد الدكتور محمد الزحيلي «الشرط الجزائي في المعاملات المالية والمصرفية»، وشرح الدكتور موسى رشيد حتاملة «معارف علمية في لسان العرب لابن منظور الإفريقي»، وتناول الدكتور سالم بن محمد القرني «محض الإيمان وصريحه»، وقدم الدكتور عيادة بن أيوب الكبيسي دراسة وتحقيقًا لمخطوطة «رسالة في: تفسير قوله تعالى: (إنما يعمر مساجد الله» للشيخ علي الأجهوري المالكي المتوفى سنة ١٠٦٦هـ - رحمه الله - وتناول الدكتور علي عبدالأحمد أبو البصل موقف الفقه الإسلامي من جريمة غسيل الأموال، وغير ذلك من البحوث.

العنوان:

ص.ب ٣٤٤١٤ دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

هاتف: ٣٩٦١٧٧٧

ناسوخ: ٣٩٦١٢٨٠

جذور (س٧، ع١٣، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/يونيو ٢٠٠٣م)

مجلة فصلية تعنى بالتراث وقضاياه، تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة.

احتوى هذا العدد من الدورية على عدد وافر من البحوث والدراسات الموثّقة التي تتناول جوانب كثيرة من التراث العربي من شعر ونثر ونقد وغير ذلك من ضروب التراث المختلفة.

كتب حسين بافقيه في بداية العدد تحت عنوان (بغداد) عن هذه المدينة التي وصفها بأنها خلاصة المدن العربية الإسلامية، وتناول ما تعرضت له من خراب ودمار، وما تعرضت له كنوزها الأثرية التي تؤرخ لنحو ستة آلاف عام من نهب ودمار.

وجاءت بحوث العدد كالآتي: «إشكالية قراءة التراث» لمصطفى بيومي عبدالسلام، و«قضية التحديات المعادية» لسمر روحي الفيصل، و«العباس بن الأحنف، وعلية بنت المهدي» لمحمد رجب البيومي، و«قرأت العدد الحادي عشر من (جذور)» لمحمد عبدالعزيز الموافي، و«النساء في النص النقدي في تراثنا» لسعاد المانع، و«الصورة الفنية وسلطة اللون» لمحمود جابر عباس، و«الدرس الاستعاري في الخطاب النقدي» لمصطفى بورشاشن، و«مفاهيم الحداثة في التراث النقدي العربي» لحميد الشابي، و«عتبة النص الشعري بين المبدع والمتلقي» لمحمد الواسطي، و«الناقة: مقطعًا من قصيدة المديح» لعبدالقادر الرباعي، و«أديب الفقهاء وشاعر الجمال» لمحمد الصادق عفيفي، و«قراءة في أدب (الديارات)» لمحمد الحسناوي، و«ابن زريق البغدادي» لخليل محمد إبراهيم.

العنوان:

جدة: ص.ب ٥٩١٩

ناسوخ: ٦٠٦٦٦٩٥

هاتف: ٦٠٦٦١٢٢ - ٦٠٦٦٣٦٤

البريد الإلكتروني: Culture @ gawab. Com.



المنهج العلمي التطبيقي لدى الجغرافيين العرب

محمد فؤاد الذاكري

حلب . سورية

اعترف العلم الحديث بأهمية الأدب الجغرافي في الإطار العام للدراسات العربية، والجغرافيون العرب ذلّلوا الطريق لدراسة المادة الجغرافية التي أورثها اليونان للعصور الوسيطة، وتكمن الأهمية الأساسية للأدب الجغرافي العربي في إسهامه بمواد جديدة، من خلال الكم الهائل للمعلومات الجغرافية لدى العرب عند موازنتها بما عرفه العالم القديم.

فقد عرف العرب أوربا بأجمعها باستثناء أقصى شمالها، وعرفوا النصف الجنوبي من آسيا، كما عرفوا إفريقية الشمالية وساحل إفريقية الشرقي، وتركوا وصفاً مفصلاً لجميع البلدان من إسبانيا غربًا إلى تركستان ومصب السند شرقًا مع وصف دقيق للمناطق المزروعة وأماكن وجود المعادن، وجذب اهتمامهم الجغرافيا الطبيعية والحياة الاجتماعية والصناعة والزراعة واللغة والتعاليم الدينية، ولم تقتصر معرفتهم على بلاد الإسلام وحدها، بل تجاوزت بصورة ملحوظة حدود العالم كما عرفه اليونان، كما يؤكد المستشرق الروسي الشهير (كراتشوفسكي) أن البحث العلمي المعاصر أثبت أهمية المعلومات التي جمعوها حتى عن بلاد نائية مثل أرخبيل الملايو وإسكنديناوة، وجنوب شرق أوربا.

أكبر جغرافي

ومن بين الجغرافيين العرب يبرز (شمس الدين أبو عبدالله محمد المقدسي البشاري) المتوفى سنة (٣٩٠هـ/١٠٠٠م) الذي يعدّه العالم (كرامرس krамers) أكثر الجغرافيين العرب أصالة، وفي تحليله لكتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) يقول: «من المحتمل أنه لم يسبقه شخص في مجال أسفاره، وعمق ملاحظاته، وإخضاعه المادة التي جمعها لصياغة منظمة»، بل وتبلغ الحماسة بالمستشرق (اشبرنجر Sprenger) فيراه أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة.

ولد المقدسي في بيت المقدس، وبسبب رحلاته الواسعة، وولعه بالأسفار، ولكون والدته من أصل خراساني، فقد يسرت له عوامل النسب والقرابة التعرف إلى نصف العالم الإسلامي، ويوضح المقدسي في أحد فصول مقدمته الطويلة، طريقته في التسجيل المرتكز على كثير من التمحيص والتدقيق، فيثبت «ما شاهدته وعقلته وعرفته وعلقته وعليه رفعت البنان» أما استفهاماته الكثيرة عن الأماكن النائية التي لم يصلها فيعرفها من خلال «سؤال ذوي العقول من الناس ومن لم أعرفهم بالغفلة والالتباس عن الكور والأعمال في الأطراف التي بعدت عنها ولم يتقدر لي الوصول إليها»، ويظهر لنا حرصه على إثبات الأقوال لديه، فما جرى عليه الاتفاق كان يقبله، وفي حال الاختلاف يطرحه جانبًا، وفي هذه الحالة يعتمد على نفسه فقط، ويقصد المكان المطلوب لمعاينته شخصيًا، وإذا تعذر ذلك فيسبق حديثه بكلمة (زعموا) دلالة حسب تعبيره على أنه (لم يقر في قلبي ولم يقبله عقلي).

كما حرص المقدسي أن يكون رائدًا في ما يذكره من معلومات جغرافية ولا يكرر ما أورده الآخرون في مصنفاتهم، ويقف موقف الناقد القاسي من السابقين، ويفخر بأن كتابه لا يحوي إلا الجديد فيقول: «ومن مفاخر كتابنا الإعراض عما ذكره غيرنا .... وإذا نظرت في كتابنا وجدته نسيج وحده يتيمًا في نظمه».

عدة ألقاب

ويلخص المقدسي منهجه في التأليف: «فانتظم كتابنا هذا بثلاثة أقسام: أحدها ما عايناه، والثاني ما سمعناه من الثقات، والثالث ما وجدناه من الكتب المصنفة في هذا الباب وغيره، وما بقيت خزانة ملك إلا وقد لزمتها، ولا تصانيف فرقة إلا وقد تصفحتها، ولا مذاهب قوم إلا وقد عرفتها».

ومن الطريف أنه خلال أسفاره وجولاته لقب بستة وثلاثين اسمًا منها: مقدسي وفلسطيني ومصري ومغربي وخطيب وعابد وزاهد وتاجر وإمام ومؤذن وخطيب ووراّق ومجلد وتاجر... وفي ذلك دلالة على اختلاف الأعمال والمهن التي تعاطاها وزاولها، ولا يفوته سرد الفوائد التي جناها من أسفاره ورحلاته ومنها: «فقد تفقهت وتأدبت وتزهدت وتعبدت وفقّهت وأدّبت وخطبت على المنابر، وأذّنت على المناير، وأممت في المساجد، وذكّرت في الجوامع، واختلفت إلى المدارس، ودعوت في المحافل، وتكلمت في المجالس»، هذه المواقف المتعددة كانت لا تخلو من مخاطر كادت تفقده حياته فقد أشرف مرارًا على الغرق في أثناء عبوره بالمراكب، كما تعرض للسجن، وكان ينظر إليه بريبة في بعض

الأحيان على أنه جاسوس، وفي الواقع أن عرض المقدسي لا يخلو من الزهو والفخر بالنفس، ويمتاز بحيوية في السرد تظهر لنا الجهد الكبير الذي تكلفه في سبيل معلومات كتابه ومعطياته.

خطته في التصنيف

أما خطته في التصنيف فتقوم على وصف المناطق المختلفة التي زارها مثل: جزيرة العرب والعراق والشام فمصر فالمغرب فبادية الشام ثم المشرق، مثل خراسان وإرمينيا وأذربيجان وفارس .. فيبدأ كلامه على أقسام المنطقة ومدنها والمواضع العامرة منها، أما القسم الثاني فيبحث في المناخ، والزرع، والطوائف، واللغة، والتجارة، والأوزان، والنقود والعادات والمياه والأماكن المقدسة، وأخلاق السكان والتبعية السياسية للقطر والخراج. ويتناول في القسم الثالث ذكر المسافات والطرق والمواصلات، ويقدم لنا مجموعة من المعلومات عن التجارة والمعتقدات والعادات.

شهاب الدين أحمد بن فضل العمري الدمشقي

في القرن الثامن الهجري ظهر شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري الدمشقي (ت ٧٣٨هـ/١٣٤٩م) ولد بدمشق، ولكنه شب وتعلم بمصر، وتلمذ لأساتذة مبرزين في مختلف العلوم، وشغل وظيفة قاض بمصر، ثم خلف أباه في رئاسة ديوان الإنشاء سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٣٨م، ارتباطًا مع تقاليد أسرته التي تولت رئاسة ديوان الإنشاء بمصر مدة قرن من الزمان تقريبًا، وقد هيأ له عمله الحكومي الاطلاع على وثائق كثيرة، كما أن مصادر أخباره ومعلوماته متعددة جدًا مما مكّنه من إخراج لوحة مفصلة في وصف العالم المعاصر له بعنوان (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، وهي موسوعة تاريخية جغرافية علمية شاملة من حيث تنوع موضوعاتها وتشعب عناوينها وتفريعاتها، حتى إن المرء ليسأل وهو يتناول تلك الموسوعة، كم أمضى صاحبها من الوقت في تصنيفها؟ فهي تبلغ (٢٧) جزءًا، وتقع في (٩٨٨١) صفحة خطية، ويذكر في موضع من كتابه منهجه العلمي الخاص في التأليف بقوله: «وكنت أسأل الرجل عن بلاده ثم أسأله الآخر والآخر لأقف على الحق. فما اتفقت عليه أقوالهم أو تقاربت أثبته، وما اختلفت فيه أقوالهم أو اضطربت تركته، ثم إني أترك الرجل المسؤول مدة أناسيه عما قال، ثم أعيد عليه السؤال عن بعض ما كنت سألت، فإن ثبت قوله الأول أثبت مقاله وإن تزلزل أذهبت في الريح أقواله، كل هذا لأتروّى في الرواية وأتوثّق في التصحيح».

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

أما تقي الدين أحمد بن على المقريزي، (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) فهو، وإن كان مؤرخًا واقتصاديًا وعالمًا في الآثار ومتخصصًا في الآداب الشعبية، عالم في الجغرافيا وتحتل الجغرافيا التاريخية المكانة الأولى لديه، واعترف المستشرق كاترميو Quatremer بجهود المقريزي قائلاً: «ألقى ضوءًا ساطعًا في بحوثه الواسعة التي لا تعرف الكلل على كل ما يمس التاريخ السياسي والأدبي للشرق وبوجه خاص مصر». وكتابه الشهير (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) المعروف بالخطط المقريزية، استغرق وقتًا طويلاً في تدوينه حتى إنه لم يتوقف عن الإضافة إليه. ويوجز في المقدمة خطته المعتمدة لتصنيف الكتاب قائلاً: «فإني سلكت فيه ثلاثة أنحاء، وهي: النقل من الكتب المصنفة في العلوم، والرواية عمن أدركت من مشيخة العلم وجلة الناس، والمشاهد لما عاينته ورأيته»، وتتجلى أمانته العلمية في ذكر المصادر التي اعتمدها، وهي سمة مميزة لغالبية المؤلفين العرب، فيقول: «فأما النقل من دواوين العلماء التي صنفوها من أنواع العلوم فإني أعزو كل نقل إلى الكتاب الذي نقلت منه لأخلص من عهدته، وأبرأ من جريرته».

القيمة العلمية لأدب الجغرافي العربي

إن الأدب الجغرافي العربي تتوافر فيه قيمة علمية لا ينضب معينها، جعلت المستشرق تيودور نولدكه يصرح: بـ«أن الجغرافيا في أكثر من ناحية هي الجانب الأكثر إشراقًا في الأدب العربي»، كما يعترف كراتشوفسكي بالتنوع الكبير في فنونه وأنماطه، ففيه تقابلنا الرسالة العلمية في الفلك والرياضيات، كما تصادفنا الكتب العلمية التي وضعت من أجل عمال الدواوين وجمهرة المسافرين. ويقدم متعة ذهنية كبرى إذ تلتقي فيه بنماذج أدبية فنية رائعة، صيغت بالسجع أحيانًا، والمصنفات الموضوعة من أجل جمهرة القراء يراوح فيها العرض بين الجفاف والصرامة من جهة، والإمتاع والحيوية من جهة أخرى، وهنا تتجلى مقدرة العرب الفائقة وبراعتهم في فن القصص. لقد أثر هذا الأدب اهتمامًا بالغًا بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي، وتارة شعبي، وهو طورًا واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة، كما تكمن فيه الفائدة؛ لذا فهو يعرض مادة غنية متعددة الجوانب لا يوجد لها مثيل في أدب الشعوب.

والهوامش

١. أغناطيوس كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، بيروت دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٢. المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن.

٣. المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، الخطط المقريزية، بيروت، دار صادر، د. ت.

٤. العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق بسام محمد بارود، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠١م.